

مقدمة

حينما يفكر طالب يتهيباً لافتراع القمم العالمية من مراحل التعليم فس
موضوع رسالته فان اقرب الخواطر لديه تتشال من مسح طفولته ، وتبعث
من اولد ارض من جلده ترايبها ، ولا يزال يهبها محيطه . وأغذان بلسده ،
من جراء تكرار ذكرهم ، وما تختزنه عنهم ذاكرته ، من اجاديت تـ
السامع ، لا تزال تهيمن على ذاكرته ، وتستبد باعجابها .

لذا ليس غريباً على النقيب الفاضل " عبد العزيز سليمان الفاضل"
أن يكون موضوع رسالته نابعا من قريته ، منطلقا من ريفه ، والريف منسذ
الأزل ، لن يزال ولودا منجبا ، دفع بمباقرة الفكر ، والفن ، والاختراع ،
والإبداع ، الى هذا الوجود ، فكانوا عين اناسه ، وواسطة عقده .

وصاحب هذه الرسالة ، ولهد الريف وطيبده ، ذاق خشونة
هيشه ، وقسوة طبيعته ، وألف بساطته وساحته وصفاً سجيته . . . من
" فسله " احدى قرى اقليم الوشم ، من قلب نجد ، خصبة منجبهنة ،
يربها بنوها من الشعراء فأطلقوا فيها نفحاتهم ، وتفزلوا بحاسناتها ،
واستنتقوا مفاتيحها . .

وأبعدهم ذكرا ، وأنداهم صيتا ، موضوع هذه الرسالة " محمد بن
عبد الله بن بلهد " أديب راويه . ورائد من رواد الأدب في نجد ،
شق طريقه في عالم الأدب ، يوم كان الطريق مجهولا ، وسلكه وسرا ،
في وسط برى الاشتغال بالأدب طهارة ، والتعلق به هجنة ، وسلا
ثم من صحافة تحتضنه ، ولا وسيلة تنقله ، ولا مكتبات تزود بتفصيله ،
ولا سوق تتفق فيها بضاعته . . فراش " ابن بلهد " صحابه ، وذلك

بأيدٍ فحيا أديبه صورة أمينة ، لها قرأه من كتب القدامى ، وأفكارهم ،
ومناهجهم ، وحينما يذكر " ابن بلهيد " ، من بين أديبا نجد عند
فجر نهضة الحديث . . تذكر الرواية على نحو ما كان رواية العرب
الأوائل يتحلون بها ، تأتي ثرة فضاضه ، يستدرها تداعى
المعاني ، ويهضها توارد الخواطر ، ويجلوها منطبق دري ، ذلق ، ،
جمع بين فصاحة الأقراب ، ومرونة الحضار ، فكأنما يسقى مستعمله
الحلاب بدر النياق . . وكأنما يتحدر من متون فمام . . موهبة
لا تكاد نجدها الا فى النادر من أديبا تلك الطبقة ، ودهك مسن
بعدهم . . .

* * *

وحيثما يذكر " ابن بلهيد " أيضا ، يذكر شعر العرب فستبين
الجاهلية وصدور الاسلام ، حفل يذكر المعاهد والمرايح والمراتب
والسهوب والمواس ، مثلت على متونها بطولات العرب ومفاخرهم ،
وتألفت على ساحتها آدابهم وآثرهم . . ليجى " ابن بلهيد "
فيكون فى معرفة أعلامها علامه ، وفى الدلالة المباشرة ، وفيما
اشتبه على غيره فيصلا وما يبرئه من سهو ، ولا تعفيه من وهيم ،
ولكنه جوانب الحلبة لا يزحمه فى ميدانه هذا الا النوادر . . ويكفى
ابن بلهيد فخرا ، وحسبه بعد ذكر . . أن تسموه موهبة السنى
هذا البقاع ومن شرف العلم الى هذه القمة . . ما تتقاصر دونه
المدارك ، وتقع من ادراك شأوه الملكات .

∴

ونحن مع الاستاذ ، صاحب هذه الرسالة فيما أضفاه عليه من ثنا
فى حدود هذه المواهب ، وفيما لم يقله عنه ، فلامشاجه فى ذلك ، ولا
ليس . . . ولكننا لا نوافق على بعض الجوانب الأخرى ، فكل موهوب بلغ
ما بلغ من الموهبة ، لا يخلوا من جوانب نقص ، ولا فضاضة ، ولا ضمير ،
فالكسالى لمن انفسرد بالكسالى فأنا لست

مع صاحب هذه الرسالة فيما خلعه على استاذنا " ابن بليهد " من المبهمة في الشعرية ، لأن هذه الرسالة ملك للقارى ، وسبحكم - ولا بد لها أوطئها .

وما لفت نظري في رسالة الأستاذ ، أنها لم تعط كل جانب من جوانب شخصية استاذنا " ابن بليهد " ما تستحقه فحسب ، بل طغى فيها جانب الجمال ، وهو ولا شك ألحق بأستاذنا " ابن بليهد " وبالأستاذ عبدالعزیز .

والجانب المشرق في هذه الرسالة ، هو ديباجتها الحلوة الجذابة ، وهو عطا " أدبي زاخر ، له ما بعده في حياة شاب لما يتجاوز بعد مراحل التعليم ، فإذا نعت هذه الديباجة ، وفذبت ، فسوف يكون لها شأن .

ومع ما أعجبت به من حلاوة ديباجة هذه الرسالة ، وجاذبية أسلوبها فأننى أكبر الاستاذ القاضل جهده المضى الذى بذله في هذه الرسالة على ندرة ما بين يديه من المراجع ، وعلى أن هذا البحث جديد لم يتناوله قبله الباحثون والمحققون الالماما .

وسوف ولا شك يكون لهذه الرسالة أثرها الكبير في اعطاء صورة واضحة عن شخصية " ابن بليهد " خاصة ، وعن الظروف والملابسات التى أحاطت بحياته ، مما له ساس بالحياة السياسية والاجتماعية والعلمية والأدبية فى قلب جزيرة العرب ، مما سيجعلها مرجعا من المراجع المعتبرة فى هذا المجال .

ما أردت من مقدمتى هذه أن أتقفر جوانب هذه الرسالة ، واستعرض

أبوابها وقصولها فهي تمر بنفسها عن نفسها ، ولكنها خواطر أوحست
إلى بها ، ولعلها تلقى ضوءاً على هذه الرسالة في معناها ومعناها .

وهي فرصة لي ، أتطلع جيداً من خلالها ، لأحى الأزهر الشريف ،
وأحى جهابذته الأعلام ، من تلميذ يدين للأزهر بالفضل ، ويحترف لسه
بالتقدم ، فأنا فرسة لها تمره ، وغداها بده .

• عبد الله بن محمد بن خميس •

١٣٩٤/٥/٢٢ هـ

**

تقديم

حينما عقدت العزم على دراسة هذا الشاعر وما له من آثار فوسى مجالات الأدب ، والفكر والاجتماع وبدأت أبحث عن مادة لهذه الدراسة ، هالني جداً ما رأيته على اسمه من غللة كادت تستره عن العيان ، وتخفى أعماله ، وتطفئ عليه ، وتخرجه من عالم الفكر والأدب ، حتى عن أوتاماس من دراسته من تقع عليهم مسئولية ذلك ()

وبالرغم من قلة تلك الكتب التي تعنى بدراسة الشعر والشعراء فوسى نجد ، ونضرب عن كلمة قلبه ونقول إنها محصورة في كتابين فقط هما : " شعراء نجد المعاصرون " للأستاذ عبدالله بن دريس ، وكتاب " الأدب الحديث في نجد " للأستاذ محمد بن حسين ، بالرغم من ذلك فإنه لم يذكر بهنست كلمة في الكتاب الأول ، ولم يعط حقه من الكتاب الثاني .

فالأستاذ محمد بن حسين قد ألقى محاضرة عن " الشعراء في نجد " وكان ثلث هذه المحاضرة فقط حين نصيب شاعرنا ، فلا غرابة أن لا يذكر منه إلا العناصير البارزة عند دراسة أي شاعر أو أديب وأما الأستاذ عبدالله بن دريس ، فإنه لأغراض شخصية ، أقل ذكر هذا الشاعر من كتابه ، وذلك أن الشيخ محمد بن بلهد ، كانت بهنست وبين الأستاذ حمد الجاسر خصومة نقدية فيما يكتبان كما يكون بين المعاصرين من تنافس ، فجاء الأستاذ عبدالله بن دريس ليقحم نفسه في صف الأستاذ حمد الجاسر ويكتب في صحيفة " البلاد " ما يعتقد أن الشيخ محمد بن بلهد قد فط فيه في كتابه " صحيح الأخبار " إلا أن الشيخ محمد بن بلهد اقتصر في رده عليه بتصحيح أخطاءه وتحويله وقع فيها الأستاذ دريس أثناء نقده ، وهاب عليه أن ينقد بل ويكتب قبل أن يتمكن من إقامة لفظه

فكان من الأستاذان الدريس أن طلب سلطان نفسه الذاتي ، على الواجب العلمي ، فهو حينما ألف كتابه السابق الذكر أهمل محمداً ذكر هذا الشاعر ، فذكر من قبله ومن بعده ، فجنى بذلك على الأديب في نجد ، باهمال علم من أعلاسه ، ولم يكف بذلك فحسب ، بل يتخيل إلى أنه لم يتحامل على شعراء طمقته إلا من أجله . ولم يكن حتى على من تقصع عليه مسئولية دراسة هذا الشاعر ولم يدرسه ، لأنني لم أجد مادة لدراستي هذه (١) فديوانه ، وبقية آثاره ، هي المادة اللازمة لكل دارس ، ولكن حتى طمعمهم لأنهم هضموها حق هذا الشاعر ، ومن ثم فقد جنسوا على الأديب ، وخاصة الأديب في نجد . وأمام هذه الرؤيا ، وجسدت نفسي أشد أصوارا وعزما من ذي قبل ، على التمسك بدراسة هذا الشاعر ، فله من الفضل والمكانة ، ما تقصر عن ادراكه كل دراسة ، فقد قدم من العطاء الأدبي وجاه على الفكر العربي ، بما يجعل دراسته أول عمل لكل مهتم بالحركة الأدبية ونهضتها في نجد . وأمام هذه الاعتبارات كانت دراستي للشيخ محمد بن بلهد ، وكانت تحت أرمحة أبواب تحدثت فيها عن عصره ثم حياته فشمرة فأثاره .

ومن خلال ما ذكرته عن عصره تظهر لنا تلك العبقرية الخارقة التي هتكت ستار تلك الظلمة الحالك على الأفكار والعقول ، وقسمت هذا الباب إلى ثلاثة فصول : عن الحالة السياسية ثم الاجتماعية ثم الثقافية ، وكانت نتائجها متقاربة ، فالحالة السياسية بما فيها من وعاز وقلق جعلت من الحياة الاجتماعية جحيفا لا يطاق ، وكان أن انعكست هذه الآثار على الحالة الثقافية ، فأما تنبأ بعد مرض طسال زمنه ، وقضت عليها تماما ، إلى أن تجددت الحياة السياسية ثم الاجتماعية ، فبدأت الحياة الثقافية تنمو وتزدهر تحت ظل النمو السياسي والاجتماعي وعلى يد أعلام يقف الشيخ محمد بن بلهد فسي مقدمتهم .

ثم انتقلت بالحديث إلى " حياته " فهبت أن عبقريته ، إنما هي اعتماد لعبقرية موروثه ، ثم هبت أن دراسته ، لم تعدد بغير معرفة

المعروف

ذلك كتبت دراسة تبحث في تقييم شعره ، من ناحية الألفاظ والأساليب ،
 والمعاني والأفكار ، ثم شعره بين التقليد والتجديد ومناقشة ما قيل
 في ذلك ، ثم ما في شعره من صنعه أو تكلف . ثم حللت قصيده من ديوانه
 استكملت بها هذه الدراسة لشعره ، وبما أن هذا الشاعر ، كان لــــه
 سابق تجربة بالشعر الشعبي ، فقد وجدت نفسي ملزما ، بأن أتحدث
 عن موقفه ثم موقفى ، من هذا الشعر . ثم انتقلت الى باب آخر وهو
 دراسة آثاره ، وكان أولها " صحیح الأخبارها في بلاد العرب من الآثار
 الذى لم استطع تماما استبهاان وجهته ، هل هي أدبية أم جغرافية ؟
 فقد أورد ما يتعلق بذكر الأماكن من المحلقات المشرو وكثيرا من شعير
 الفحول ، ثم بين أين تلك الأماكن وجهتها ، وهل اندثرت أم لا ، ولهذا
 فقد أطلقت على مثل هذه الدراسة ، الأدب الجغرافى ، أو جغرافية الأدب
 ان صحت هاتان التسميتان . وكتابه الآخر " ما تقارب سماعه وتباينت
 أمكته ومقاهه " والذى ما يزال مخطوطا نرجو أن يرى النور قريبا ثم
 نشره وتحقيقه لكتاب " صفة جزيرة العرب " للهمداني ، فهذه الآثار
 وما يتمتع به من شاعرية متدفقة ، انما هي نبع من تلك العبقرية التي خرجت
 في عصر لا يعرف من العلم الا قصوره ، فكانت عبقرية مكره وانى ان أقدم
 هذه الدراسة ، لأرجو أن أكون قد ساهمت ببعض ما يمليه الواجب الفكرى
 لهذه البلاد كما أرجو أن يلقى قبولا من أساتذتى في الأزهر الشريف
 وأنا على يقين من ذلك ، فهم صرح قائم للعلم والمعرفة دائماً
 وأبدا ، فلا بد أن يحطو هذا الشاعر حقه من العناية ومن ثم فهم
 عطا لى

" عبد المزيز سليمان الفاضل "

 **
 *

مناشئة العقاد

نشأة العقاد العلمية :

تلقى العقاد ناشوا علومه الأولية في المدرسة الابتدائية بأسوان ، وكان مثالا للنموذج المبكر ، الذي أكرهه الامام محمد عبده ، حين زار المدرسة واطلع على كراسة تعبيره ، واستمع اليه ، فتنبأ له بمستقبله الاثني الباهر قائلا : " ما أجدر هذا أن يكون كاتباً بعد " وأوصاه ألا يلتجئ من العلم بوظيفة الحكومة اذا تخرج .

ويحدثنا العقاد عن اساتذته في تلك المرحلة ، فيخصر باقاداته اثنتين :

أحدهما استفاد منه بالطريقة المباشرة ، وهو مدرس اللغة العربية والتاريخ " محمد فخر الدين " الذي كان يحب التجديد والابتكار ، ويشجع عليهما ، والذي كان درسه في التاريخ مع ذلك درسا في الوطنية . يقول العقاد :

" فمرفنا تاريخ مصر ونحن أحق ما نكون الى شعور الغيرة على الوطن والاعتزاز

بتاريخه لأن سلطان الاحتلال الاجنبي كان قد بلغ يومئذ غاية مداه . . . (1)

وقد كانت المحاولات الاولى لشعر العقاد نتيجة تشجيع هذا الاستاذ الذي طلب اليه يوما أن ينظم في فضل العلوم ، فأنشد متفكها - كما يقول العقاد نفسه - هذه الابيات :

علم الحساب له مزايا جملة . . . وبه يزيد المرء في العرفان

التحوقنطرة العلوم جميعها . . . ومبين غامضها وزين لسان

كذلك الجغرافيا هادية الفتى . . . لمسالك البلدان والوديان

وانا علمت لسان قوم يافتي . . . نلت الأمان به وأى لسان (1)



”الباب الأول”

”بيئته وعصره”

- أ - من الناحية السياسية
- ب - من الناحية الاجتماعية
- ج - من الناحية الثقافية

" بهيئته وعصره "

يتعذر على الباحث أن يستطع الشاعره من بهيئته وعصره ، ويدرسه في فنه خالصا ، دون أن يلم بالظروف التي اشتركت في خلق هذا الفن ، والهيئة والمصر يسيران مقترنين في توجيه الشاعر - بل - وفي تكوين ملكة الشعر لديه ، وإذا كانت النواحي السياسية ، والاجتماعية ، والثقافية ، لعصر من العصور ، تهيمن عن هويته ، وتوضح معالمه ، فسأطرق السبيل عرض هذه الحالات ، استكمالا أو بداية لدراسة الشاعر والأديب " محمد بن عبدالله بن بلهيد "

أسلمون شوري

" الناحية السياسية "

الفصل الأول

=====

وجد ، اسم خالد يصحبه في مسجع كل انسان نغم جميل ، يوحى بصور مختلفة من الحياة المتقلبه واننا لنسمع أول ما نسمع معها ، صوت الهطل وهو يطلب المنازلة ، وصليل السيوف للذود بها عن الجرار والذمار ، وحممة الحصان في أنسوان المعركة وأطراف الرياح والنهبال تنهش جسمه ، وتسمع معه رغاء الابل ، وثغاء الغنم وهي تنحر للضيوف ، وتسمع معه أنه الهاكي ، وزفرة الشاكي من لوعة الحب فتسمع " لا اله الا الله " تردد أصداءها جبال نجد ، وخالد بن الوليد يعلنها في هذه البقاع ، ثم تسمع صوت ذى الرمة ، وقد أوقف ناقته على راس مسجع " من " ليستقيه من دمه الذي لا يفيض .

ولكن لا يكاد ينقضي العصر العباسي الأول حتى يضعف النغم الى حد الاختناق ، فتصعبه صورة مظلمة قاتمه مجهولة المكنه والكيف ، تظلك منبت العرب ، وسهد لغتهم ، وآدابهم ، رداها من الزمن ، السى أن يأتي منتصف القرن الثاني عشر الهجري ، فهطلت بعمده من مقالته ، ويعود الى حيويته وجماله ، وتصعبه صورة لكنها حسن واضاءة واشراقه أنها صورة الحق والاسلام ، حيث يعود صوت " لا اله الا الله " ويمتد صداها الى تلك الجبال الضامه الى لقاته .

تلك هي نجد ، منبع الأسجاد والهطولات ، ومنبت الفضائل والمكارم
وموطن الأدب والجمال ، ومصدر النور والاشراق " . (1)

ولقد أراد الله أن يكون " محمد بن بلهيد " من أبناء نجد ، ولكن
بعد أن غير الدهر رسمها ، وطمس الزمان نظارتها فقد وجد نفسه فسى
خضم عصر متلى بالأحداث ، فامر بالتغيرات والتطورات ، عصر عمت أخطاره
كل أرجاء المعمورة ، فكانت الحروب الدامية ، التي حصدت الرقاب ، ونشرت
في الناس الارهاب .

وإذا قلب على حديثي في هذا الفصل حديث الحرب ، وما يتحصنها
من تغيرات وتقلبات ، فإن ذلك باملاء من الأحداث السياسية التي تغرض
وجودها ، وتحتم حدوثها ، ولعل وجود ابن بلهيد بين أحضان الجزيرة
العربية ، وما انطوت عليه هذه الجزيرة من أحداث عظام ، لعلها يشفمان
لاقتصار حديثي على ماجرى في الجزيرة فقط إلا ما اقتضاه الموقف من حديث
حولها .

س ؟

لقد عاشت الجزيرة العربية وبخاصة " نجد " فترة من الخمس
والفتور السياسي امتدت عدة قرون ، قامت بعد ذلك لكي تصوب ما فاتها
من خمول وركود ، فقد كانت الدولة العثمانية معشقة على جوانب الجزيرة
العربية - كغيرها من الدول العربية - بعد أن ضمتها إلى امبراطوريتها ،
ولم تهتم بهم طوال تلك القرون المتتالية ، بقدر ما تهتم بما عندهم من
موارد ، فاندثرت حضارة العرب ، ولم يعد للحياة العقلية أي دور ، أما
نجد فلم يعرها العثمانيون أي اهتمام لفقرها ، وهدم جدواها من الناحية
الاقتصادية أو السياسية فأهملوها ، وأطلقوا على أهلها يتخبطون فسى
مشاكلهم ، ويتحصنون لقبائلهم ، تحت غلالة من الجهل ، فكثرت حروبهم

(1) الأدب الحديث في نجد ص ٤ بتصرف .

وافقد الأمن ، حتى آل الأمر إلى أن يكون لكل بلدة حاكم يحكمها ،
فضرب الفقر أطنابه بين ربوعهم ، وجاءهم الموت بسلاح الجوع والصبر
ليزيد شقاءهم شقاء ، فانسوا دينهم لينظروا في أمور دنياهم .

* * *

في هذه الفترة العصبية من الحياة ، بحث الله رجلا صلحا ليكون
سببا في انقاذهم . وانتشالهم ما هم فيه ظهر الشيخ " محمد بن
عبد الوهاب " مجددا لهذا الدين الذي نسخ ، وداعيا إلى الحق ،
وتهدد الاعتقادات التي انتشرت لتشمل الشجر والحجر والقبور ، فلقى
في أول دعوته معارضة وصدودا ، فأخرجه أهل حريملا من بلده بمسند
أن سلم من القتل ، فوصل إلى بلدة الصينة ، ليجد من أميرها " عثمان
ابن معمر " كل رعاية وتشجيع على نشر دعوته ، ولكن أمير الأحساء ابن عريعر
هدد أمير الصينة بقطع معوناته إن هولم يخرج هذا الشيخ من بلده
فأخرجه ، فذهب إلى الدرعية ، فاستقبله أميرها " محمد بن سعود " ،
ففتحها صفحة جديدة غيرت معالم نجد ، ومن ثم الجزيرة كلها ، فناصره
محمد بن سعود بعد أن تصهد له أن يحميه ما يحس منه نساءه وأولاده ،
وبعد سنتين من إقامة الشيخ في الدرعية ، اتخذت الدعوة مظهرا جديدا
هو الجهاد ، وبدأت السفزوات يقودها الأمير محمد بن سعود وابنه
عبدالمزيز ثم حفيدة سعود ، وأبلى السعوديون في تلك الحروب بلاء
حسنا ، وكتب الله لجهوش الدعوة التي يقودونها النصر والتأييد في كل
وجه ، حتى انتشرت الدعوة في بلاد نجد من أقصاها إلى أقصاها ، ثم
الأحساء وساحل الخليج ثم الحجاز وسير ، ولم يذكر التاريخ شيئا
عن آل سعود قبل اتصالهم بالشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ولحميل
نصرتهم ومماضت لهم في دعوتهم ، سبب في علو شأنهم ومحبة الناس
لهم ونصرتهم لأمرائهم .

* * *

وقد مر الحكم السعودي بثلاثة أطوار تكاد تكون مترابطة :

الدور الأول : من حكم الأمير محمد بن سعود بعد اتفائه مع الشيخ

محمد بن عبد الوهاب سنة ١١٥٨ هـ الى نهاية حكم عبدالله بن سعود سنة ١٢٣٣ هـ ويلحق بهذا الدور فترة استيلاء جيوش محمد علي " طليق نجد .

الدور الثاني : من حكم الأمير تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود سنة ١٢٣٥ هـ الى نهاية حكم ابنه فيصل " سنة ١٢٨٢ هـ

الدور الثالث : من ظهور جلالة الملك " عبد العزيز " سنة ١٣١٩ . ويمتد الى هذا الوقت .

وقد تولى الأمير محمد بن سعود امانة الدرعية سنة ١١٣٩ هـ وكان مطبوعاً على الخير ، محبوباً من رعيتة ، قلماً وقد عليه الشيخ ، اعتنق الدعوة عن ايمان ، وعاهده على العمل بنشرها ، فالتزم بوعده ، ووفى بعهده وحمل عبء نشرها ، فلما بدأت حركة الجهاد ضد أعدائهم ، اعد له عدته ، وجند من أهل الدرعية ومن هاجر اليها من أتباع الشيخ جنداً ، قادهم بنفسه أحياناً ، وخاضت جيوش الدعوة المظفرة سلسلة طويلة من المعارك في مختلف النواحي ، كان النصر لها في أكثرها ، وتألقت عليهم قوى الفساد والشر وتألقت الأحزاب ، وحوصرت الدرعية بقوة لا عهد لنجد بها في هذا التاريخ لكنهم خرجوا بعد ذلك كله بالظفر والنصر والعز والتمكين ، وقد ساعد على ذلك قوة السروح الممنوية عند جنود الدعوة فقد كانوا يحاربون في سبيل مبدأ وعقيدته ودين حق . وجات محمد بن سعود سنة ١١٧٩ بعد أن قضى عشرين عاماً يقاتل في سبيل نشر الدعوة ، ونجح في تحقيق غرضه في الدرعية والعيينة والجبيل وكثير من البلدان الكبيرة المجاورة ، وبسط نفوذه في تلك المناطق ، وسهد الطريق لخلفائه ، فاعتبر بحق مؤسس دولة

السعودية .

ثم تولى الحكم بعده ابنه " عبد العزيز " فسار على نهجه فسي محالفة الشيخ والجهاد في سبيل نشر الدعوة وكان مشهوراً بالحسب والعدل والتدين ، وفي عهده تم تكوين الدولة السعودية الأولى

لأنه واصل حروبه ضد الامارات التي رفضت الدخول في الدعوه ، وأشهر حروبه فتح الرياض سنة ١١٨٧ هـ ، وكان أميرها "دهام بن دواس" الذي طالما ناصب والده العداة ، الا أن عبد العزيز كان يرسل الحمالات المتلاحقة لضربه ، الى أن سئم من قتال ابن سعود ، فهرب من الرياض مع مجموعة من أتباعه ، وبعد ذلك بسنتين فتح القصيم ونشر الدعوة بين ربهه ، ثم اتجه الى الأحساء سنة ١٢٠٨ فاستولى عليها ، فحرك باستيلائه على الأحساء ونشر الدعوة فيها ، هرك الأتراك العثمانيين ضد السعوديين فأرسل سليمان باشا حملة تركيه سنة ١٢١٣ هـ لاسترداد الأحساء والقضاء على الدعوة في قلب نجد وانضم الى هذه الحملة كثير من أهـل تلك المناطق كالبحرة والزيبر ، فحاصروا الأحساء ، وحاولوا فتحها فواجهتهم مقاومة عنيفة ، فلما طال أمر الحصار ، اضطهرت الجموش التركيه الى التراجع ، ولكن سعود ابن عبد العزيز كان لهم بالمرصاد ، فالتقى بهم في موقعتين انتصر فيها انتصارا حاسما ، فعادت فلولهم الى العراق ، ورد السعوديون على ذلك بإرسال حملة الى العراق سنة ١٢١٤ هـ فاجتاحت جنوب العراق وغزت الزيبر والبحره وكرهلاء ، وهدموا قبعة الحسين فيها وسبواها بالأرض وكان قد انتشر في الحجاز - لأغراض سياسية عند تركها وصدفها الشريف غالب - دعاية سيئة تشوه دعوه الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وطع النجديون لذلك من الحج ، لأن اجتماعهم بالمسلمين في الموسم يبطل تلك الدعاية المسمومه ، ولم يكف الشريف غالب بالحروب المكلاميه ضد الدعوه ، بل حاربها بالسيف خوفا من انتشارها بين قبائل الحجاز ، فأرسل حملة الى القصيم فهزمت ، ثم عاود الكرة فهزمت فاضطر الى عقد هدنة مع السعوديين ، وسمح لهم بالحج ، وقد كانت نهاية الأمير عبد العزيز على يد رجل شيعي تسمى "عثمان" وفسد الى الدرعيه من العراق لينتقم من السعوديين بقتل اميرهم نظير ما فعلوه في كرهلاء ، فوثب عثمان على الأمير وهو ساجد في صلاة العصر وطعمه بالخنجر طعنات توفى متأثرا بها . فتولى الامارة من بعده ابنه سعود سنة ١٢١٨ هـ وكان قد ولاه العهد بأمر الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومن أهم أعماله فتح الحجاز لأول مره فبعد ما توترت العلاقات بين الشريف

غالب والسموديين ، وانقطع حجهم ، فزم السعوديون على فتح الحجاز ، فقاد الأمير جيوش الدعوة لتحقيق هذا الفتح في أواخر حياة أبيه ، وسكس بالسيول حتى انتهى موسم الحج سنة ١٢٢٧ هـ وقاد الحجاج مكة عائد من إلى بلادهم ، فزحف عليها ولم يستطع الشريف غالب الدفاع عنها ، فالتجأ إلى جده ، ودخلها سعود وجيوشه محرمين بالعمارة سنة ١٢١٨ هـ وأسند أمارتها إلى الشريف " عبد المعين بن مساعد ، وعاد هو إلى نجد فقاوم الشريف غالب القوة العسكرية بمكة واستردها فعاد إليه سعود فأعاد فتحها ثم عينه هو أميراً عليها من قبله بمسند أن تصعد بتنفيذ مبادئ الدعوة فيها ثم دخلت بقية مدن الحجاز في سلطان ابن سعود ، وبذلك انتقلت تبعية الحجاز من العثمانيين إلى السعوديين ، وظلت تلك التبعية قائمة من سنة ١٢٢٠ إلى سنة ١٢٢٨ . كما وجه الأمير نظره إلى الجنوب ففتح نجران وجيزان كما دخلت في طاعته بلدة زبيدة والحديدة من بلاد اليمن ، كما خضعت القبائل في شمال نجد إلى حدود العراق وبادية الشام ، وبذلك بلغت الدولة السعودية الأولى أقصى اتساعها .

وكان الأتراك العثمانيون قد حاولوا القضاء على الدولة السعودية ووقف تقدمها ، فوجهوا الحملات عليها من بغداد ودمشق ومكة ، لكنها جميعاً باءت بالفشل ، فلما دخل الحجاز في سلطان السعوديين انقطع الحج الشامى والمصرى ، فزاد التوتر بين الدولتين ، وصممت تركيا على القضاء على دولة آل سعود ، واسترداد الحجاز ، فكسف السلطان واليه على مصر " محمد على " بهذه المهمة ، وكان السلطان العثماني ، لإيمانيه أى الفريقين انتصر على صاحبه ، فقد كان هدفه انهاء القوتين جميعاً ، إذ كان يخشى اتساع نفوذ محمد على كما كان يكره اتساع نفوذ السعوديين ، وفي سنة ١٢٢٦ وجه محمد على حملة من ثمانية آلاف جندي بقيادة ابنه طوسون فاستولى على مدن الحجاز ولكن السعوديين أوقفوا زحفه عند " تره " فاستجد بأبيه ، فجاء محمد على بنفسه مدداً لابنه ، وتولى القيادة العامة ، وقبض على الشريف غالب لتذبه به بين الفريقين ، وأرسله إلى مصر ، وابتدأ

يستعد لحرب السعوديين ، فتوفى في هذه الاثناء الأمير سعود سنة ١٢٢٩ هـ فتولى الامارة ابنه عبدالله في الوقت الذي كانت المعارك قائمة بين محمد علي والسعوديين ولم يكن عبدالله في كفاية أبيه ، فلم يستطع أن يمسك زمام الأمور ، أو يدير الخطر المائل أمامه ، فانهزمت القوات السعوديه أمام جيوش محمد علي ، الذي اضطر رغم انتصاره أن يمسود الى مصر ليقتضى على مؤامرة دبرت فيها لخلعه ، فتبعه ابنه طوسون في الموده ، وفي سنة ١٢٣١ هـ ارسل محمد علي حملة ثالثة على السعوديين يقودها ابنه ابراهيم باشا فسارت الحملة من القصير الى المدينة الى القصيم حيث التقى بالأمير عبدالله فهزمه وفتح القصيم ثم اتجه الى الدرعيه عاصمة آل سعود فوصلها سنة ١٢٣٣ هـ وحاصرها خمسة أشهر ، فدافع عنها الأمير حتى اجهده طول الحصار وقسوة المدافع في جيش ابراهيم ، فاضطر الى التسليم ، وارسل الى مصر في محرم سنة ١٢٣٤ هـ ومنها الى الاستانة حيث أعدمه السلطان بهيما فانتهى بذلك الدور الأول من أوار الدولة السعودية .

ورغم دخول نجد تحت حكم " محمد علي " بمقتضى هذا التسليم فقد ظلت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب باقية في قلوب النجديين بتدريسها علماءهم وعاصمتهم ، ويطبقونها في معاملاتهم حتى تأسد الله بقيام الدولة السعودية في دورها الثاني ، بعد سنتين من غيابها مرتكزة في قيامها على أساس من الدعوة الاصلاحية كذلك . فبعد قضاء ابراهيم باشا على الدولة السعودية وتخریب الدرعيه ، ترك حاميات من جيشه في بعض المدن ، وعاد الى مصر ، فساءت أحوال نجد ، واضطرب الأمن ، وسادت الجاهلية الأولى . وعادت البلاد الى حالة أقرب ما تكون الى الحالة التي سميت ظهور الشيخ ودعوتة الاصلاحية في هذه الفترة انتهز " محمد بن مشاري بن مصر " من أمراء الميمنية البارزين ، انتهز حالة الفوضى التي سادت نجد ، وعودة ابراهيم باشا

الى مصر ، وعدم تطوع أحد من آل سعود الى استعادة أمارتهم فطمع
في الاماره ، وانتقل الى الدرعية ، فاستمال أهلها وما حولها من بلدان ،
وكاد يتم أمره ان ذاك على نجد لولا ظهور مشاري بن سعود بن عبدالعزيز
وكان ممن رحلهم امبراهيم باشا الى مصر لكنه هرب في الطريق قرب المدينة ،
وعاد الى القصيم ، وسمى لاستعادة الامارة من مشاري من مصر فأعانته
أهل سدير وسار بهم الى الدرعية ، ولكن اميرها سلمها له بدون قتال
الا أن ابن محمر ندم على تسليمه واستملا به فخرج من الدرعية الى
بعض البلدان المجاورة حيث انضموا اليه فدخل الدرعية بجمعه بفتحه
وقهش على مشاري وأودعه السجن ثم سلمه الى الاتراك فقتلوه واسترد ابن
محمرا الامارة مرة أخرى . وكان الامير تركي بن عبد الله بن محمد آل سعود
أميرا على الرياض من قبل مشاري بن سعود ، فلما استرد ابن محمر الامارة ،
وحاول الاستيلاء على الرياض والقهر على أمرها ، ارتحل تركي عنها الى
الخروج وأقام بها ثم سافر الى ضمرا ، فغشى ابن محمر من انتقاله اليها
وأرسل جيشا للقهر عليه ، فانضم هذا الجيش الى الأمير تركي ثم تزايد
أنصاره من الهادية والحاضرة فتقدم بهم الى الدرعية سنة ١٢٣٥ هـ وزود عليها
بفتحة وقهش على ابن محمر وولى ابنه امر الرياض واحتلها ، لكن الجنود
الاتراك عادوا في سنة ١٢٣٦ بقيادة حسين بك لتوطيد سلطان الاتراك
في نجد والقضاء على دولة آل سعود الجديدة ، فزحف على الرياض ، وحاصر
فيها الامير تركي ، واستولى عليها لكن الأمير أفلت من قبضته ، واختفى
عامين ، ثم عاد للظهور سنة ١٢٣٨ هـ ، وقدم في ثلاثين من أصحابه
الى عرقة الواقعة بين الرياض والدرعية ، فأقام بها واجتمع اليه خلق
كثير من جميع مناطق نجد ، واستمرت الحرب بينه وبين الاتراك عامين
حتى تمكن في سنة ١٢٤٠ هـ من حصار الرياض حصارا دقيقا كاملا
فاضطرت الحامية التركية فيها الى الغزول على ما طلب الامير منهم وهو
تسليم الرياض والجملا الكامل الناجز عن نجد ، فلما تم ذلك بايعه
النجديون أميرا عليهم ، وفي سنة ١٢٤٣ هـ قدم من مصر ابنه فيصل
الذي كان منفيها فيها ، فكان نعم المساعد لأبيه في تحقيق سياسته ،
فقد فتح الاحساء ، وضمها الى امارة آباءه سنة ١٢٤٥ هـ ، وقصد

حكم الأمير تركي ثلاثة عشر عاماً ، وكانت نهايته ، أن اغتيل على يد عبد
من عبيد ابن اخت " مشاري بن عبد الرحمن آل سعود " الذي أوعز
اليه بقتله ، وحاول مشاري الاستيلاء على الآخر ، بعد اغتيال تركي
لكن مدته لم تطل أكثر من أربعين يوماً ، فقد علم الأمير فيصل بمقتـل
أبيه وهو في المنطقة الشرقية بحارب بعض القبائل ، فقدم إلى الرياض
سنة ١٢٥٠ فاقتمه وقتل أميره ، فبوع بالاماره بعد ما دانت له نجد
والأحساء ، فخشي " محمد علي " من عودة الدولة السعودية السـنة
قوتها الأولى ، فأرسل حملة عسكرية بقيادة " اسماعيل آغا " سنة
١٢٥٢ ، ومعها الأمير خالد بن سعود بن عبد العزيز ، الذي كان
منفيًا في مصر ، ليضرب السعوديين بمضهم ببعض ، فوصلت تلك الحملة
فرحل عنهم إلى الأحساء ، ودخل الأمير خالد الرياض سنة ١٢٥٣ هـ ،
فبايعه أهلها ، وامتنع عن بيعته أهل القرى الجنوبية لنجد ، فأراد أن
يأخذهم بالقوة ، فاشتبكوا معه في معركة قاسية ، هزم فيها ، فصار
إلى الرياض ، وانتهز الأمير فيصل فرصة هذه الهزيمة ، وحاول الاستيلاء
على الرياض فحدثت بينه وبين الأمير خالد معركة كبيرة ، وبالرغم من انتصار
الأمير فيصل ، فإنه لم يستطع احتلال الرياض لشدة تحصينها ، وأوفد
محمد علي خورشيد باشا للقضاء على حركة الأمير فيصل ، وتمكن الأمير
خالد من الاماره ، فدارت بينهما معارك شديدة انتهت باجتماع
الأمير فيصل ، حيث مال إلى الصلح ، فأرسله خورشيد باشا إلى مصر
مرة أخرى سنة ١٢٥٤ ، فانتهت الاماره إلى الأمير خالد ، فألفسوا
من امارته ، وكرهوا تصرفاته ، لذلك رحبوا بالأمير عبد الله بن ثنيان
عندما شق عصا الطاعة فتبعه الناس في الخروج على الأمير خالد ، الذي
انسحب إلى الأحساء بعد ما رأى كفة خصه راجحه ، فالتجأ إلى الأحساء
ثم الكويت ثم الحجاز حيث توفي هناك ، وهدأت الأحوال للأمير الجديد
عبد الله بن ثنيان ، لكنه اتبع سياسة الشدة والتمف ، وأرهق الناس
بالضرائب ، فلم يصبروا على حكمه الا مكرهين ، فلما حانت لهم الفرصة
بعودة الأمير فيصل بن تركي ، انجازوا اليه ، وكان الأمير فيصل
قد بقى منفيًا في مصر حتى تأذن الله بخلاصه من سجنه على يد

"عباس بن طوسون بن محمد علي" فعاد الى نجد ، فلما علموا بوصوله انضموا اليه جميعا ، ثم حاصر الرياض ، ففتح له أهلها الأبواب وظل أميراً الى أن توفي سنة ١٢٨٢ هـ ، فكانت وفاته خسارة كبيرة على البلاد ، وفتح لباب الفتن الداخلية بين أولاده ، فقد تولي من بعده ابنه عبد الله بصهد منه ، الا أن اخوته انشقوا عليه ، فثارت الفتن والاضطرابات الداخلة به ما يقارب سبعة وعشرين عاماً ، تداول الامارة فيها الأمراء "عبد الله وسعود ومحمد وعبد الرحمن" أبناء فيصل ، وعمهم "عبد الله بن تركي" وكان كل من احتل الرياض منهم ، اعتبر حاكماً ، وتربط على هذا الشقاق والخلاف ، أن خرجت عن ملك آل سعود ، الأحساء التي احتلها الأتراك ، وحائل والقصيم إذ سيطر عليها آل الرشيد ولم يبق لآل سعود الا الرياض وما حولها ، ثم تقلص نفوذهم فيها نهائياً بخروج الأمير عبد الرحمن الى الكويت سنة ١٣٠٩ هـ ، فسيطر آل رشيد على نجد ، وأنفردوا بحكمها ، وانتهى بذلك الدور الثاني من أدوار الدولة السعودية .

ثم ابتدأ الدور الثالث والذي يمتد الى اليوم ، بعد ظهور الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن سنة ١٣١٩ ، وكان قد رحل به والسنة عبد الرحمن الى الكويت ، فلما شب عن الطوق ، تطلع الى ملك آباءه وأجداده فطلب الاذن من والده أن يحمل على استرداد هذا الملك فاذن له بعد أن يثنى من اقتناعه بالعدول فأخذ عبد العزيز يرتب أمره وهو في سنة الثانية والعشرين ، فاختر أربعين رجلاً من الرجال الذين يثق بهم وبشجاعتهم ، وتزود بثلاثين بندقية ومائتين ريال ، فسار بهم من الكويت ، وكان قصده أن يسترد امارة نجد من آل الرشيد ، واسترداد الأحساء من الأتراك والحجاز من الأشراف وسير من آل عائض والأندلسه ، وقد ابتدأ بالرياض عاصمة ملكهم فتسلل اليه في الليل وبات في قصر امير الرياض من قبل آل رشيد ، فلما جاء الصباح وخرج الأمير كان عبد العزيز

وأصحابه في انتضاره ، فقتلوه ، فنودي في الرياض أن الملك لله ثم
للملك عبدالعزيز ، عندئذ بدأ في استرداد منطقة نجد ، حيث لقسى
قبولا من أهلها ومساعدة مسانده ، ثم قضى على حكم آل الرشيد
بعد أن فتح عاصمتهم " حائل " ثم صرف همه إلى استرداد الأحساء
وما حوله ، فلم يجد صعوبة في ذلك لضعف الدولة التركية ، وانشغالها
بأحداثها الداخلة في ذلك الوقت .

ثم وجه نظره صوب الحجاز ، وكان واليه الشريف حسون بن علي
من قبل الاتراك يتطلع إلى استقلاله والحداد به ملكا للحرب ، فاستغل
الاتراك فيه هذه الرغبة ، فسخروه لحرب الملك عبدالعزيز حتى يرجع
المهم ويبسطوا نفوذهم عليه ، فسور الحسين ابنه عبدالله على رأس سبعة
آلاف من الجيش النظامي ، مزودين بكثير من المدافع والرشاشات ، فجهز
لهم عبدالعزيز بن سعود سرية من ألف ومائتين ، فهجمت عليهم هذه
السرية ليلا ، وقتلت منهم خمسة آلاف ، وشرد الباقى وبهذا الانتصار
وبادها الشريف حسين الخلافة ، أعطى الملك عبدالعزيز ذريته
لحربه كابتدع حتى إذا تطلع الحسين إلى البريطانيين يلتصق منهم
المساعدة ، اكتفوا بالتخلي عنه ، لصالح القوة الجديدة ، وفي عام
١٣٤٣ هـ فتح الطائف ثم المدينة المنورة ، فتنازل الشريف حسين
عن العرش لابنه " طي " فبوج ملكا على الحجاز ، فأسرع بتجميع قواته
في مكة لصد هجوم الملك عبدالعزيز فلم يجد حوله الا مائتين من
الجنود فانسحب إلى جدة ، فحاصره فيها الملك عبدالعزيز سنة كاملة
استسلم بعدها ، فدان الحجاز للملك عبدالعزيز ، ثم استرد منطقة
عسير من الأدارسة بعد حملات بدأت في سنة ١٣٣٨ هـ وانتهت
سنة ١٣٥١ هـ ، فقم تكوين المملكة العربية السعودية . ولم تكن
هذه الأحداث الداخلية بمنزلة التطورات العالمية ، فالانجليز
بعد ما قامت الحرب العالمية الأولى يحرصون على ضم الملك عبدالعزيز
إلى صفوفهم مثل حرصهم على ضم الشريف حينما انضمت تركيا إلى
ألمانيا فكانوا يريدون من الحسين مساعدتهم على تركيا نظير العناداء
به ملكا على الحرب ، ويهدون من الملك عبدالعزيز الحياض ، مقابل

الاعتراف بامارتته واستقلاله ، وبعد ما ولاءاً الملك عبد العزيز اهتتم
الانجليز بمصالحته ومخالفته .

أما علاقته بالأتراك فكانت هدائه من مبدأ الأمر لحلفهم مع
خصه بن الرشيد في نجد ، وفي الحجاز لكن قوة الملك عبد العزيز
أستطاعت أن تفرض احترامه ، فبعد أن بسط نفوذه في نجد هزل القوات
التركية ، فتفاوض معهم بين الحرب أو الجلاء عن نجد ، فاخترنا الثانيه ،
فجهزهم الملك عبد العزيز ، وحملهم الى المدينة ، فالصراق ، فشكروه
السلطان عبد الحميد على حسن معاملته لجنده ، وكرمه معهم . وقد
دخلت العلاقات بينه وبين الأتراك طورا جديدا ، فقد عرف الأتراك
مكانته وأملت عليهم الظروف مخالفته ، ففاوضوه ونجحت المفاوضات في
تقرير العلاقات الودية بالسلح والعال ، لكن حال دون ذلك قيام
الحرب العالميه الثانيه دون تنفيذ هذه الاتفاقية . وبعد أن وحسد
الملك هذه السلطة المترامية الأطراف ، أخذ في الاصلاحات الداخليه
والبناء وتحضير الهاديه حتى آتت كلها في الوقت الحاضر .

وقد كنت ملزما بإيراد هذه الادوار الثلاثة على بعد ما بينهما
لأنها تشكل حلقة لا يمكن فصلها ، ولأبين أن العصر الذي عاش فيه
ابن بلهيد كان امتدادا لعصر اتسم بالصراع من أجل السلطة . فقد
واكب ابن بلهيد هذه الأحداث ، وسائر تلك المخاطر والصعوبات ، فكان
مولده بعد نهاية الدور الثاني للدولة السعوديه ، وقد فتح عينيه
ليجد الجو جو صراع ، ونشأ ليرى الدولة السعوديه وقد عادت في دورها
الثالث ، فيتجدد الصراع والقتال ، وعاش ليشاهد هذه الحروب وقد
هت جميع أنحاء الجزيرة ، وقد اتخذ ابن بلهيد لنفسه موقفا من بين
تلك القرى المتصارعه بعد أن عرف الأصلاح ، فتمصب له ، ورهن نفسه
في سبيل خدمته ، فشارك في قيام الدولة السعوديه الثالثه على مبدأ
جلالة الملك عبد العزيز خير مشاركه ، فسخر بهائمه وبنائمه
للتجيد والاشادة بالدور الذي قامت به هذه الدولة العاصمه

في توطيد الأمن ، وتوحيد تلك الاجزاء المتاعده ، والسير فسي
طريق السروق والتقدم فكان في نشأته محاصرا لتلك الصعوبات
وفي حياته مسائرا لتلك الأحداث ، بل ان مكانته فرضت عليه
ان يحمي في عضبها ، ويشترك في تسيير دفتها .



"الفصل الثاني"

"عصره من الناحية الاجتماعية"

كانت نجد في النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري قد بلغت من الاكتظاظ بالمفاسد والآحلال الخلق والديني والاجتماعي والسياسي ، الى أهد حد من الانحطاط والانحدار ، ولم يكن هناك أي رابطة اجتماعية تجمع أهل هذه البلاد ، فكان لكل بلدة أميرها الخاص ، ولكل قطين من البادية أميره الخاص ، وكانوا جميعا لا خلاق لهم ولا ارتباط بينهم ، في حين تغير القرية على القرية والقطين على القطين ، واصبحت خلاء من الاسلام الا من بعض مظاهره الشكلية التي لا تسمن ولا تغنى من جوع ، فباتوا فوسيات عميق لفهم في جلبابه السميك ردا من الدهر ليس بالقصير ، حتى أسو وكانهم يمثلون امتدادا للحياة الجاهل به الأولى +

ولا ريب أن للحكم التركي اليد الطولى في نشأة واستفطال تلك التثنية الذي نكب به العرب والمسلمون في مختلف أقطارهم ، مما أخذ جذوة الفكر ، وأمات الروح العقلية ، وسبب تغير معالم الدين ، وضمف سلطان البصيرة ، وخفوت النور الاسلامي في نفوس المسلمين حتى أصبح للجبل الضارب بأطنابه على أنحاء العالم العربي والاسلامي ، السلطان المطلق ، والقول الفصل ، في تسيير دفة الناس نحو المص السائب والحيرة اللاتناهية . . .

وكانت هذه المواطن ان ذاك لا تربط بين جزء منه وآخر رابطة ولا تجمعهم آصرة ، بل هو ملك الأوصال معثر القوى ، فعلى الرغم من أنه يعد المركز الأول للروحانيات في العالم ، لم تقم فيه حينذاك روح اسلاميه صحيحة واعية . تعلم معتقيها البذل والفداء في سبيل اعادة مجد المسلمين وتجديد دينهم بعد أن كاد ينسدرس ولتتقيه ما خلق به من آوضار الجهالات والخرافات والهدع ، بل والشركيات

المصارخه والانحراف العرّيج من جادة الحق وسبيل الرشاد ، يضاف الى
فقدان هذه الروحانيه السليمه الشامله ، فقدان الوعي القومى ، الذى
يفترض فيه أن يخلق ويوجد للعرب كيانا مستقلا نيرا تتوحد فيه كلمتهم ،
وتتحقق أهدافهم ، وتخفق عليه راية دينهم ؛ ولكن داء الجهل المطبق ،
وبالتالى داء التواكل وعدم الشعور بالمسئولية ، جعل هذا الوطن يغط
ساردا فى غفلته المزريه ، والتي رجعت به الى الوراء زمتا طويلا ، خنقت
فيه الروح العقلية ، كما أمرضت الروح الدينيه ، والتفتت هذه الأمة الى
ما حولها ، فلم تجد الا أن تمشى على ما لديها من رصيد قديم تسربت
اليه عناصر الافساد عصور طويله ، ثم أغفلها التاريخ من حسابانه فلم
يصلنا عن مجرياتها وطابعها المميز الا الترتيل يسور .

لقد حرصت الدولة العثمانية على ابعاد البلاد التى تحكمها
عن التيارات الفكرية والسياسية والاقتصادية ، التى كانت تزخر بها أوروبا
فى عصر النهضة الحديثه ، فحالت بين العرب والنشاط العلمى ، وأغلقت
المدارس ، حتى انتشر الجهل ، وفشت الأمية ، وسادت الخرافات واقتصر
النشاط العلمى على العناية بالقشور دون اللباب ، وسيطر الجمود
على الأفكار ، وانهدرت الحياة الى مهوى بعيد ، وهكذا بلغت
هذه البلاد ، من الضعف ، والتأخر ، والجمود والعزله وقاست من
الظلم ألوانا شتى ، وانقلب أهلها الى أدوات للانتاج فى الحكومات
الغربية عنهم ومع ذلك كله لم يفكروا خلال هذه القرون الطويله فى
الاستقلال عن السلطان والتخلص من مظالم الحكام ، رغم الضعف الذى
شمل العثمانيين داخليا وخارجيا ، وذلك تحت تأثير العامل الدينى
فقد فهموا أن الدين يوجب عليهم الخضوع والولاء للخليفة العثمانى ، وأن
الخروج عليه يمكن الدول الاوربيه المسيحية من السيطرة على بلاد العرب
والمسلمين ، فصبروا على حياتهم هذه وهم كارهون .

ولقد كان لهذه الحالة أثر خطير غاية الخطوره فى انحرف
المسلمين عن الاسلام ، وهدمهم عن حقيقته ، فقد تسربت الى الدينى
على مر العصور رواسب من الديانات والنحل القديمة ، التى كان

قد تغلب عليها الاسلام ، ثم دخلته بدع وخرافات كثيرة ليست منه فسسى
شئ ، وكلما بعد العهد بين المسلمين وصر النبوه ، زاد بعد هم
عن حقيقة الدين ، وانحرفهم عنه ، حتى طغت البدع والضلالات على
عقولهم وتمكنت من قلوبهم ، ثم توارثوها جيلا بعد جيل على أنها
هى الاسلام والاسلام منها براء .

وساعد على ذلك انتشار الجهل وقلة العلماء ، وحتى هؤلاء -
اشتغلوا بالقشور دون اللباب فكان الواحد منهم يقضى عمره معلما أو متعلما
فى حفظ كتاب الف فى عصر الانحطاط العلمى ، وفى حل مشكلاته ، وعقده
اللفظية ، وتطورت الحالة الى ما هو أسوأ ، حتى ارتكس المسلمون فسسى
جاهلية كاجاهلية الأولى ، سيطر فيها رجال النحل المتطرفه ، ووجهوا
اتباعهم الى تقديس الموتى والأولياء والصالحين ، ثم نزلوا بهم درجة
أخرى ، حتى حطوهم على تقديس الاشجار والاحجار ، فاتجهوا اليها
بالعبادة والتعظيم ، وكان كلما تجدد الزمن على المسلمين كلما زادت معه
الأكبه عددا ، وتزداد بذلك نفوسهم ذلة ، حتى وصلت الحالة بالمسلمين
الى فقد سيادتهم ، وانهباهم هزمهم فما وفى القرن الثانى عشر الهجرى
حتى اصبح المسلمون ، مسلمون بالاسم ، ولو سألت أحدهم عن حقيقة
الاسلام الذى يؤمن به وعن أركانه أو معنى " لا اله الا الله " لم يحرجوا
باصحيحها ، فالاسلام فى نظره هو ما ورثه من آباءه وأجداده من
تعاليم فاسده ، وخرافات وبدع ضاله مضلة ، وقلت عناية المسلمين بأداء
واجباتهم ، وغفلوا حدود الله فانقلب الاسلام غير الاسلام .

تلك كانت حالة المسلمين عامة فى أوائل القرن الثانى عشر
الهجرى ، وربما كانت هذه الظاهرة فى نجد أوضح وأهف ، بل هى
كذلك ، فطبيعة البلاد ، وتفرق البدون فى انحاءها ، وانتشار الأمية
بينهم جعلهم مرتما خصبا للضلالة والانحراف ، وقد عقد ابن خلدون
مؤرخ نجد ، فى كتابه " روضة الأفكار والأفهام " ، الفصل الأول " لبيان
ما جرى فى تلك الأزمان من الشرك والضلال والغلل والطغيان فسسى
نجد ، وما ذكره قوله " وعدلوا الى عبادة الأولياء والصالحين ، وخلصوا

ريقة التوحيد والدين ، فجددوا في الاستغناء بهم في اللوازل والحوادث
والخطوب المفضلة والكوارث ، وأقبلوا عليهم في طلب الحاجات وتفريغهم
الشدائد والكربات من الأحياء منهم والأموات ، وكثير " يفتقروا
النفع والاضرار في الجمادات كالأشجار والأحجار (١) . ثم عدد القبور
والأماكن والأشجار المعظمة في قلوبهم ان ذاك ، فذكر قبر زيد بن
الخطاب في الجبلية ، وقبر ضرار بن الأوز ، وشجرة الطرفية ، وقار بنت
الأمير قرب الدرعية وقد أفاض في ذكر ما يفعله الناس من منكرات حصول
تلك القبور والأماكن ، وبين مدى سلطانها في نفوسهم ودهبتهم منها
، وما ذكره من تلك الاعتقادات قوله " وفي بلدة الغدا - ذكر النخل
المعروف " بالفحال " بأتونه النيباء والرجال ، ويفدون بالبكر والأصاال
ويفعلون عنده أقبح الأفعال ، ويتركون به ومعتقدون ، وتأتيه المرأة
اذا تأخرت عن الزواج ، ولم تأتيا لفكحها الأزواج فتضه بهد يهيا
بحضور ورجاء الانفراج وتقول : " يا فحل الفحول ، أريد بعلا قبيل
الحول (٢) "

ولم يبق مهاد من مهادى الجهالة والضلالة الا اتهموه سداجة
نهم وجهلا ، وقلة ادراك لما يحصلون ، لقد كانوا يتكلمون تماما على
التعاويد والتعائم ، وأضاليل المشعوذين والنجمون ، ويدعون الشمس
من وجوهه ، توسلا بأباطيل السحرة والدجالين ، حتى في الاستسقاء ،
ودفع الهلاء ، وقد ترتب على انحراف العقيدة ، انحراف في العمل ،
فمادوا الى سيرتهم الجاهلية الأولى ، فماشوا من الغزو والحرب ،
واستباحوا الدماء والحرمان والأموال ، وكثرت الغارات والحروب ، وتقطعت
الأرحام ، وخيفت السبل ، ونسيت شريعة الله ، وسيطرت شريعة
القباب ، يأكل القوى فيها الضعيف ، ورائت على الأيصار غشاوة ، وعلى
البصائر أربان ، فعموا وصموا وكانوا كالأنعام بل هم أضل ، ولكن

(١) روضة الأفكار والأفهام - حسين بن غنام ص ٧

(٢) المرجع السابق ص ٧

الله رحيم بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى توحيد تلك المعتقدات
والخرافات ونجح بعد جهد جهيد في نزع تلك الأفكار العقيمة
العالقة بالقلوب ، فحسنت الأحوال ، وهدأت الأمور .

ولكن لم يكف بأقل نجم الشيخ محمد بن عبد الوهاب حتى عاد
الوضع كما كان ، وذلك لتأصل عاداتهم وبعد جذورها ، ففترقت الدولة
الى بلدان كل بلدة لها حكم ونظام ، حتى صارت حياتهم في هذه الفترة
امتدادا للحياة الجاهلية الأولى ، بل هي صورة عنها ، اللهم الا ما لسه
اتصال بالمبادات وبعض الخادات ، كقتل المؤددة وغيرها من العبادات
الجاهلية التي قضى الاسلام عليها ، ولكنه لم يقض نهائيا على بعض
العبادات الأخرى كالغزو والنهب والتطاحن المشاعري بين قبيلة وأخرى ،
والتمييز القبلي بين مواطن ومواطن كل هذه الاشياء ظلت كما هي فس
هذه الفترة . وتزداد تلك المظاهر وغيرها كثير في مطلع هذا القرن فلقد
كانت الجزيرة العربية وخاصة " نجد " تعاني الشيء الكثير من تفكك
الأمن ، واختلال الكلمة ، فكانت الحروب الطاحنة قائمة على قدم وساق ،
فكم من الدماء الزكية اريقت وكم من النفوس الطاهرة أزهقت من أبناء
هذه الجزيرة الذين يدعون عن بكرة أبيهم بمقدودة واحدة وهي عقد بيعة
الاسلام ، وهذه هيون مذهب الامام أحمد بن حنبل ، وعلى هذا الاعتبار
فان الخلاف بين المتخاصمين لم يكن جذريا وانما هو خلاف في سبب
الزطامه والسلطه ، وقد يكون الأمن في داخل المدن موطدا بمس
الشيء ، ولكنه لا يتجاوز نطاق المدينة حتى يفتقد ، فالسافر بك
مهددا بالقتل أو السلب من الهاديه اللهم الا أن يكون معه رفيق يحميه
من سطوة القبيلة التي يمر بها المسافر ، بشرط أن يكون هذا الرفيق من نفس
القبيلة التي يمر المسافر بأرضها ، والا فسوف يكون عرضة لأذى فـارة
من غارات الغزاة الذين لا هم لهم الا الغزو والسلب والنهب .

ولم يكن قصد الهدوم من هذه الأحوال ماديا فحسب ، بل ان الغاية
الحقيقية للنهب والسلب هي ابراز الشجاعه ، لأن الأهراب يمتدحون
شجاعه الحروب والقوة في البطش والمهارة في النهب والسلب هي المسـيرة

العظيمه التي يقدر ويحترم من أجلها العربي في محيطه وبين أهله ، فاذا فقد المرء هذه الميزه فقد كل شيء من معاني الاجلال والاحترام . لا عند رجال قومه فحسب بل حتى عند النساء ، ان قيل أن يجد من تسبها الحي فتاة ترضى بأن يكون لها زوج ما لم يكن مغوارا كسابها لا بل الأعداء وهابا لها يقدر ما يستحون عليها ، وقد ساعد على وجود تلك المظاهر الرديئة وأمثالها ، ما تعانيه البلاد من البؤس والحرمان ، حيث وصلت الى أشد ما توصف به من سوء الحال في شتى النواحي العامه ، فقد كانت المعيشه في تلك الفترة قاسية جدا ، فالقوت الرئيسي يتمثل في التمر بالدرجة الأولى وهو شحيح ، وكثيرا ما تحل بهم موجات وأزمات من الجوع فيكون الموت مألوم ، لقد كانوا منطوين على أنفسهم ، والأحداث تلفهم ، ويحسبون أنهم ما خلقوا الا للصراع ، ولم يكن هذا ليكن ، لولا أن أفكارهم مغلقة ، وعقلياتهم متحجرة ، يستمدون مفاهيمهم من وحى الجهل ، ويسيروا الى المجهول بدون تبصر ولا رويه .

ولم تندثر تلك العقليات المتخلفه الا بعد أن وحد الملك عبد العزيز الجزيرة العربية ، وأشع فيها بنور العلم فأخذت تلك العقليات تتلاشى بعد أن واجه الملك عبد العزيز منهم كل معانات وتعيب .

ولأصور بعضا ما يدل على سذاجتهم وقلة تصورهم : أن الملك عبد العزيز لما استولى على حائل سنة ١٣٤١ هـ ، وجد عند أمرهها السابق ، سيارة يستعملها لركوبه ، وقد أدخلها المستودع بعد أن انتهى وقودها ، وكان المفروض أن يجلب الملك عبد العزيز وقودا لهذه السيارة لاستعمالها ، ولكن الجنود المخلصين لم يتركوا للملك فرصة التفكير باستعمالها ، بل كان أول عمل مقدس تقربوا به الى الله ، أن حطموها تحطيمًا عنيفا على أنها من صنع الأبالسة أو الجان

ولشد ما كانت الدهشة والمفاجأة عندما جاء اللاسلكي "اللى البلاد" ، وقد كانت الضجة الكبرى والمعارضة الشديدة من قهل رجال الدين أكثر من غيرهم ، واذا كان رجال الدين الذين بيدهم أزمرة

الفكر الشعبي والتفكير القومي يعتقد الكثير منهم أن استعمال اللاسلكتسي رجس من عمل الشيطان وأن آلة الارسال لا تتحرك الا بعد أن يذبح لها كهن أسود كقرهان للشياطين ، أقول اذا كان رجال العلم هم الذين يؤمنون بمثل هذه الخرافات ، فما بالك بسواد الشعب الذين هم أداة بيد رجال العلم .

تلك صورة مصغره من تفكير ساكني الجزيره في تلك الفتره ، بل وما بعدها بمدة ليست بالقليلة .

ولم يكن الشيخ محمد بن بلعيد بمعزل عما يجري ، فلقد عاش تلك الأحداث ، وصارع تلك الصعوبات وان يكن قد عاش في كنف الأسره السعوديه بعضا من حياته كحياة ارسقراطيه ، الا أن هذا لم يمنع أن يصله من تيار عصره بعض المشاق ، وأن يصطدم بما في بيئته من بؤس وتعيب ، وان نسي كتابه صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار " ما يعطى عن تلك البيئه أحسن صورته ، ففيه من القصر التي تحكى عما واجهه وما يدور حوله ، ما يوصل القارى الى حقيقته تلك البيئه التي كان تأثيرها عليه - فيما أرى - سلبياً .

**
*

” الفصل الثالث ”
~~~~~

” عصره من الناحية الثقافية ”  
-----



ظان الأدب العربي محافظا على جزالته وقوته اللفظية والمعنوية  
مفد العصر الجاهلي حتى صدر الاسلام ، فدولة بني أمية ، فالدولة  
العباسية مع ما دخله من مظاهر الحضارة والمدنية التي ظهر أثرها واضحا  
على الأدب شعرا ونثرا ، ولكنه مع ذلك محافظ على قوته ومثاقته ، ومع تباين  
العصر العباسي بسبب تباين خلفائه ، ومع ما حصل فيه من التمزق  
نوعا ما ، فان الأدب لم يتزعزع ، وانما تأثر تأثرا بسبب البيئة التي يعيش  
فيها من حالة حرب أو سلم ، وتشجيع الخلفاء ونحو ذلك ، حتى انه في  
عهد التقسيم والتجزؤ الى دويلات صغيرة فيما قبل التتار لم يضعف  
شأنه ، بل زاد قوة ورصانة لتنافس هؤلاء الحكام على نشر العلم والأدب ،  
فكان هذا العصر من أقوى عصور الأدب ، فدونت الموسوعات العظيمة  
التي لا تزال تنطق بها وصل اليه العرب من تطور ونهوض في هذه  
الناحية وغيرها من النواحي .

وبعد تدهور الخلافة العباسية وانحدارها نحو الضعف ، وتدهور  
الأعاجم لمناصب الخلافة ، أخذ الأدب يضر ويضمحل شيئا فشيئا  
لعدم العناية أو الاهتمام به وفقد من يتذوقه ، ثم أخذ الأدب في  
الانحطاط حتى عجز الشعراء عن محور الشعر الأصلية ، فاستحدثوا بحورا  
وأوزانا تناسبهم وتمشى مع عجزهم ، ثم وقعت الدولة الاسلامية بمرور  
التتار ، فكانت الضربة القاضية على الأدب ، حيث احترقت أكثر كتبه ،  
واغرق الكثير منها ، ونقل بعضه الى الدول المستعمرة ، وضع الكثير  
بين ناهب ومخرب حيث لم يجد له مدافعا ولا ناصرا ، فعند ذلك العصر  
ماتت الحياة الثقافية موتة لا حياة فيها ، حتى ظن الناس أن اللغة  
العربية والأدب العربي ، لن يعودا بعد ففأثما حيث تسلطت العامية  
ونفت في الناس ، وكادت العربية تفنى حتى من اربابها ، لولا حفظ  
الله تعالى لها لأنها لغة القرآن " انا نحن نزلنا الذكر واناله لحافظون "

وقول بعد العتار عدة خلافات اسلاميه ، ولكنها لم تكن باللغة العربية  
والأدب العربي لعدم وجود الدافع الى هذه الناحية ، وهو استيلاء  
المنجم على الولاة والقواد ، وعدم وجود القابلية المدافعة للأدب العربي  
شعرا ونثرا ، فانحط الأدب تمام الانحطاط ومر بأزمة لم يؤمل أن يمسود  
مرة أخرى بعدها ، خاصة وأن الأدب يحتاج الى أذواق سليمة صافية ،  
تقدر ألفاظه الطرية ، وسمانيه القوية ، وتشبهاته الجذابة ، ثم ان الحرب لم  
يهتموا بلمغتهم العربية ورعايتها والمحافظة عليها ، لأن الدولة العثمانية  
لم تهتم بها ولم تولها شيئا من عنايتها . فكان لهذه العوامل المتناهية  
على الأدب العربي أثره في تأخره ، وباجتماع هذه التيارات ظل الأدب -  
مفوض المصنفين ، حتى جاء عصر النهضة الحديثة حيث عاد الينا بعض  
ما كنا نتوقع أنه لن يعود من أدبنا وتراثنا ، مع ما خلفه ذلك الانحطاط  
من أثر سيء على ثقافته العربية .

ولقد كانت نجد في الجاهلية والاسلام محفلا للأدب ، ومقتدى  
فسبح للشعر والشعراء ، ومنتجما للملمحين من عباقرة الفكر ، وقادة الفنون  
العربية الرفيع ، الذين خلفوا للأمة العربية ثروة هائلة من سجلات حياتهم  
الأدبية الحافلة بكل ألوان الحياة وظروفها ، وأحوال بيئاتهم ومجتمعاتهم ،  
فكانت مدرسة لهذا الفن ، تمد بمعطياتها الشعرية والشعرية كسائل  
ذواقة للشعر محبا للأدب .

وليس من شك في أن نجدا خلال قرون حضت كانت المنبذى الزاهر  
لدولة الشعر والأدب والمنتجع الفسح للفصاحة والبلاغة ، والأنشودة  
الحذبة على كل لسان ، وكان خلفاء بني أمية يتعشون أبناءهم لتلقي  
الأدب ، والتدرب على اكتساب الفصاحة ، والتحلل بالشيم العربية على  
أبدي دهاقنة العلم والأدب في صحراء نجد ، وبين مضارب الخيام  
ومواقع الانعام .

فمر أن الدهر دال بدولته حتى صار الشعر الماصر في هذا  
الجزء من الوطن قد أصبح حلقة مفقودة من حلقات الأدب العربي  
الحديث .

وهذا ما يحز في النفس كثيرا ، فقد اختفى الشعر في نجد حتى طواه  
النسيان ، واحتواه الضياع ، فلم تبق له آثار تذكر منذ التولية بيدي  
المعاصرين حتى قيام دعوة الشيخ محمد عبد الوهاب ، وأصبح الأدب النجدى  
في تلك العصور المظلمة ، حلقه مفقود ، ذهبت في ذمة التاريخ الذي  
فقد لهذه المنطقة هو الآخر .

ومن الطبيعي والحال هذه الا يحرف عن أمر الشعر في هذه  
البلاد - نجد - شي في تلك الفترة ، الا أن النفس أبت أن تسلم  
بموت الشعر في بلاد هي التي انجبت وأرضعت ، لما امتازت به طبيعتها  
- التي طالما صبغت أفصح الشعر في كل صقع من الأرض وفي كل زمان  
بأبداع الألوان والصور . . وفي زحام الفكر الذي استيقظ على صيحات النذير  
منها أمة العرب والاسلام خطورة البقاء على تلك الجاهلية الجاهلة ومبين  
ومضات الانتصار وبشائر توحيد كلمة العرب تحت راية الاسلام الذي أقام  
في قرونه الأولى حضارة لم يشهد التاريخ لها مثيلا ، في هذه الأثناء  
تحركت اوتار القلوب الشاعرة ، واستلهمت قرائح الشعراء النجديين من  
واقصمهم ، شعرا جيدا فيه من جودة التصوير والتعبير بقدر ما فيه من  
ازد واجبه التحميس والتبجيل والفرح بانتصار الدعوة وقيامها . يقول  
الدكتور طه حسين " وفي أثناء هذه الحركة العنيفة ظهر حول الأمراء  
المجاهدين من أهل نجد ، جماعة من الشعراء ، أخذوا يفخرون بانتصارهم  
في المواقع ، ويمتدرون عما يصيبهم من الهزائم ، وليس من الممكن أن يقال  
أنهم جددوا في الشعر وأحدثوا فيه ما لم يكن ، ولكنهم على كل حال  
عادوا به الى الاسلوب القديم وأسمعونا في القرن الثاني عشر والثالث  
عشر في لغة عربية فصحة ، هذه النغمة العربية الحلوة التي لم تكن تسمع  
من قبل ، هذه النغمة لا يقلد صاحبها فيها أهل العصر ، ولا يتكلف  
فيها الهدى ، وإنما يبعثها حرة ويحطها كل ما تجيش به نفسه من عزة  
وطموح الى المثل الأعلى ، وروضة قوية في أحياء المجد القديم (١) ولمصل

---

(١) ألوان - طه حسين ص ٤٦

الدكتور طه حسين قد فاته أن يذكر أهم العوامل التي واكبت بعث  
الشعر من جديد آن ذاك في ربيع نجد ، تلكم هي التفاعلات الشعبية  
والنوازع النفسانية والشعور بالنقلة الاجتماعية ، التي اضطرم أوارها  
بعد ظهور دعوة الشيخ المجدد ، فيما بين فئات شايحت الدعوة الإصلاحية  
هذه وناصرتها بالسيف واليد واللسان ، وبين فئات عارضتها وناصرتها  
المداء ، ولكن باللسان والجراح فقط .

ونحن عندما نتبين أهداف الدعوة ومقاصدها ، يظهر لنا واضحا  
جليها أنها انما قامت من أجل تجديد طمة المصطفى عليه السلام ، وتنظيف  
الاسلام من رواسب العقول الفاسدة التي تعارضه في عصوره المختلفة  
منذ بدء الخوض في مسائله في أواخر عهد بني أمية ، الى قيام المصلح  
الأول محمد بن عبد الوهاب ، ومن هذا الحزم السريع لأهداف الدعوة  
يتبين لنا ، أنها انما كانت تعنى بالجوانب العلمية البحتة ، لكونها  
أساس ما قامت الحركة من أجله ، فلا ضمير عليها اذا هي لم تؤسس  
في الشعر - أول الأمر - تأثيرا مباشرا ، على خلاف ما كان بالنسبة  
للخطابة وكتابة التأليف .

أشف الى ذلك أن الشعر كان عند الكثير من العلماء غير مرغوب  
فيه ، بل ربما عبده بعضهم من الأمور العزبية بالعالم ، ولعل نشوء  
تلك النظرة كان مصدره أمور دينية كتعريض القرآن الكريم بالشعر  
ولكن هذه النظرة خفتت ثم اختفت بعد أن اضطرب الشعراء لأن يجعلوا  
من شعرهم حاميا لهذه الدعوة ، اذن فرد الفعل العنيف الذي أحدثته  
هذه الحركة - لافق أول نشأتها فحسب بل والى أمد طويل من السنين  
التي تلت بروزها على المسرح الحالى - كان أبرزها فز الصهرت فسي  
بوتقته قرائح الشعراء في نجد بوجه خاص ، وفي خارجه بوجه عام .

يضاف الى ذلك ما كان من نتائج تلك النهضة الدينية على الناحية  
السياسية ، وتأثيرها البالغ على مجرى شؤون الحياة العامة ان ذاك ، فقد  
كان من أول وأهم نتائجها السياسية قيام الدولة المسمودة بقيامها  
تدريجيا ، وتوحيد أجزاء كثيرة من جزيرة العرب تحت لواها لسيادة

الدولة الناصرة للدين ، والمنتصرة بالدين ، وطمحى أن يكون للشعر أثره  
البحيد التأثير والفعالية في ساعدة الفكر العربي على التطور والانطلاق  
من قيود الجهل والجمود ، التي كانت تشده الى الوراء قرونا وقرونا .

غير أن الشعر في نجد وفي الحقبه الواقعه بين حوالى منتصف  
القرن الثاني عشر الهجرى وحتى عهد قريب جدا أى الى ما قبل الثلاثين  
سنة الأخيره ، كان هذا الشعر يهجر الى حد ما عن بعض جوانب الحياة  
وخاصة الروحية منها ، ولكن بمقدر ضئيل جدا ، إذ كانت أغراض الشعر  
في تلك الفترة هي هي نفسها . . . الأغراض التي كان يتناولها الشعر  
ويطرقها الشعراء والتي لم تخرج عن اطار العدايح والثرثاء والهجاء . . . الا فيما  
ندر ، وصحما قلنا عن الشعر في تلك الفترة من تاريخ النهضة في هذا  
الربيع من بلادنا ، وما بلغه أربابه من احكام وتجويد ، فانا لا نستطيع  
أن ننكر أنه كان شعر صحاكاة وتقليد في جملة ، كما أنه لم يكن متشبيها  
مع التعبير الفكرى الذى واكب تلك الحركة الاصلاحية وعاشها بكل شعوره  
واحساساته ، ذلك أن أساليبه التعبيرية وموضوعيته الضيقة كانت كلاسيكية  
لم تتغير في مفاهيمها المألوفة ، أما في الصياغة والاسلوب فقد  
أحرز قصب السبق في الانتقال به من طول الى طور ، فقد تحسن الشعر من  
هذه الناحية تحسنا كبيرا على خلاف ما كان عليه في العصور التي فسدت  
فيها اللغة وفسد الأدب حتى أصبح صناعة لفظية ، فقد تركوا ذلك  
التكلف وأصبحوا يرسلون الشعر سجية وطبعها لا عطفها .

ان شعراء الفترة التي سبقت بزوغ فجر النهضة الحديثة - جلهم  
ان لم يكن كلهم - نظامون وليسوا شعراء بالمعنى الصحيح للشعر ،  
وأغلب انتاجهم الضحل يمثّل في العدايح المحشوة بخريب اللغة وحوشيتها  
والثرثاء النادب ، ونظم بعض المتنون العلميه من عقائد وفقه وما شابهه  
ذلك .

ولعل من اسباب ضعف الشعر في تلك الحقبة الطويلة بنجس  
وغيرها ، أن الشعراء - كغيرهم من المثقفين - لا يجدون الفسداء  
الفكرى الدسم ، ان ينسدر وجود الكتب الأدبية الرفيعة في متناول

أيديهم ، مما يجعلهم يتهلون من محبتها الصافي أديها قويا طيقا بالحيوية  
والخيال الخصب والذي ينس ملكاتهم ويصقل مواهبهم ، فيما لو وجدت  
وتوافرت لديهم هذه الأداة .

ورغم أن تغير الأوضاع السياسية وتطور الأحداث في أي بيئة  
أو مجتمع عامل مهم جدا للتأثير على الناحية العقلية ، فإنه لم يحدث  
للشعر هنا أي تغير تطوري هام ، خاصة من الناحية الموضوعية ، أما  
الصياغة فقد تحسنت في فترات متلاحقة تحسنا نسبيا ، وما كان مجرد  
في نجد من أحداث وزعاج داخلية طيلة هاتيك العهود ، لا تعدوا كونها امتداد  
للفوضى السياسية ، والتفكك الاجتماعي الضخم على البلاد حينذاك ، بسبب  
الجهالة المسيطرة على أكثرية السكان ، لا في نجد وحدها بل في  
جميع أنحاء الجزيرة العربية ، وهذا العامل كان بدوره من جملة  
ما أهق على الشعر ضميرًا جامدا شكلا وضمونا .

وهناك عامل " لو حصل له حدوث في نجد تلك الأزمان ، لتغير  
الشعر فيها تغيرا ربما يكون جذريا ، ذلك أن نجد ، لم تلتق بأمة  
أجنبية قط ، مع أن التطور الذي يحدث في الفنون والآداب في عصر ما  
أكثر ما يكون ناشئا من التقاء أمتين أو أكثر .

وعموما فالحياة الثقافية في نجد - إلى ما قبل السنوات الأخيرة -  
رتيبة خاملة ، وكان الشعر وهو لسان من ألسنة الحياة ، وجذرا  
من كيائها ، رتيبا خاملا هو الآخر ، يجلله الليل الرهيب ، والسمت  
المطيق .

وإذا كان البحث قد أوجب علينا أخذ فكرة عن الأدب في تلك  
الحقبة من الزمن ، فإننا لن نجد خيرا ولا أرفع شعرا عن الشيخين  
" محمد بن عبدالله بن عثمان " و " محمد بن عبدالله بن بلهيد " .  
فهما يمثلان تلك الحقبة التي هاشها الأدب في نجد  
وخاصة منه الشعر - بحق وجداره .

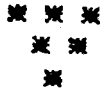
وإذا كان بن عثيمين قد درس واستوفاه ، فإن من حق ابن بلهيد  
علمنا أن نفرد له هذه الدراسة ، فهولا يمثل عصره فحسب ، بل هو  
فوق مستوى عصره بعدة مراحل من حيث الثقافة والعصق والشاعرية  
الأصلية .

\*\*\*  
\*\*\*  
\*\*

## ”الهباب الثاني“

”وفيه فصول“

- أ - نسبه وحياته
- ب - دراسته وثقافته
- ج - رحلاته وأسفاره
- د - صلته بالأسرة السعوديه
- هـ - مكانته ومنزله
- و - وفاته





" الفصل الأول "

" نسبه وحياته "

ولد الشيخ "محمد بن عبدالله بن عثمان بن سمود بن محمد  
الهديمي النجدي" سنة ١٣١٣ هـ تقريبا ، في بلدة "غسله" إحدى  
قرى القرائن ، وهي قرية لها ماض عريق في تاريخ نجد ، وهي التي  
عناها الشاعر سمره بن زهد المستطلي ، بقوله :

أيا ذات غسل يعلم الله أنني .°. لجوك . من بين الهلاد صديق  
ويا ذات غسل ريح أرضك طيب .°. كسك لقابن الصلاة سحيق  
والتي عناها ذو الوهم أيضا بقوله :

فقننا فرحنا والد وادخ تلتظي .°. على الميس من شمس بطي \* زوالها  
ولو عريت أصلا بها عند بهيس .°. على ذات غسل لم تشمس رحالها

وعنى أيضا ذات غسل ، المزود بن ضرار ، في شعر يخاطب  
به النبي صلى الله عليه وسلم قال :

تعلم رسول الله أنا كأنا .°. أفأنا بأنا ثعالب ذي فسيل

وقد انجبت ذات غسل كثيرا من الشعراء والأدباء منهم عبد الكريم  
الجهيمان ، ومن قوله فيها :

يا هذا ذات غسل في ملاوتها .°. وحيدا خطرات في ضواحيها  
وجلسة بالتقاف معشر نجيب .°. أحب الي من الدنيا وما فيها

وذات غسل والتي تعرف اليوم "بغسله" والتي ولد فيها شاعرنا  
وشأ ، تقع في وسط نجد وفي الهامة منه ، من سحر الهادية ونحرها

تبعد عن الرياض غربا بمئتي كيلا على طريق الحجاز ، وإلى شمالها  
مدينته شقراء المعروفة وقد أضاف لقب "النجدي" إلى اسمه في  
كتابات ، انتسابا إلى نجد التي ولد في أجوائها وعاش بين أقبائها ،

وحيث أمدته بالهاماتها ومشارعها ، فكان لزاما عليه أن يرد لتجد بعض ما أعطته من الشهرة والنبوغ ، فانتسب اليها .

وقد أخبرني ابن أخيه (١) عن سبب اضافة النجدى الى نسبه فقال : سألت من عن سبب اضافة النجدى الى نسبه فقال : اننى أرى المصريين حينما أذهب اليهم ، لا يعرفون من أدب الجزيرة الا أدب الحجاز ، بل يعتقدون أن كل من يذهب اليهم من هذه الأمكة ، انما هو حجازى ، لذلك أردت أن يكون لأدب نجد ، شخصية مستقلة عند المصريين .

أما قبيلته " البليهد " فلها مكانة كبيرة فى تلك المناطق ، وشهرة بالجوود والكرم ، وآل بليهد من " بنى خالد " القبيلة المشهورة ، أما مكانتها الطميه ، فكانت من الميزات التى من الله بها على أفرادها ، خاصة حينما كانت نجد فى سيات عميق من الجهل والظلام ، فهناك المالئمة عبدالله البليهد المتوفى سنة ١٣٣٧ هـ ، وهناك العالم المشهور عبدالرحمن البليهد المتوفى سنة ١٠٩٩ هـ ثم شاعرنا محمد البليهد ، الذى لم يقف عند حدود الأدب فحسب ، بل قاده نبوغه الى علوم الاجتماع . وقد ذكر صاحب كتاب " كنز الانساب ومجمع الآداب " حينما تكلم عن آل بليهد أن " آل بليهد فى الوشم وغيرها ، وفيهم علماء ومنهم الشيخ عبد الرحمن البليهد المتوفى سنة ١٠٩٩ هـ (٢) " وقد كان جده " عثمان " أميراً على بلدة غسلة التى ولد فيها الشاعر ، وبعد ما توفى تولى الامارة ابنه - وهو والد الشاعر - وقد بقى فى الامارة مدة طويلة ، اكتسب خلالها شهرة بالجوود والكرم والاتصاف بالصفات الحميمة الاصيله ، وقد كان لـ ولوع " بأخبار العرب والأعراب وتنقلاتهم وأشعارهم وبطولاتهم ما هيماً مناخاً لميشب ابنه " محمد " فى هذا الجو ، فقد كان بيت الاماره مقصدا لكل قادم لهذه البلده أدخله أبوه مدرسة القرية ليتعلم القراءة والكتابة ، وهذا

(١) الأديب : سعود بن عبدالرحمن البليهد ، سبب بالحركة الأدبية وتطورها ، كما انه سبب بأثاره ومؤلفاته +

(٢) كنز الأنساب ومجمع الآداب أحمد ابراهيم الحقل ص ١٢٨

مهتفى تلك المدارس فى وقته ، فخرج منها ، وحاد الى منزله والى مناخه  
الأول ليستمع الى أخبار الأعراب وأشعارهم " لمختلط معهم . فى هذه الفسبحة  
بدأت تظهر عليه علامات الفطنة والنبوغ والنظر الى ما حوله ، يقول فى  
بداية مذكراته حول طبعه هذا " كنت فى صغرى مشغولاً بحب الأعراب  
والاختلاط بهم ، وسماع حديثهم ، وحضور نوادهم ، والتعرف برؤسائهم  
واستماع اشعارهم ومعرفتى لفرسانهم " (١) أ - ه .

ويتطور هذا النبوغ فى سنة الثانية عشره حينما دخل ساحة المساجلات  
الشعرية لكبار الشعراء الشصبيين ، ليقف معهم موتف السند ، بل  
ان صغر سنه عامل لترجيحه على منافسه .

ولقد حكمت عليه ظروف الحياة الصعبة أن يدخل غمارها وهو فى  
هذه السن المبكرة " الثانية عشره " وكان أمامه لحياة طريقان لا ثالث لهما  
الزراعة ، أو التجارة ، فهذان هما المجالان الموجودان للحياة فى ذلك  
الوقت ، أما الزراعة فيدائه لا تكفى الا الفلاح وأسرته ان هى جادات  
والتجارة أيضا لا تعطى الا ما يكفى المؤنة أو أقل . وقد اتجه ، أو وجد  
نفسه متجها الى " الجماله " (٢) ، وكان هذا الاتجاه لأمرين :

### الأول :

أن اتجه قبيلته " آل بليهد " كان الى التجارة أكثر منه الى الزراعة .

### الثانى :

أن الله قد حكم على عمه " عبد العزيز البليهد " الذى يعمل تاجرا  
حكم عليه بفقد البصر ، وظروف الحياة فى وقته لا تسمح له بالجلوس طويلا ،  
فكان لزاما عليه أن يواصل طريقه الشاق من أجل العيش فاختر أقرب  
الناس اليه ، وهو ابن أخيه " محمد البليهد " وهو المعروف بـ  
أسرته بالنهاة والفطنة اختاره ليكون ساعده الأيمن فى سفراته ورحلاته  
وكان هذه الصعبة لعمه قد صادفت هوى من نفسه ورغبة ، على الرغم  
من صغر سنه الذى لم يشفع له بالبقاء فى المنزل ، يقول فى مذكراته

(١) صحیح الأخبار عما فى بلاد العرب من الآثار - محمد بن بليهد جده ص ٧٢  
(٢) وهى التجارة وتسمى فى ذلك الوقت بالجماله نسبة الى الجمال التى لها  
الفضل فى حمل البضائع من جهة الى أخرى .

" وأنا أول سفرة سافرتها وكان عمري اثنتى عشرة سنة بصحبة عم لى كفيف  
المصر يقال له " عبدالعزیز البليهد " بأخذنى لأجل أخيره بعلامات  
الطريق " (١)

فكانت هذه السفرة أول درس يأخذه فى الحياة العملية ، ثم أخذ يرافق  
عمه فىس جميع رحلاته ، يشاطره كل أخطارها ومطاعها ، الا أنهما  
من جانب آخر تشبع نهمه ، وتروى ظمأه المتعطش للمعرفة والتطلع وقد  
انفرد بهذه المهنة وهو فى سنة العشرين تقريبا ، بعد ما أقعد الكبر عمه  
فوسع رقعة تجارته ، وأخذ يجوب فيافى نجد ومراجعها وقراها ومدنها  
عارضاً تجارته فى هذا المكان ومستعيفاً من ذلك ، فكان يغيب الأيام  
والأشهر متنقلاً بهضاعته - ليبادل بها بضاعة أخرى - بين المراجيع  
والبلدان .

وقبل أن ننساق وراء هذا الجانب من حياته سنقف قليلاً لمناقشة  
الجانب الآخر من جوانب حياته الا وهو شاعريته ، وثقافته ، واطلاعه ،  
ومكانته العلمية ، فقد بلغ فى هذه الفترة من عمره شهرة كبيرة فى مجال  
الشعر والعلوم الاجتماعية .

وما منا قد تتبعناه من مولده الى هذه الفترة ، ولم نجد له دراسة  
منظمة الا معرفة القراءة والكتابة ، فان تساؤلات كثيرة ترد على أذهاننا ،  
فمن أين له هذه الثقافة ؟ وكيف وصل الى هذه المكانة الشعرية والعلمية ؟  
وما هى الخلفيات التى اعتمد عليها فى تكوين ثقافته ؟

لقد وفق الشيخ محمد بن بليهد بين عمليتين شريفتين ، ولقد وفق فى  
رؤى مصفوريين بحجر واحد ، ذلك أن القارىء لما سبق ، قد يظن أن أسفاره  
ورحلاته لفرض التجارة والكسب فقط ، مع أن هناك فرض آخر وهو المقصد  
وان كان خفياً الا أنه هو الحافز لأسفاره وتنقلاته ، هذا الفرض هو

(١) صحیح الأخبار " محمد بن بليهد - ج ٥ ص ٢٧٩

التحصيل العلمي ، ومهادلة السعاري والعلوم ، في جميع الأغراض والفنون ،  
لقد كان يسأل من عالم تلك البلدة أو شاعر تلك القبيلة ، قبل أن يسأل  
عن متطلبات تجارته وهضاعته ، وهو يفضل ضيافة المتعلم له بأدبه وعلو  
على التاجر بفنائه وكرمه ، من خلال هذا التبادل العلمي الذي يأتي فسي  
ظل التبادل التجاري ، يزهج نجمه ، وعلاصيته ، وظهرت شهرته .

على أن العلوم في ذلك الوقت وفي منطقة نجد بالذات ، كانت  
على قلتها تعتمد على الرواية والحفظ وأغلب تلك العلوم يتعلق بالديين  
ومثونه بعد قيام المصلح الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وقد غلب على  
الشيخ محمد بن بليهد حب الأدب وفنونه ، فراجع نفسه فوجد أن الاعتماد  
على السماع والرواية لا يكفي للاحاطة بأداب العرب وأخبارهم ، فبدأ من  
حينه يبحث في أمهات الكتب والمعاجم والدواوين فوجد أن نجداً تهجس  
عليه بمثل هذه الكتب ، عندئذ عقد العزم على أن يشد رحاله إلى الحجاز  
وهي ما زالت تحت ولاية الشريف حسين ، وفي هذه الفترة توطدت علاقته  
بجلاله الملك عبد العزيز آل سعود الذي وجد في تلك الفترة أغلب قرى  
ومدن نجد ، فكان لزاماً على الشيخ محمد بن بليهد ، أن يكون مساعداً  
لقيام هذه الدولة المنظمة ، فذهب إلى الحجاز وقد أضاف إلى غرضه  
الأولين غرضاً ثالثاً وهو : محاولة مساعدة الدولة السعودية على دولة  
الشريف ، وقد نجح في جميع أغراضه من الناحية التجارية أولاً ثم من الناحية  
العلمية ، حيث كثرت إتهاده ، لمكتبة الحرم المكي الشريف للاطلاع والقراءة  
ثم ذهب إلى مكتبة المدينة حيث يقضى معظم وقته فيها ، وقد قهر عليه  
خلال وجوده في المدينة من قبل الشريف حسين بتهمة تهريب السلاح  
للملك عبد العزيز آل سعود ، وحكم عليه بالقتل إلا أنه نجا بعد أن ساعدته  
الظروف على النجاة ، رجع بعد ذلك إلى بلاده نجد بعد أن مكث في  
المدينة ستة أشهر في المطالعة والقراءة ورجع بهضاعة كبيرة من الكتب والمراجع  
الأدبية والتاريخية فكانت تأخذ عليه أغلب وقته في حله وتكون بصحبته فسي  
ترحاله ، فقرأ الشعر العربي في جميع فنونه وأغراضه ، فلم نفسه لاقتصار  
شعره على الشعر الشعبي ، وفي هذه الفترة من الزمن كان الملك عبد العزيز

بواصل انتصاراته وفتوحاته ، وفي إحدى المواقع التي انتصرت فيها هـذـه  
الجيوش ، تفتقت - عند نشوة الانتصار - قريحه هذا الشاعر عن أولـه  
قصيدة عربيه وهو في سنة الرابعة والعشرين تقريبا فأجاد فيها ، ثم زاد ارتباطه  
بالأسرة السعودية ، حتى كان يرافق الملك عبدالعزيز في أكثر حروبه ومغازيه  
ثم آخذ من نجله الأمير فيصل صديقا ، فلما فتح الحجاز سنة ١٣٤٣ هـ ،  
تولى الأمير فيصل إمارته ، ومن ثم صار الشيخ محمد بن بليهد مرافقا له في  
غدواته وروحاته ، وطلق مهنة التجارة حيث وجد الرعاية والعطف من صديقه  
الأمير فيصل ، وقد كان من دواعي ترافقهما وتوافقهما ، التقائهما في  
المواهب الشعرية ، وحب آثار العرب وآدابهم وأخبارهم ، فكانا يحقـدان  
الندوات الأدبية مع من يحضر من أدباء الحجاز للمناقشة في الأدب وشعونه  
والبحث في آداب العرب وأخبارهم ،

وكان قد تزوج زواجه الأول وهو في سنه الثلاثين تقريبا وهو في  
بلدته "فسله" ومن ابنة "سعد بن سالم" فلما كثرت أسفاره وتمسرف  
على رجل من أهالي بلدة "الشعرا" ، يقال له عبد الرحمن بن خلفه  
تزوج من ابنته "ساره" بعد ما أحبها ، فقسم حياته بين زوجته ، فسكن  
كلا البلدين متجسما هنا السافه البالفة مئتي كيلا ، ولكن الأخيرة  
توفيت ، فأوقدت بوفاتها نار الحرقه في صدره وكادت تطفى نور الحياة  
في قلبه ، فرثاها بقصيدة تظهر كلاًه وتبين سأمه ، يقول في مطلعها :

تصرمت الأواصر والرمسان . . من الدنيا وهل ينسني الكلام

الى أن قال :

ينفس ما يطيب لها شراب . . على شحط المزار ولا طعام

فما لي بعد رحلتكم مراد . . بتلك الدار يذكر أو مرام

فألقيت الحقائق من ركبتي . . على الشعرا وساكنها السلام (١)

ولكن هذه القصيدة لم تدبّل حرقه نفسه ، والأيام لم تطفى لهيب حزنه

فلم ير أمامه الا أن يخطب أختها من أبيها ، فتم ذلك وتزوج بها ، السى  
أن توفي عن ثمانية من الولد ، ثلاث بنات وخمسة ذكور وهم ، عبد العزيز ،  
وعبد الله ، وعبد الرحمن ، وعمر ، وسمود .

وكان رحمه الله الشاعر الأول للدولة السعوديه ، يذود عنهم ،  
ويدافع بكل ما أوتى من قوة في اللسان فأراد الملك عبدالعزيز أن يبعثه  
الى مصر ليمثل المملكة في مؤتمر مبايعه شوقي بامارة الشعير ، الا أن ظروفها  
منعت هذا السفر .

وقد أسند اليه الملك عبد العزيز العديد من المهمات والمناصب  
التي تقلب بها ، فبالاضافة الى مرافقته للملك عبدالعزيز ، فقد عينه سنة  
١٣٤٠ هـ جابيا للزكاة من القبائل الشماليه ، وفي عام ١٣٤٦ هـ عينه  
وزيرا لمالية الطائف ، وترك هذا العمل سنة ١٣٥٠ هـ ، وهو خلال تقلباته  
هذه لم يتخل عن الدراسة والمطالعه ، بل بدأ بالبحث والتحقيق ، فكان  
يدون أشعاره ومذكراته ، كما كان يدون ما يتعلق بمؤلفاته من ذكـر  
الأماكن والبقاع ، ومواقعها ، وما قيل فيها ، والمقارنة والموازنة بين  
المواقع وما قيل فيها من شعر ، وقد اهتم بهذا النوع من البحوث على ما فيه  
من المشقة والسهر . حيث استغرق أكثر مؤلفاته ، لأنه صادف رغبة  
من نفسه ، ولأن هذه الدراسات ، لم يسبق اليها من قبل ، وهو  
أعرف الناس بها .

وقد اتجه الى التأليف في اخريات حياته ، ولو أن الله مد فـسـى  
عمره لأمدنا بالكثير ، فهو رحمه الله يعتبر موسوعة للمعلوم الأدبيه والتاريخية  
راوية لأشعار العرب وآثارهم .

ولقد أصيب بمرض خطير امتد سبع سنوات مات على أثره رحمه  
الله ، ففي عام ١٣٧٠ هـ أصيب بمرض الفالج " الشلل النصفي " فذهب  
الى مصر للمعالجة ، فجلس فيها ما يقارب السنتين ، قارب خلالها من الشفاء  
وخلال وجوده في مصر ، طبع ديوانه ، وكتابه صحيح الأخبار عما فـسـى  
بلاد العرب من الآثار ، وتحقيقه لكتاب صفة جزيرة العرب ، للهمدانسي ،



ثم رجع الى الحجاز ، فكان يتردد على الأحساء للاستشفاء بمياهها المعدنية ،  
ثم جاء الى بلده غسله ، ليحضر حفلة زواج ابنة عبد الله ، وكانت المدرسة  
النظامية قد افتتحت في تلك السنة ، فرأى من واجبه على بلده ، وتجاه  
العلم وطلبه ، أن يضع منزله الكبير مقرا لهذه المدرسة النظامية الجديدة ، فأقام  
له طلبة المدرسة حفلة تقدير واکرام ، ولكن الأقدار جعلت من هذه الحفلة ،  
حفلة وداع ، فقد ودع أولاده في هذه البلده ، ثم عرج الى بلده الآخر  
" الشعراء " وودع بقية أفراد أسرته فيها ثم ذهب الى الحجاز ليطلب  
منه الى لبنان لمعالجة مرضه الذي طالما أقلق مضجعه ، ولكن الله اختار  
له حياة أخرى ، فتوفى في بيروت سنة ١٣٧٧ هـ بعد مرض دام سبعمائة  
سنوات ، متوجا حياته المملوءة بالحوادث والأحداث والمعائب والصعاب ، ولكن  
هذه الصعاب التي تجشمها منذ نعومة أظفاره ، وشباب وهو تشيب معه ،  
ما هي الا ثمن للشهرة والنبوغ التي اكتسبها بأشعاره ومؤلفاته ومكانته ، رحمه  
الله رحمة واسعه .

\*\*\*

\*\*\*

\*

الفصل الثاني

دراسة وثقافته

كانت نجد في هذه الفترة ظارقة في بقايا عصور الجهل والظلام ، فكان هم الانسان أن يؤمن عيشه بأي طريقه كانت ، لصعوبة الحياة ، وشظف العيش ، الذي جعل التعليم شيئاً كاليا في نظرهم لا يسلك طريقه الا أولو النعمة من الناس .

وإذا كانت مصر قبل ثمانين سنة تقريباً - وهي فترة نشأة شاعرنا - قد بدأت نهضتها المباركة وخاصة التعليمية منها ، فان نجدا ما زالت تغط في سباتها ، تحت ملاءة من الجهل ، فكان التعليم فيها نادراً لعدم تحصيل ما يقابل صعوبة التعليم أولاً ، ولا نشغالي الناس بحياتهم الصعبة ثانياً وما يوجد من المدارس في نجد ، يكون على يد شيخ يكون طمًا بالقراءة والكتابة غالباً ، لتعليمها الطلبة بأشق الوسائل ، وبأطول مدة من الزمن - تم قراءة القرآن قراءته نظريه ، وهذه غاية ما تشده تلك المدارس في ذلك الوقت .

دخل محمد بن بليهد ، مدرسة بلدته " غسلة " ودرس بها كما كان يدرس أبناؤه عصره على يد الشيخ " عبد الرحمن العبيدي " وبعد انتهائه من هذه المدرسة وتخرجه منها وهو في سنه التاسعة تقريباً ، ومعرفته القراءة والكتابة ، أثبت عليه نفسه الطموح ، وعقليته المتدفقة أن يقف الى هذا الحد فقد صعب عليه أن يقتصر التعليم على معرفة القراءة والكتابة ، فهذا مجرد وسيلة لا غاية ، كما أراد أن يجعل من نفسه علماً لكي لا ينقطع هذا التراث . وهذه المكانة العلمية لآل بليهد ، لذلك اتجه الى طلب العلم ، فأخذ من منابعه ومصادره .

ويستعين لمصادر دراسته وثقافته وجدت أنها تختلف الى ثلاثة

مصادر :

أولا :

دراسته على المشائخ ، ومجالسته لهم ، وحضوره ندواتهم ،  
وقد بدأه بالدراسة وهو صغير على يد الشيخ عبدالرحمن العبيدي ، حيث  
تعلم منه القراءة والكتابة ، وبعض العلوم الدينية ، وقد عرف من بين زملائه  
بجده الذكاء وصفاء الذاكرة ، وبعد أن تخرج من هذه المدرسة القرويه ،  
بعد دراسة تقارب السنة والنصف ، عاد الى منزل والده حيث وجد  
في نفسه شغفا لأخبار العرب وحوادثهم وأشعارهم ، وكان منزل والده  
وهو أمير البلدة - مناخا للأعراب من كل صوب ، فلهي ندا نفسه ، فجلس  
مع الأعراب ليستمع أخبارهم ، وليتأثر بأشعارهم ، ولم يبلغ السن الثانية  
عشره الا ونجده يقف في مصاف شعراء عصره ، بل ويميزهم في ذلك  
النوع من الشعر المتداول في ذلك العصر - الشعر الشعبي - فكسان  
يساجل كبار الشعراء وهو ما يزال في هذه السن المبكرة ، فكانوا يحملونه  
على أكتافهم لصفر سنه ، ليلقى ما عنده على ذلك الحفل .

ومن هذه الفترة وما بعدها بان نبوغه ، وظهرت شهرته ، وعرف  
عنه مشائخ شعراء - وهي بلدة تقع شمالى بلده غسلة " بخمسة كيلوات  
عرفوا نبوغه وحرصه في طلب العلم وبحثه عنه في أصوله ومصادره ، فأخذوا  
بياد لونه الزهراء للمناقشة في المسائل الأدبية والفريه ، وقد اعجب  
الشيخ محمد بن بليهد بقاضى شعراء المشهور " عبد الرحمن بن هودان " .  
فأخذ يدرس عليه علوم اللغة العربية فاعتبر المعلم الثانى لابن بليهد .

ولكن ولوه بأداب العرب وأخبارهم وأيامهم وأشعارهم ، كان  
يملك عليه جميع مشاعره فعمشق أشعار العرب ، واقتن بها ، فبدأ يتجه  
الى قول الشعر بالعربية الفصحى ، فأخذ يمد نفسه لذلك ، فيبذل في  
سبيل الحصول على الكتب كل ظال وشمون ، ليكب على قراءتها ودرس ما فيها  
ولما كانت تلك البيئه تشج عليه بمثل تلك الكتب ، فقد كان يتسنى الفرس  
لايتياها من الحجاز ، فكان يصر فى جل ماله على قلته في سبيل اقتنائها ،  
ولم يكف بما في بطون تلك الكتب ، بل كان يتمشق مجالسة العلماء

والأخذ عنهم ، حتى اذا ما تفتقت شاعريته بأول قصيدة عربية ، نسراه  
يذهب بها مع ما تبعها من قصائد الأولى ، الى شيخ ضليح في هذا  
الميدان هو الشيخ " أحمد بن عيسى " من أهالي أشيقر " ليراجعها  
وينقحها ، فلم يزلوا ابن عيسى في اجازته لقول الشعر ، ولقد  
احتل هذا الشيخ من نفس ابن بليهد مكانة مرموقة ، وذلك لتخلعه في  
علوم الأدب وفنونه ، وأحاطته بأخبار العرب وأشعارهم ، فكان الشيخ الثالث  
لابن بليهد .

ولم يكن هذا الشيخ جديدا على حياة ابن بليهد ، فقد مر معه  
بتجربة كادت تقضى على طموحه وتدفن موهبته ، وسنتطرق الى ذكرها  
عند الكلام على شاعريته .

غير أن عبقرية ابن بليهد لم تقف به عند حدود الشعر فقط ، بل  
ان نفسه الشاعرية دعمت مواهبه الفطرية لنوع من الثقافة والدراسة  
لآداب العرب ، هذه الدراسة ، هي فلق دور الشعر العربي ، وأهمية  
ما استخفى منه ، ليس من حيث المعاني أو الأساليب ، وانما من حيث  
الأمكنة والبقاع ، وهذه الدراسة لا تخفى أهميتها وأثرها كما لا تخفى  
صعوبتها ومشقتها .

وقد نهج هذا النهج برويه أو تشجيع من شيخ ضليح في هذا  
المجال هو الشيخ " ابراهيم بن عيسى " وهو عالم كبير درس على علماء  
بلده أشيقر ثم ذهب الى البصرة ليدرس على علماءها وفي مكتباتها ، يقول  
الشيخ محمد بن بليهد عن هذا العالم " وهو رجل " علامة في جميع  
الفنون ، وبالأخص في تاريخ العرب وأنسابهم وديارهم وتنقلاتهم (١) فصار  
الشيخ " ابراهيم بن عيسى " بتشجيعه ودفعه ابن بليهد في هذا الميدان ،  
الشيخ الرابع ، لحياته الثقافية .

ثم يأتي دور الشيخ عبدالله بن سليمان البليهد ، العالم الفاضل

---

(١) صحيح الأخبار ٣ ج ٢ ص ٢١٥ .

والقاضي المشهور ، ليصقل ثقافته ويلبسه علما وأديبا ، فرفع من مكانته  
وامكانياته ، وأبان عن منزلته وفضله .

ولعل ما يدخل في هذا النوع من مصادر ثقافته ، مجالسته  
ومعاشرته لجلالة الملك فيصل أيام كان أميراً على الحجاز ، ذلك أن شاعريته  
الملك فيصل وحبه للأدب وعلومه - قبل أن تلبسه أمور الدولة - قد  
عكست آثارها على الشيخ محمد بن بليهد ، فزادت حصيلة ، ونمت  
ثروته ، ومن ناحية ثانية فقد كان لزاماً على الشيخ ابن بليهد مراعاة الأدب -  
المجلس ، أن يتزود بأخبار الأدب ورواية الأشعار والقصص ، مع ما يتمتع  
به من شاعريه ، فإذا ما لقي الملك فيصل ، ملاجوا الحديث بما يحبب  
ثم ان أغلب جلساء الملك فيصل في ذلك الوقت من أدباء الحجاز ، كالغزالي  
وطاهر زمخشري ، ومحمد حسن عواد ، وحسن الفقي ، وغيرهم كثير ، فكان  
شاعرنا يحبش أغلب أوقاته في هذا المناخ الأدبي ، حيث يستفيد ، وبدل  
بدلوه في الأفاده .

#### ثانياً :

والمصدر الثاني من مصادر ثقافته هو : قراءته التوسعية ، ودراساته  
اللامنهجية ، وقد فتحت تلك الدراسات ذهنه ووسعت مداركه ، وصقلت  
عقله ، فكان رحمه الله يقرأ بشراهة تفوق الوصف ، حتى في حالة أسفاره  
وتنقلاته بتجارته لا يترك صحيفة الكتب ، ولقد كان اتصال ابن بليهد  
المبكر بجلالة الملك عبد العزيز ، مصدر ثراء علمي كبير ، فقد كان دائماً  
الاطلاع على ما عند الملك من كتب على اختلافها وتنوعها . أما عن اقتنائها  
فقد أنفق في سبيلها الكثير من ماله ، وجاء لها بالكثير من أسفاره ، ويحدثنا  
رحمه عن ذلك فيقول : " فأخذت أروى تعطشى من كتب الأدب وأخبار  
العرب ، وأبتاع الكتب بأثمانها الباهضة على قلة ذات اليد (١) فكانت لنفسه  
مكتبة ضخمة جلها من أمهات الكتب كالمعاجم والدواوين التي استقى منها

(١) مقدمة الديوان ص ٧

شعره وأدبه ، فكانت هذه الكتب تمثل أكبر نبع استقى منه علمه وأدبه .

ثالثا :

أما المصدر الثالث من مصادر ثقافته ، فيتمثل في رحلاته ، وتنقلاته ، وأسفاره ، أن في تجواله أربعين سنة في هذه الجزيرة بما فيها من متاعب ومصاعب ، وما فيها من فكر وعبر ، لأكبر عامل في تكوين خياله ، وصقل فكره ، وتنمية مواهبه ، وتغذية عقله ، فمن خلال أسفاره وتنقلاته المتكررة في جزيرة العرب ، اكتسب خبرة وافيه بعدد كبير جدا من الأماكن في هذه البلاد وما قيل فيها من أشعار ، كما أنه أثناء اشتغاله بالتجارة مع البادية ، كان يدرس ويحقق أي موضع جغرافي يمر به وماذا قيل فيه من الأشعار ، لذلك فهو أول من كتب في هذا المجال من النجديين في هذا العصر .

والرحلات سبيل من سبل المعرفة ، ومصدر من مصادر الثقافة ، وفي زمن ابن بليهد كانت الرحلات وحدها ، متصل الفكر بالفكر ، وملتقى المتعلم بالمعلم .

وهذه الرحلات التي جاب فيها كل أنحاء الجزيرة كانت لغرضين :

الغرض الأول :

رحلاته للتجار والبيع والشراء ، وقد أحب هذا الغرض لذاته ، ولكونه وسيلة لغرض آخر .

الغرض الثاني :

رحلاته وأسفاره لا بتضاع العلوم والمعارف ، تلك الهضاعة التي جعل الحياة قصدا لها ، فكان يفتح ذهنه كما يفتح عينيه ، للتعرف على الأماكن والمعالم والقبايل ، وللملتقى بالمشايخ في كل مكان وبنقاشهم ، ويتزود بمعارفهم ، ويتطبع بطبائعهم ، حتى إذا ما وسعت الدولة السعودية رقعتها لتضم الحجاز ، وجدنا الشيخ محمد بن بليهد قد سبقها إلى مكنتها مكة والمدينة ، ليبحث وينقب ويطلع ، فلما كانت الجزيرة

للملك عبدالعزيز ، بدأ في البحث والتحقيق ، مستفلا مهنة التجارة على أوسع نطاق ، وقد توج تلك الرحلات الثقافية بسفره الى مصر سنة ١٣٢٠ وجلوسه فيها ما يقارب الثلاث سنوات ، حيث وجد مرتعاً خصباً للمعلوم والآداب ، فعزز ثقافته وبنى معارفه ، يساعده على ذلك حداثة ذكائه وصفاء ذاكرته ، وما عرفه من سرعة حافظته ، فكان يدون في ذهنه كل ما درس وقرأ ، ثم حمل ما استطاع حمله من الكتب عند عودته ففى سياحته الكثيره في بلاد العرب ، ومخالطته لاصناف الناس ، ووقوفه على طرائقهم وأخلاقهم ، ومأثور عاداتهم ، وما تجلى من صور الطبيعة في كل مكان ، وغير ذلك مما لا يتنبأ لكثير من الناس ، في ذلك ثقافة أى ثقافته ، فهى مشاهدة على الطبيعة ، ولعل اتصاله بهيئت الملك ومقامه في بطانة الأمراء ، ودخوله في أدق الأسباب السياسية للدولة السعودىة الناشئة ، من العوامل التى لها أثر واضح في ثقافته وشاعريته .

فهو بهذه الرحلات والتنقلات ، يسجل معالمها ، ويتأمل مقارناتاً وهو نظر وتأمل شاعر رقيق الاحساس ، يرى الاشياء بغير الرؤى التى يراها بها الآخرون .

فاجتماع هذه الأسباب ، أكتملت الحلقة ، وتكونت له ثقافة واسعة

جهد .

ثم ان هذه المنابع الثلاثة - وغيرها مما لا ندركه - لمصادر ثقافته ، لا تعتبر أطواراً أو مراحل ، لها بداية ونهاية ، فهى تتسلسل بجمهرته في الحياة حتى توفاه الله ، تسير جنباً الى جنب ، حيث انصهرت وكونت ثقافة واسعة مختلفه تخضت عنها أسفار وأشعار .

كل تلك المواهب والخصال التى اجتمعت لابن بلهد ، والمتاعب التى واجهها ، أثرت في حياته ، وجعلت منه رجلاً مرهف الاحساس ، خبيراً بحلوا الحيلة ومرها ، وكل ذلك ترك آثاره الواضحة في جميع مؤلفاته .



وهذه الدراسة والثقافة التي حصل عليها الشيخ محمد بن الحسين ،  
تمثل قوة الارادة والمزينة التي استطاع بها أن يتخطى تلك العقبات  
التي تقف في طريق كل طالب علم في ذلك الوقت .

ومن ذلك نعرف أن دراسته المنظمة لا تكاد تذكر بالنسبة لمدرسة  
الحياة التي تخرج منها يتفوق ولا شك أن هذا التفوق يمدّه جانب من الذكاء  
الفطري ومن الحدق والاستعداد الأديني .



## الفصل الثالث

—————

## رحلاته وأسفاره

حينما كنت أسأل معارف الشيخ محمد بن بليهد ، لأستقص ما يتعلق بحياته ، وجدتهم ، يتفقون جميعا على أنه رجل " لا يقر له قرار ، ولا يستقر في مكان الا ليستعد للرحيل والسفر ، أما عن جوانب حياته الأخرى فيكاد يكون مجهولا ، لتفطية أسفاره ورحلاته على هذه الجوانب من حياته ولقد بدأ هذه الأسفار وهو ما يزال في سنه الثانية عشرة ، حينما استتمان به عمه عبد العزيز وهو كفيف البصر - ليدله علامات الطريق حينما يسافر بتجارته ، فوجد الشاب ابن بليهد في هذه الرحلات صفا في النفس وسمه في البال ، كسعة الأفق الممتد أمام ناظره ، لهذا نجده يستقل به هذه المهنة بعد عمه ، ويوسع رقعة رحلاته لتشمل جميع نواحي الجزيرة ،

ويخيل الى الكثير من معارف ابن بليهد أن رحلاته للتجارة فقط ، وقد آن لنا الآن أن نتفى هذا المفهوم بعد ما رأينا كتبه ومؤلفاته ووجد ثمره من ثمر رحلاته ، فتبين لنا أن التجارة كمهنة له ، ليست الا مكملا للغرض الأخر الذي طالما استحوذ ذهنه وشد فكره ، ألا وهو البحث والتحقيق . فلقـد قرأ آثار العرب وأشعارهم ، فوجد فيها أسماء أماكن ، وجبال ، ومياه وأودية ، ومعرفة هذه الأمكنة في بطون الشعراء " فصعب عليه ذلك فأخذته الغيرة ، بل والمزلة من أن ينطمس هذا التراث العربي . فرأى أن يساهم في سد هذه الثغرة الواسعة في الأدب العربي ، يقول رحمه الله تعالى ومن النقص الطموس في الأدب العربي ، أن تبقى مجهولة تلك الأماكن التي انطلقت فيها قرائح أولئك الشعراء ، وأن تظل مغمورة هـذه الأجواء ، التي سبحت فيها أخيلتهم وسلس لهم فيها القول وتفجرت بمسبين هـضابها ووديانها ينابيع البيان من أفواههم ، هذه الأمكنة التي تكون البيئة الطبيعية التي تخرج فيها العربي الأول ، يلهج بكتبانها ، ويهـرب في صحرائها الفسحيه ، ويستظل بسائها الصافية ، ويهتدى بنجومها الزاهرة ، راضيا بذلك ، قري العين به ، صابرا على ما يكابد من شظف الميش وقله وجوه الاكتساب ، مكثفيا بأنه يعيش في منازل آباءه وأجداده ،

وفيها مجالس أنسهم ومسارح لهوهم ، ومعترك هروبهم ، وفيها نواديههم  
التي كانوا يتنافرون فيها ويتفاخرون من النقص الطعوس في الأدب العربي  
أن تبقى تلك الأماكن مجهولة ، وما فيها مكان إلا له ذكريات تهز مشاعر  
العربي الصميم ، وتبعث في نفسه ألوانا من البطولة ، والغامرة ، والاقدام ،  
لأنها تقترن بمجد العرب وحضارتهم ولغتهم وآدابهم (١) .

وإذا كانت قراءته ومطالعته قد كشفت له آثار العرب وآدابهم  
فإن رحلاته قد أعطته مشاهدات حسية لتلك الآثار ، ونقلته من التصور  
والخيال إلى الحقيقة والعيان ، وليس من رأى كمن سمع . رأى فيها شواهد  
ناطقة بتلك الآثار والأشعار ، وآلة على مدى ما وصل إليه الفكر العربي  
في تلك الحقبة ، لهذا نجده - بعد نجاح تجربته - يبحث كل عربي  
على الدراسة بالمعاينة والمشاهدة لكشف ما ستره الزمان ، وتماقبت عليه  
السنون ، يقول " وإذا كنا نعتبر الآثار المادية شواهد تاطقة على ما وصلت  
إليه الأمم من تقدم في الصناعة والذوق ، ومقاييس الحياة ، فيجدر بنا  
أن ننقب عن البيئات الطبيعية بقدر الامكان ، بل نشاهدها عيانا - إذا -  
استطعنا ذلك - لنقف على مدى ما أثر في الفكر العربي في تلك العصور ،  
ولتكشف تلك المساعي المغلقة فلا تظل مأوية على تماقبات الأجيال ، فقد  
وجد في دراسة تلك البيئات ، ومشاهدتها ، واستيحائها ثروة فكرية لا يقدر  
قدرها ، ومثل علماء الفكر كمثل علماء الطبيعة والاقتصاد ، يجد كل واحد منهم  
بفئته في بحثها ، ألم تر إلى الجزيرة العربية نفسها في العصر الحاضر  
وما اكتشف في أحشائها من معادن مطوره لفتت إليها الأنظار ،  
أن كانت لا تثير من الناحية الاقتصادية أدنى اهتمام (٢) .

لقدرهن الشيخ محمد بن بليهد حياته لخدمة الفكر العربي متجسما  
مصاعب الحياة ، متخطيا الحواجز والصعوبات وألف تقلبات الأنواء ، وصاحب  
أهوال الصحراء ، وكان عليه تجاه هذه الصحبه ، أن يجعل زهرة شبابه

(١) صحيح الأخبار ج ١ ص ٢

(٢) مقدمة صحيح الأخبار ج ١ ص ٣ .

وفترة يسوعه ، وبقية عمره ، وفقا ليمطيات الصحراء التي تجود عليها  
 أحيانا فتمسه بالصبا المحطة بالالهامات والايحاث ، وتنقلب عليه  
 أحيانا فتذيقه الأهوال والتكيات ، يقول رحمه الله " وأنا كثير التجوال  
 في بلاد العرب من مدة طويلة ، لا تقل عن أربعين سنة ، أصعد  
 فيها الجبال ، وانحدر في الوهاد ، وأتسلل الكهوف ، أحتسب بها  
 حرارة القيظ ، وضبارة الشتاء ، أو أهبط على المياه أو أنزل بالمواضع  
 التي نزلها قهلى شعراء وملوك وأمراء ، وطالت صحبتى لهذه الأماكن  
 التي حفل بذكرها الشعر الجاهلى ، وشعر صدر الاسلام ، كما طالبت  
 صحبتى للصحراء ، وكثرت رادى على المدن والقرى والأماكن التي عفا رسمها  
 وزال أثرها ، وكنت أرى غروب الشمس في الصحراء ، والتي لا ترى فيها  
 جبلا أو شجرة أو أثرا للحياة ، كما كنت أشهد فيها تنفس الصبح ، وأملا  
 رعتى بالصبا ، كما أن هذه الصحراء تنكرت لى كثيرا وعبست في وجهى ،  
 وكادت تلتهمنى رمالها ، كما التهمت كثيرا غيرى ، ولكن الله سلم وهكذا  
 قدر على أن أفضى أربعين عاما في قلب جزيرة العرب - أى في نجد -  
 كما قضيت سنين من تلك الأربعين أطوف بالآفاق في الحجاز ونجد غربيه  
 وشرقيه وشماليه وجنوبيه وغيرهما من البلدان والأقطار التي وحدها صقر  
 الجزيرة الغلاب الطك عبد العزيز (١) .

ان اعجابنا بهذا الرجل ، ليزداد كلما ازدادت عليه الصعوبات  
 والأزمات ، ثم ان تقديرنا ليعظم كلما خرج من تلك الأزمات والصعوبات  
 منتصرا ظافرا بنتيجة هي التجربة والحنكة ، وهذه هي شهادة الحياة ،  
 وقد نالها ابن بليهد بمد أن دخل على الحياة الصعبة في عقدها  
 بمحض ارادته ، وبهوى من نفسه ، وبدافع من عزمته و ارادته ، لقد كان  
 يترحل بين الفياض والقفار ، متصمدا بين النجاد وألوهها ، متخذنا  
 من الناقة أليفا ، ومن الذئب ندوما ، ومن الضب طعاما ، ومن الهضاب  
 مناما ، لقد قادته ارادته الساميه ، وعزمته العاليه ، الى تحقيق هدف  
 سام نبيل طالما راود نفسه وداعب مخيلته ، فطوف لأجله كل أرجاء

الجزيرة ، وكان في إمكانه أن يجلس - كغيره - في بلده ساكنا خاملا ، ولكنه الطموح الذي كان نتيجة تلك الغيرة التي ألهمت عليه قلبه وفكره لرتق فتق في الأدب والفكر العربي ، فكان لا يد لهذا الطموح من ثمن ، فكان هذا الثمن على حساب سيرة حياته ، بما تحويه من متاعب جسمانية ، ولنسمع ما يقوله عن نفسه في هذا الصدد : " طوفت بهذه المملكة المترامية الأطراف أربعين عاما وقضيت سنوات طويلة تتقاذفني أنا وناقتي الفلوات أسمع عواذ الذئاب ، وأطعم في بعض رحلاتي من الظها والضباب ، ولقيت من الأهوال والمخاوف والمتاعب ما يشيب له الولدان ، فكثيرا ما فوجئت بحيات ذئاب ، وكثيرا ما نفذ زادي ومائي وأشرفت على الهلاك ، وكثيرا ما شعرت بالسموم كأنه فيج جبهنم ، ولكن الله أنجاني ، وكتب لي من العمر حتى أروى قصص أحد مخلوقاته العظام " (١) ولم تكن رحلات ابن بليهد إذا للتمتع أو النزهة حتى لانهتم بها ونوليتها عنايتنا ، بل كانت رحلاته للبحث والتحقيق ، فقدم لنا تجاربه ومفاهيمه للحياة بكل ما فيها من خير وشر ، وأخرج لنا أسفارا تتناثر من صفحاتها الدرر ، فكان كتابه " ما تقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه " وكتابه تحقيق ونشور " صفة جزيرة العرب " للمهداني ، وكتابه " صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار " ثم مذكراته كل هذا التراث انما هو ثمرة من ثمار رحلاته وتنقلاته ما علينا الا أن نقطفها بعد أن بذل في سبيلها ما بذل ، ولقد مرت عليه تجارب ومتاعب ليست من السهولة بحيث تفوت قبل أن يصورها لقائه ولعل كتابه " صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار " يمثل أضخم إنتاج له في هذا المضمار ، فيصور لنا بعض ما لقيه من المتاعب أثناء جمعه لعادته ، فيقول : " ولأصور بعض هذا الجهد ، أولا قدم لما لقيت من تعب في سبيل هذا الكتاب ، ذكر للقارى البصير عن الجزيرة ، أو القارى الذى لم يركب الصحراء ولم يتخذ الليل جملا والشمس غطاء ، والذئب سميرا ، والضب طعاما ، أذكر لهذا القارى ما يعينه على تصور ما أنفق في سبيل تأليف هذا الكتاب الذى لا يكلفه غير سويعات يقضيها في تلاوة

---

(١) مقدمة صحيح الأخبار ج ٤ ص ٢

ما أنفق في تأليفه عمر " طويل ، فلتحقيق موقع " عكاظ " يجب أن يشد اليه  
الرجل لمعرفة ومعرفة الطريق ، لأن الصحراء تهزأ بالخريف ، فتضله  
ثم تلتهمه ، اذا لم يكن صادقا ، بل كثيرا ما لتهمت الصحراء الخريفية  
الحاذق ، وما نجا من الصحراء الا من كتب له عمر جديد ، نعم ، يجب  
أن يعرف الراكب مسالك الصحراء ، و منافذ الجبال ، ومواقع المياه ، حتى  
لا يموت عطشا واحترقا ، ويجتمع بالهدو وشيوخ القبائل ، ويهتدى بما لديهم  
من علم وتجربة ، ويعد أن يدرس ما ذكر الشعراء ، يبدأ هو في التحقيق  
والتحديد ، معتمدا وصف الشعراء قبل كل شيء ، ثم ما ذكره البلدانيون  
الذين يعتمدون كثيرا على النقول (١) .

لقد خلف رحمه الله تراثا هائلا ليس من اليسير على الانسان أن يتناساه  
أو يحجد فضله ، خاصة وأن هذا النوع من التأليف ، لا يقوم عليه الا الو  
المزم من الرجال ، كما خلف ديوانا من الشعر ، تشع منه عواطفه وعواطف  
أهل عصره ، بمالهم من آمال وآلام .

وقد عرضت فيما سبق بعض ما لاقاه في رحلاته من المتاعب والمشاق  
في سبيل تلك المعطيات الفكرية ، وهذا هو الجانب الكبير في تلك الرحلات :

أما الجانب الآخر فيتمثل في تدوينه وتسجيله لما يشاهده من  
عادات متباينة ، ومفارقات اجتماعية في تلك البيئة التي تكون عددا من  
البيئات التي تفتقر الى الأواصر والصلاة بينهم ، كما يهتم بعرض قصص  
المشاهير والأبطال من أبناء القبائل ، وطالهم من سطوة ونخوة وجسارة  
وكرم ، وقد جادت عليه رحلاته بتلك القصر التي سمعها أو شاهد فصولها  
كما أن هذه الرحلات قد فرضت عليه في كثير من الأحيان أن يمشي  
فخصمها ، ويمثل دور البطل فيها .

فمن هذا الجانب ، كان للرحلات أهمية خاصة ، ولا نبالغ اذا قلنا  
ان الرحلات من أهم فنون الأدب العربي ، لسبب بسيط ، هو أنها

---

(١) المراجع السابق ج٤ ص ٠٢ .

خير رد على التهمة التي طالما اتهم بها هذا الأدب ، وتقصد تهمة قصوره في فن القصة ، ومن غير شك أن من يتهمونه هذه التهمة لستم يقرأوا ما تقدمه كتب الرحلات من قصص وأذا كانت جل رحلاته داخل الجزيرة وفي نطاقها ، فانها مطروقة بالأحداث والمفاجآت ، وقد تميزت أكثر كتاباته عن رحلاته بوضع السنه التي سافر فيها ، فكانت أول رحلته سجلها في سنة ١٣٢٩ هـ وهو يصحبه عمه قبل أن ينفرد بمهنة التجارة وفي عام ١٣٣٠ هـ نجده بصحبة جلاله الملك عبدالعزيز ، في إحدى غزواته لبعض قبائل نجد ، وفي عام ١٣٣١ هـ نجده في الأحساء بصحبة الملك عبدالعزيز أيضا عند فتحه للمنطقة الشرقية ونراه في سنة ١٣٣٦ هـ في بلدة الحوطة التي يذكر أنه زارها مرارا ، وفي رحلته هذه ، كانت بضاعته التمرة وقد قصد به بلدة " الشعراء " حيث مناطق البادية ، وهذه البلدة تتمد عن الحوطة بحوالي أربع مائة كيلا ويصور في هذه الرحلة بعض عاداتهم ، التي ذكر أنها تشبه أخلاق العرب ، فاذا جاء المسافر إلى هذه البلدة فانه معرض للسرقة والنهب ولو كان في وسط البلدة ، فاذا أراد أن يأمن هذا فليستشف أقرب رجل إلى مدخل البلد ، فاذا أكمل عنده أو شرب فقد أئمن .

وفي سنة ١٣٣٩ هـ تنقله تجارته إلى بلد الحائط في الشمال الغربي من نجد ، وهي مازالت تابعة للشريف الحسين بن علي شريف الحجاز ، وكان الملك عبدالعزيز قد بحث لهم كتابا ، يدعوهم فيه إلى الطاعة والدخول في الجماعه ، الا أنهم أبوعليه للعهد الذي بينهم وبين الشريف الحسين بن علي ، وأثناء وجود بن بليهد في ذلك البلد جاء جيش الملك عبدالعزيز ليحاصروهم ، فط كان منهم الا أن طلبوا من ابن بليهد - لعرفتهم بمكانته - أن يتوسط لهم عند الملك ليستسلموا بدون قتال ، فكان ذلك .

وفي عام ١٣٤٠ هـ كلفه الملك عبدالعزيز مع شخص من أعوانه لجمع الزكاة من قبائل " هتيم " لعرفته القبائل والأماكن ، ثم رجع إلى بلده غسله ، لتضم مع جيوش تلك المنطقة لفتح مدينه حائل وما حولها وكانست



مشاركته في تلك الفتوح غالبا ما تكون بتكوين الجيوش ، وفي طريقه الى حائل  
نظم قصيدة رائعة مطلعها :

ما أنصفت دمنة في ربحها قبسب . . من حين قوض منها الحي وانشعبوا

وبعد ما طال حصار حائل بعثه الملك عبدالعزيز الى أراضى خيبر  
لجلب الزكاة من تلك المناطق لتموين الجيش ، وبعد رجوعه صاحب الملك  
عبدالعزیز الى الرياض . وفي سنة ١٣٤١ هـ مرت تجربة قاسية كادت حياته  
فيها تذهب هدرا ولكن الله سلمه ، وذلك أثناء وجوده في المدينة المنورة ،  
وقد ذكر لنا قصة رحلته الى المدينة مصورا ما لقيه فيها من متاعب ومخاطر ،  
يقول : " وردت ماء الشقرة في رجب سنة ١٣٤١ هـ ، متجها الى المدينة  
للا تجار ، وخرجت من بلدي وكان طريقى على القصيم ثم الحائط الذى  
كان يقال له في الجاهلية " فدك " دبت في الحويط ثم خرجت منه صباحا  
ويتناعلى منهل يقال له " ونحن ثلاثة نفر : المصنف ، وصاحب  
لى شريك في البضاعة يقال له عبدالله بن فاضل " ومعنا رجل " من هوف  
من قبائل حرب اتخذناه أخا ينعمننا من قبائل حرب ، وهذه عادة جارئة  
بين قبائل نجد اذا أخذت رجلا من قبيلة ، فهو ينعمنك من جميع بطون  
هذه القبيلة ، وكفنا في ذلك العهد نخشى الخطر من غزوات الحجاز  
أن تمتدى علينا ، وذلك قبل أن يتأكد الأمن ، ثم مشينا من ماء " صفيط  
صباحا ، ودليلنا الذى من حرب يقول : نبيت في ماء الشقرة فلما كنا  
في المنتصف بين ماء الشقرة وماء صفيط ، وجدنا أثر ركب قد أجدوا فى  
الغارة ، متجهين الى الحناكية على ما ظهر لنا من الأثر ، تبلغ ركبهم  
مائة ، فتوجسنا الشر ، ولكن الله لطيف بعباده ، وعلما أن هذا الجيش  
الذى هذه آثاره ، يقوده راشد السحيس ، أحد بنى حرب ، ومعهم  
غزاة قد بعثهم شريف المدينة للنهب والسلب ، وهو أجرا رجل في الحجاز ،  
فلما رأونا على بعد ظنوا أننا من سرايا جلاله الملك فانهزموا الى الحناكية ،  
وتحصنوا بها فأتينا ماء الشقرة قبل غروب الشمس ونحن خائفون ، ومنعت  
ايقاد النار ، فسمعنا صوتا في أعلى الوادى ، فقلت لصاحبي سأذهب  
في سواد الليل الآن ، وأتيك بخبر هذا الصوت ، فأخذت بندقيتى ، وذهبت

أتحسس الصوت قليلا قليلا حتى قربت منه ، فوجدتها هامة على حـجـر  
 "وهي التي تسمى اليوم " فرجـمـحـا الى صاحبها فقلت له كأن صدرك  
 ضائق ، قال : كيف أخاف ؟ والله لا يبسنا سوءا ان شاء الله ، فلما  
 ذهب من الليل ثلثه ركبنا وواصلنا وأدجننا ليلتنا ويومنا وأول ليلتنا  
 الثانية حتى نزلنا " العوالي " في المدينة على رجل من بني علي يقال له  
 " دغيان بن جميدان " وهو رجل كريم مهيب في قومه ، فأقمنا في المدينة  
 سبعة أشهر في أمور التجارة وما يتعلق بها ، ثم حبست بتهمة أن لي دخلا  
 في أمور السياسة ، وأمر الحبس صادر من الحسين شريف مكة . ولكن لم  
 يثبت علي شيء مما اتهمت به ، وأقوى معين لي على الخروج من الحبس  
 هو الرجل الذي كنت عنده ضيفا ، لأن السلطة في المدينة في ذلك  
 العهد لقبائل حرب ، وليست للدولة " (١) .

فهذه القصة تظهر ما يلاقيه من أحداث ومتاعب ، سواء في حـلـه  
 أو ترحاله ، ولقد كان لحبسه في المدينة أثر في نفسه كبير ، لأنـه  
 أول مرة يدخل فيها السجن ، ومثله تضيق به القفار ، فكيف به بـين  
 جدران أربعه ، يقول من قصيدة له بهذه المناسبة .

نأت بي الدار والأوطان شاسمة . . . . . وحن رحلي الى حل ومرتحل

ولولم يتدخل معه صاحبه " دغيان بن جميدان " لكانت  
 نهايته القتل ، كما أمر بذلك الشريف حسين شريف الحجاز ، يقول في  
 هذا الصدود : " أقمت بالمدينة ستة أشهر للتجار ، في آخرها سجنـت  
 بأمر الحسين بن علي بتهمة سياسي ، وأنا ليس لي أي علاقة بالسياسة ،  
 وبقيت في السجن ليله واحده ، وسبب خروجي منه ، كنت ضيفا عند دغيان  
 ابن جميدان ، وهو من خيرة بني علي ومبتي في السجن في الليلة الثامنة  
 من جماد الثانية سنة ١٣٤١ هـ ، وبعد فتح مكة ، قال لي ابراهيم  
 الجفالي رحمه الله ، ان الليلة التي سجنـت فيها ، قال لي ابراهيم  
 معتق وهو من أخص رجال الحسين ، والمطلعين على أسراره ، فـ

(١) صحيح الأخبار ج ٢ ص ١٠٤ .

صبيحتها ، هل علمت أن ابن بليهد قد هب في المدينة ، وسيأتي بسببه  
الى مكة ، ويشنق في الخريق ؟ (١) . فكان وجوده شيفا عند صاحبـــــــــــــــــه  
هذا كليل بأن يستعمل الأخير سلطته لاخراج ابن بليهد من ووطـــــــــــــــــه .  
وقد علمت أن سبب سجنه العمل على تهريب السلاح من المدينة الى جـــــــــــــــــش  
الملك عبد العزيز ، فكان هذا داعيا للشريف حسين بعد ما علم أن يأمر  
بسجنه ثم قتله فلما سجن وأتى به في اليوم التالي للتحقيق ، كانت المفاجأة  
بوجود صاحبه " دغيمان بن جميدان " على رأس المحققين ، فأخبره بقصة  
اتهامه وسجنه فقال صاحبه : ومتى كان لمثلك أن يسجن ؟ فعمل حــــــــــــــــتى  
أخرجه ، فلما تولى ابن بليهد مالية الطائف سنة ١٣٤٦ كافأ صاحبـــــــــــــــــه  
هذا جزاء عمله : وقد نظم بهذه المناسبة قصيدة ، يستعمل فيها  
دورة الأيام على دولة الشريف حسين ، من قبل الملك عبد العزيز ، يقول  
في مطلع هذه القصيدة :

يا نفس عند اقتراب الأمر لا تسلــــــــــــــــس . . يمضى عليك الذي قد خط في الأزل  
ان قربوني الى دهاء مظلــــــــــــــــمة . . فالدهر دولته تزكو على الدول  
توهم القوم منى عند رؤيتــــــــــــــــهم . . ومن توهم لا يخلوا من الزلزل  
لما أتى الرعب في أرجاء ارضــــــــــــــــهم . . قاموا جميعا كان الرعب من قبلى  
حتى أتى الأمر من تلقا رئيســــــــــــــــهم . . وأثبتوني برأى الشارب الثمل (٢)

ولم يكن غريبا أن تكون رغبة صاحب ابن بليهد في اخراجه من السجن  
فوق رغبة دولة الشريف ، لأن السلطة في ذلك الوقت أغلبها بيد القبائل  
كما أن بعض هذه القبائل ، خارجة عن سلطة الشريف ، تتصرف حسب أهوائها  
ورغباتها ، وقد ذكر ابن بليهد أثناء وجوده في المدينة ، بعض تلك المشاهيد ،  
التي تقطع فيها الطريق ، خاصة على الحجاج ، وقد عقد مقارنة بين تلك  
الحقبة وبين ما بعد دخول تلك المناطق تحت حكم الملك عبد العزيز ، يقول  
ابن بليهد : " وقد كنت في المدينة عام ١٣٤١ هـ قاصدا التجارة ، فصادف  
في اقامتى أن جاء حجاج من الجاوه ومعهم حجاج من الهند ، فلما وصلوا  
عقات الفقرة وكان رئيس تلك الناحية " ابن عسيم " فطلب منهم على كل جمــــــــــــــــل

(١) صحیح الأخبار : ج ٥ ص ٦٣

(٢) الديوان ص ٧٣ .

خمسة عشر جنبها من الذهب ، فقالوا له : لا نقدر على دفعها كاملة ، ولكن نعطيك على كل جمل عشرة جنيهات ، فأبى وتسرب الحجاج الى المدينة على أقدامهم ، ورايتهم بعيني ، وأخذت انباءهم وفي هذا العهد ، اذا رحل الحجاج من احدى المحطات ونسوا شيئا ووجدوا أهل تلك الجهة لحقوهم به اما في المدينة أو في جده (١) .

ولم يقتصر رحمه الله في رحلاته على المدن أو الأماكن المشهورة ، بل يحاول دائما أن يوسع رقعة تجارته فيها هو يتنقل بين قرى الجنوب ، وعلى ساحل البحر الأحمر .

وفي عام ١٣٤٦ هـ ، ولاة الملك عبد العزيز مالية الطائف ، ومكث فيها أربع سنوات ، وكان خلال توليه هذا المنصب مرافقا للملك فيصل الذي يتولى إمارة الحجاز في ذلك الوقت ، وبصاحبه في سفراته وخاصة رحلات الصيد - وهي هواية الأمير في ذلك الوقت - فكان خير مؤنس له بأدبه وقصصه وشعره وكان ابن بليهد يستمد من تلك الرحلات معالم جديدة وعادات وتقاليد متباينة ، ويسودنا لنا بعضا من ذكريات عن هذه الرحلات مع الأمير فيصل فيقول : " في عام ١٣٤٧ هـ كنت في صحبة سمو الأمير فيصل آل سعود ، وأنكر لما بنى الصيوان وجلس فيه وأذن للناس بالسلام ، دخل عليه شيخوخة أهل تلك الناحية ، ومعهم غلام لم يبلغ الثانية عشرة من عمره ، وألبسوه جوخة حمراء ، وعليها عقال مقصب ، وجعلوه في مقدمتهم ، وهو أول من دخل ، فقال شيخ كبير السن " هذا الغلام ابن محمد ابن حصاني رحمه الله وسلم القوم على الأمير (٢) .

وفي سنة ١٣٥٠ ترك وظيفته كرئيس لمالية الطائف ليعود الى بلده " غسله " وفي العام التالي قبل الأمير فيصل دعوة منه لزيارته في بلده غسله ، وكان ابن بليهد على رأس استقباله ، وذلك سنة ١٣٥١ هـ ، ثم أخذ يتردد بين بلدته ليكون مع أولاده ، وبين الحجاز ليكون في صحبة الأمير فيصل ، ثم نقل أولاده الى جده وسكن فيها ، وفي عام ١٣٧٠ ، أصيب

(١) صحيح الأخبار ج ٤ ص ١٩٦ .

(٢) صحيح الأخبار ج ٤ ص ٢٦٨ بتصريف



أما جلوان فهو باقٍ بحبل هذا الاسم إلى هذا العهد ، وبه حياتها بهيئتها  
 مياه معدنية وقد ذهب إليها لاستجمام الصحة ، وبه حمامات كبريتية  
 ساخنة ، وبه مستشفى للأمراض الصدرية ، وبه حدائق واسعة ، ومناخه  
 معتدل شتاءً ، فلذلك يؤمه السواح الأجانب في فصل الشتاء ، وذهب  
 إليه عدة مرات بالسيارة والقطار ، وكل ثلث ساعة يقوم إليه قطار من محطة  
 باب اللوق بالقاهرة وبالعكس ، وكنت أتعجب من كثرة الركاب القاصدين  
 هذا المكان والخارجين منه (١) ويعد مكوته ما يقارب الثلاث سنوات وبعد  
 تماثله للشفاة رجع من مصر إلى وطنه ليستقر بين أولاده ولكن المرض هاد  
 عليه وهو أشد وطأة ، فأخذ يتردد على الأحساء في المنطقة الشرقية ، للاستحمام  
 في "عين نجم" وهي المشهورة بمياهها المعدنية ، وآخر مسفرة له التي  
 هذه العين كانت سنة ١٣٧٤ هـ وقد تماثل للشفاة قليلا كما يخبرنا بذلك  
 في مطلع هذه القصيدة :

تحملت في نجم وقد طلع النجم . . . وذلك نجم السعد وانقشع السموم  
 تحملت فيها للشفاة وربنا . . . لطيف وفي كل الأمور له حكم  
 فمافاني العولى من العرض الذي . . . يحقد أعصابي وليس بها ورم

الا أن مرضه رجع عليه بصورة أشد ، فمقد الحزم على أن يسافر إلى  
 لبنان ، فساعده الأمير فيصل في السفر إليها ، وفي آخر عام ١٣٧٦ هـ كان  
 في بيروت ، وبدأ علاجه ، الا أن القضاء فوق كل علاج ، فتوفى رحمه الله  
 في سنة ١٣٧٧ هـ ، بعد حياة مملوءة بالحيوية والنشاط ، لاعتمادها على  
 قوة الإرادة والعزيمة في سهيل الوصول إلى مرامها متخطيا كل المتاعب  
 والأحداث ، رحل رحمه الله رحلته الطويلة ، بعد رحلات دامت أكثر من  
 أربعين سنة ، تتقاذفه المتاعب والصموات ، كما تتقاذفه الغاوز والقلوات ،  
 كل ذلك من أجل أن يعيش حياة الكرام ، فكان له ذلك ، وأكثر ، بمسند  
 أن نقش في سجل التاريخ صفحة من العلم والمعرفة ، في مجال الفكر

(١) صحيح الأخبار ج ٣ ص ٢٢٥

والأديب ، وبعد أن ترك قرائنا لأبناء العربيين نتيجة البحث والتحقيق الدقيق  
والدقيقين وما أظن أحدا يخاطر بنفسه لعثل هذا العمل الشاق ، ناهيك  
عن عصر كعصر ابن بليهد فيه ما فيه من المخاطرة والمجازفة .

وبعد فقد تتبعنا رحلات وأسفار ابن بليهد ، في كتبه ومن معارفه  
فأثبتنا ، وقد طوى التاريخ بعض رحلاته بما وقع فيها من أحداث وأخبار ،  
ولو أنه أتم كتابة مذكراته ، لساعدت في معرفة حياته في هذا المجال ،  
وقد حاولت في هذا الفصل أن أرتب رحلاته بترتيب السنين ، وسيجد  
القارئ بين هذه السنين لم يكن لابن بليهد فيها ذكر ، وليس معنى هذا  
أنه مستقر في بلده أو مطمئن عند ولده ، فهو لا يقر له قرار ، ولا يعود  
من سفر إلا وقد استعد للآخر ، ولكن عدم وجود من يدرس حياته ، وعدم  
خروج مذكراته كانا العاملان الظاهران لخفاء جوانب من رحلاته وتقلاته .

\*\*\*  
\*\*\*  
\*\*

” الفصل الرابع ”



صلته بالأسرة السعوديّة

كان ابن بلهيد رحمه الله يستمد تلك الأصالة والمكانة الفكرية والاجتماعية ، يستمدّها من منابعها الأصيلة ، ومن مصادرها الأصلية ، وكذلك يستمدّها من تلك العناصر أن يتصل بالأسرة السعوديّة التي ظهر نجمها في أول حياتها - من جديد - وعلاصبتها في شبابه ، فنظر الى اتجاه هذه الدولة الناشئة ليسير غورها ، فوجدها واضحة المعالم ، مستقيمة الطرق ، وجدها تهتم بنشر الأمن ولم يكن أحد يحلم بوجوده في تلك الجزيرة ، وفي نجد خاصة ، كما وجدها تبسّدي اهتماماتها بنشر العلم والمعرفة ، حيث لم يبق منها في ذلك الوقت الا القشور أو أقل ، وجد الحياة تهدأ بعد رعب وخوف ، ورأى الناس ينتشرون ويسعون في الأرض بعد التفوق والخمول ، وعموما رأى دولة مخلصّة في أعمالها ، جادة في بنائها ، صادقة في نياتها .

اتصل ابن بلهيد بالملك عبدالعزيز أول ما اتصل مع من كان يأتي للملك للسلام عليه ، وكان أن أبى نبوغ ابن بلهيد ، وفكره التوقّص ، ونجايبته المتأصله ، أثبت هذه الصفات أن تظل مستورة مكتومة عند الملك فكان منها خير دليل على أصالة هذا الرجل ، فنزل في نفس الملك عبدالعزيز منزلة اجلال واكبار فالتقت الدوله مثلثة في شخص المغفور له الملك عبدالعزيز ، بالفكر مثلا في شخص المغفور له محمد بن بلهيد ، فكان كل منهما سندا للآخر وعونا ، في سبيل الاصلاح .

وقد نظم ابن بلهيد أول قصيدة عربية ، في مدح الملك عبدالعزيز ، والاشارة بمنجزاته خاصة في توحيد هذه الجزيرة ، وتوالت هذه المدائح والاشايات له ولأبنائه ، الى أن اجتمع لنا ديوان يكاد يقتصر على هذا الغرض .

لقد كان الملك عبدالعزيز في حاجة الى أن يدعم فتوحاته وانتصاراته بشاعر يبشر بمولد هذه الدولة الجديدة ، فوجد في شاعرية ابن بلهيد

كفاءة لهذا الغرض ، مع ما جيل عليه من الخبرة والفتنة والذكاء ومعرفته  
بالأماكن والقبائل ، فاصطفاه الملك وقرهه اليه ، ثم رأى أن كفايته  
تتعدى النواحي الفكرية الى النواحي العملية فوكسول اليه - وقبضت  
حصار حائل - أن يجلب الحبوب والمؤن من القبائل الموالية له ، لسد  
احتياج هذا الجيش ، فقام ابن بلهيد بهذه المهمة خير قيام ، فزادت مكانته  
عند الملك عبدالعزيز فولاه في سنة ١٣٤٦ هـ ماليه الطائف ، فقام  
بهذا العمل على أكمل وجه وأخلص في العمل من أجل اكمال قيام الدولة  
السعودية وقد كلف وهو في الطائف أن يجهز سرية لرد بعض القبائل  
المتردة في تلك المنطقة ، فوفق في هذا العمل ، وانتصرت سرية ، وكان  
في أغلب أيامه مرافقا للملك في غزواته واستراحاته يدافع عن هذه الدولة ،  
ويشيد بمنجزاتها ، ويقف لمن يريد أن يتناول عليها ، حتى عرف بشاعر  
الملك ، ويسميه بعضهم بحسان الملك .

ونضرب مثلا لمواقفه هذه ، فحينما كان في مكة مع الملك عبدالعزيز ،  
نشرت قصيدة للأستاذ : حسن عواد ، وهو من الموالين للشريف ، وقبضت  
أثبت ابن بلهيد مطلع قصيدته وهو في صدر الرد عليها ، يقول في مطلعها :

حد ثيهم عن بأسنا يا حراب .°. وأذ قم نكالنا يا عذاب  
وامطريهم قذائفًا يا مناطيد كأن الدخان منها سحاب

الى أن قال :

أيها المصلحون في الشرق مهلا .°. أين اصلاحكم وأين الصواب

هذا ما أورده ابن بلهيد منها والذي رد عليه بقصيدة طويلة مطلعها :

ما أصبتم وما لديكم صواب .°. بعد ما نص في البريد كتاب  
وانتبهنا لقولكم حين قلتم .°. حد ثيهم عن بأسنا يا حراب  
ان هرتم عن الحروب فإننا .°. كلما طالت الحروب شباب

الى أن قال :

انجلي الظلم والمظالم يا قسو .°. م وهي بالأمس بالحجاز عباب

أيها الغافلون قد ظهر الحق .°. فاسمعونا فما يكون العتاب ؟  
لا تمضوا بالألسن الحرب المنجرب .°. يوم هضمتكم الرهاف العصاب (١)

ولم تكن علاقة ابن بليهد بالأسرة السعوديه ، مقتصرة على الملك  
عبدالمعز ، فقد كان لابنه ، وولي عهده سعود ، الملك السابق . صلاة  
وشيقه ، وعلاقات طيبة ، فنجده مع أول من بشر وسارع بمبايعته لولا  
العهد :

ابسط يميننا نشت في الجود والكرم .°. لبيعة عقدت في الحل والحرم

ولم يكتف بمبايعته بل أظهرها للناس ، ودعا إليها ، وـــــــين  
أنها قد وضعت في مكانها اللائق بها :

فقلت للناس ان الأمر متسسق .°. وقد أحبط بعهد غير منقصم  
لا تحسبوا أنها غوغا يدبرها .°. جلف من البدو وأولج من العجم  
هذي يقوم بها شهم أسنته .°. من حين نشأت مزوجة بــــدم (٢)

وقد خصه في ديوانه باحدى عشرة قصيدة ، يشهد به فيـــــــا  
ويمدحه ، وهذه الاشارة والمدائح انما استمدتها من خصاله  
الحميده ، وصفاته الكريمة +

أما الملك فيصل ، وهو أمير الحجاز في ذلك الوقت ، فقد اتخذ  
من ابن بليهد صديقا ، ورفيقا ، وسميرا . فقد جنح الشعر قلبيهـــــــا  
ليلتقيا في جوالشاعرية ، وربط الأدب بين فكريهما ، ليلتقيا في اطــــار  
الفكر والأدب وقد زاد التقارب بينهما ، وصدقت صداقتهما بعد أن رأى الأمير  
فيصل اخلاص ابن بليهد ، في عمله على قيام الدولة السعودية ، ويتجلى  
ذلك في دوره الكبير لتموين الجيش السعودي أثناء حصاره جدة ، فقد  
طال حصار هذا الجيش لمدينة جدة ، ثم جاء الأمير فيصل بمدد لمساعدة  
ذلك الجيش على فتحها ، ولكنها امتنعت عليهم فهي أكبر معاقــــل  
الشريف الحسين ، فانتهت مؤنة هذا الجيش ، وكان أن يتراجع لــــولا

أن تقدم ابن بليهد ، الى وزير المالية في ذلك الوقت \* عبد الله بن سليمان \* فطلب منه ذهباً ليتصرف فيه ، كما طلب أن يتحملوا في الحصار فترة غيابيه التي تدوم عشرين يوماً ، فأعطوه ما طلب ، ثم راح ليتفق مع رجل من أبناء تهمامه ، بعد أن أوهمه أنه سيستغل وجود هذا الجيش لتنمية تجارته وبيعهم الدقيق والذرة بأثمان باهضة ، فمرص عليه مضافته لتجارته مقابل أن يدلّه على قرى الجنوب ومسالكها ودروبها ، وكانت تلك المنطقة تحت حكم الأدارسه وفي حرب مع الدولة السعودية ، فوافق هذا الرجل ، فذهبا بقافلة من الابل ، فكان ابن بليهد يمر على كل قرية ويشترى ما فيها من حبوب ويطلب منهم طخبها وابقاها عندهم لحين رجوعه ، فلما ظن أنه قد استوفى ما يحتاجه ذلك الجيش رجع مع طريقه الأول ليأخذ ما اشتراه جاهزاً ، وكان مسيرة ليلتين حتى لا يكتشفه الناس في النهسار ، فانتهى بقافلة كبيرة من الجمال المحملة واتجه الى الجيش المحاصر لجدده ، فوجد الأمير فيصل في استقباله ، وقد علاه البشر والسرور ، فكانت هذه الحملة سبباً في رفع معنوية ذلك الجيش الذي شدد الوطأة في الحصار على اثرها - الى أن دخلها - وقد كافأ ابن بليهد رفيقه في الرحلة ، بعد أن أخبره أن المال ليس له ، وأنه مضطر لاخفاء الحقيقة عليه حتى يهين سلامته ، ونجاح مهمته ، فعطه واخلاه لقيام الدولة السعودية من الأمور التي وطئت علاقته بصاحبه ، فكانا مترافقين دائماً ، متلازمين أبداً ، الا ما يفصلهما من شئون الحياة كالأعمال والأسفار . وفي سنة ١٣٥١ هـ قدم الأمير فيصل من أوروبا فدعاه ابن بليهد لزيارته في بلده - فلبى صاحب هذه الدعوة ، ووجع عليه في بلده ، ونزل عنده في منزله ، فلما رحل ألحقه بقصيدة يبين فيها ما أحدثه ذلك الفراق من لوعة فسي النفس ، وحرقة في القلب ، كما يشكره فيها على تكريمه بزيارته وكانت علاقته بالأمير فيصل قد أراحت في تلك حياته الأخير من المتاعب والمصاعب الناتجة عن الكد في سبيل العيش له ولأولاده ، فبعد أن ترك عطسه كقائم على مالية الطائف رتب له مرتباً شهرياً حتى وفاته ، وحينما حل به المرض سنة ١٣٧٠ هـ أشار عليه الأمير فيصل أن يذهب للعلاج في مصر ، وكان أن ذهب على حساب الأمير الخاص فلما رجع عاد اليه مرضه طلب

منه أن يعالج في لبنان على حسابه أيضا ، فذهب ولكن قضاة الله يملسون  
فوق عمل الأسباب فتوفى رحمه الله في لبنان ، كما كانت له صلاتا بالأمير  
عبدالله الفيصل الذي ظهرت عليه علامات النجابة وهو صغير فخصه  
ببعض مبادئه في ديوانه ، كما كان صديقا خاصا للأمير خالد بن محمد  
ابن عبد الرحمن الفيصل ، وقد وصفه في ديوانه بأنه صديق له وهو من  
أحسن الرجال عقلا وخلقا ، فلما توفى رثاه بمرثية نابغة عن عاطفة  
صادقة تجاه صديقه :

أياعين جودي بالدموع الواكدة . . . على الخد منها مستهل وجامد

الى أن قال :

كأن انخفاض الناس عند سيره . . . من الحزن عباد " ببعض المساجد  
كأن فؤادي موشق بضريحه . . . ولو أنه في المهمة المتباعد (١)

لقد كون ابن سليمان صلاح مع الأسرة السعودية ابتداءً من الملك  
عبد العزيز الى حفيده عبدالله الفيصل ، ولم يقصر معطياته لهذه الأسرة  
على النواحي العملية أو الوظيفية ، بل سخر موهبته الشعرية المتدفقة  
في هذا الاتجاه ، حتى كادت تقتصر تلك الموهبة الفنية على غرض واحد  
هو المدح ، ولكنه بالمقابل ، نال بسبب هذه الصلاة كل تقدير واعتراف  
خاصة من جانب الأمير فيصل الذي أخذ منه رفيقا ، فلم يبخل عليه  
بهذل أو عطاء خاصة في أخريات حياته .

هذه المعطيات ، والدولة السعودية في ذلك الوقت ما زالت  
في أمس الحاجة الى القليل من المال ، أما لو امتد به الزمن الى هذه  
السنين ، فانه بحق سينال من الجزاء من الناحيتين المعنوية والمادية  
ما هو أهل له .

---

(١) الديوان ص ٢٥٩ .



مكانته ومنزلته

وضع الشيخ محمد بن بليهد لنفسه برنامجا صعبا وطريقا وعرايسلكه  
في حياته ، وكان ذلك باملاء من ارادته القويه ، وعزيمته المتوقده ، لحياته  
هذا التراث الفكري والأدبي الذي بقى رديحا من الزمن في عالم المجهول  
لقد رهن حياته كلها في هذا السبيل فترك لنا تراثا ضخما ، فمواهبه  
الشمورية من جهة وابحائه وتحقيقاته من جهة أخرى هي التي كونت  
تلك الثروة وذلك التراث الذي لا يستهان به ، ومن ناحية ثانية ، فقد فتح  
لن بعد طريقا كان مغلقا ، وأثار لهم سبيلا مظلما ، وكان لا بد لهذ  
الاتجاهات والأعمال من ثمن كبير ، فكان له ما أراد ، كان له ذلك السمو ،  
وتلك الرفعة التي تمثل خير ثمن يتقاضاه ، لقد استطاع أن يبني لنفسه  
مكانة عالية ، ومنزلة سامية ، واشتهر في ذلك المجتمع الذي يشتهر فيه  
كل من يعرف القراءة والكتابة وزادت شهرته في هذا المجتمع الذي يقدر  
كل من سلك هذا الاتجاه ، بل وكان له مثل هذا الانتاج ، لقد لمسع  
ذكا ابن بليهد منذ صغره ، وبدأت عبقريته الشاعره تجارى كبار الشعراء  
وهو في سنه الثانية عشره ، فقد منحه الله نفسا شاعريه ، واحساسا  
مرهفا ، وهاتفه جياشه ، تفيض بشتى صور الابداع المبرزه لكونا من النفس  
الشاعره ، فاستطاعت تلك العبقرية الشاعرة أن تفتح باب الشعر الحديث  
أمام أبناء هذه البلاد ، فأصبح قائدا ، وأوفاتحا ، فذهب ذكوره  
وشاع صيته في الناس حيا حتى صار كالنار على حلم . وقد كان حقيقا بما  
بلغ ، لا من أنه شاعر العربيه الأول في نجد ، ولكنه جاء في فترة انقطاع  
فيها أمل الآمل في نهضة الشعر العربى بعد ما ناله من الانحطاط  
والركه ، وضيق المذهب وسوء امتناول ، وكأنما كان البارودى من قبله  
ارها صاله ، ودعوة اليه ، وتنبيهها الى فضله ومكانه ، فكان ابن بليهد  
شاعر نجد الأول وشاعر القوميه الحاليه ، التي ضرب على أوتارها فهبزت  
نجدنا ، وأيقظته من سباته العميق ، فهو صاحب عقل تفيض منه الحكيمه ،

وخيال خصب يصور آمال أمته وآلامهم وماضيهم وحاضرهم أبدع تصوير وكان ابن بليهد أنضج شعرا طيبته ، وأدقهم تصويرا وتعبيرا ، وأبدعهم بياننا ، يصفه الاستاذ محمد بن حسين بقوله : " لقد منح الله ابن بليهد نفسا شاعرية ، واحساسا مرهفا ، وعاطفة جياشه تفيض بشتى صور الابداع المبرزة لكوامن النفس الشاعره (١) .

هذا عن شعره أيا عن جوانب أبحاثه وتحقيقاته ، فقد رفعتة من جانبها الى مصاف العباقرة لأنها تصور صراجه مع الحياة لاستيعاب موارد الفكر والأدب ، فتحقق ذلك بعد أن تخرج من مدرسة الحياة فلم يكن من المستغرب اذا أن تتفجر عبقريته ، وهو ابن الدماء العريقة المتناهية اليه من شعوب عرفت بالابداع والعطاء الفكرى السامى .

ان في تعدد مواهبه الفكرية ، لأكبر وازع على تقديره واكبره ، فهو شاعر ، ومؤرخ ، ورواية ونسابة ، فيمثل باجتماعها مكتبة زاخرة بهذو العلوم ، يصفه الدكتور عبدالوهاب عزام بقوله : " الشيخ محمد بن بليهد ، وهو عالم نجدى واسع المعرفة بأخبار العرب ماضيها وحاضرها ، راوية لأشعارهم القديمة والحديثة ، عارف بكثير من الأمكنة التي ذكرت في الأشعار والأخبار ، ذهب اليها وراها رأى العين (٢) " لقد استطاع ابن بليهد أن يجمع عدة ثقافات وعلوم شبه متضاربة ، فهو أدبى ، ومؤرخ ، وجغرافى ، ونسابة ، وراوية ، وان عبقريته لتكمن في استطاعته وقدرته على صهر هذه العلوم لخدمة الأدب ، والشعر بصورة خاصة ، وان من يذكر ابن بليهد ليذكر بصورة تلقائية هذه العلوم بجانب اسمه ، وقد عرف ذلك المرحوم محمد محى الدين عبد الحميد الذى اعجب أشد الاعجاب بمؤلفات ابن بليهد وحته على السير في نهجه هذا ، يقول : " الاديب النجدى البارز ، والنسابة الحافظ ، والمؤرخ الضليع ، محمد بن بليهد " (٣) ان هـ

(١) الادب الحديث في نجد - محمد بن حسين ص ٥٢

(٢) موقع عكاظ - د / عبدالوهاب عزام ص ١٨

(٣) مقدمة صحيح الأخبار ج (١) مطبعة السنة المحمدية سنة ١٣٧٠ هـ .



الأسفار الفكرية التي خلفها ابن بلهيد ، لتحمل بين طياتها الدليل الظاهر على ما عرّف به من قوة ذاكرته ، ولعمد ذكائه ، وتشعب موارد فطنته ، وبعد نظره ، فكان خليقا بمن كانت هذه صفاته ، أن يحتل القيادة الفكرية ، لبعث الحياة العلمية ، في تلك البلاد التي غطاها الزمان بغشاوة الجهل والظلام ، فبلغ بذلك مرتبة من الشرف كبيره ، وكان له شأن كبير ، ولعل هذا الشأن يكون أكبر ، لو أن ظروف الحياة جاءت على سراده ، أو لم تغير مجرى حياته ، يقول الاستاذ محمد بن حسين : " ولقد كان هناك فرصتان . . لو سلم الشيخ من ضياعهما لكان له شأن عظيم في تاريخ الأدب الحديث أولهما : أيام الشباب التي أضاعته عليه كلمة الشيخ " أحمد بن عيسى " .

ثانيهما : السفر إلى مصر عام ١٣٤٥ هـ الذي أضاعته عليه الظروف السياسية " (١) .

الا أن هذا لم يمنع أن يكون أدبيا من الطراز الأول ، وأن يعرض عليه أكبر شاعر في الحجاز قصائد قبل القائها ، فقد أخبرني ابن أخي أنه أن الشاعر الغزاوي ، كان يعرض القصيدة على عمه قبل القائها ، كما كان الشاعر الكبير محمد حسن عواد ، يستضيء بأرائه وتوجيهاته في شعره .

وقد كان من الطبيعي أن تتعكس تلك المكانة الفكرية التي رقى إليها ، وتلك المنزلة الأدبية التي احتلتها على المجتمع الذي يعيش بين ظهرانیه ، وتفرض عليهم وضعه في المرتبة التي هو خليق بها ، فكان له ذلك من جميع الناس والطبقات ، ولعل أبرز ما يمثل تلك المكانة الاجتماعية التي وصل إليها ، اعزاز الملك عبدالعزيز له ، واصطفائه إياه ، واعتباره الشاعر الأول للجزيرة العربية ، حتى كلفه سنة ١٣٤٥ هـ بالسفر إلى مصر

(١) الأدب الحديث في نجد - محمد بن حسين ص ٥٤ .

لممثل الجزيرة العربية ، في حفل تكريم شوقي ، الا أن ظروفنا السياسية طرأت فلم يتم سفره فقال أحمد شوقي في ذلك المؤتمر :

باعكازا تألف الشرق فيسه . . من فلسطينه الى بغدادنه  
افتقدنا الحجاز فيه فلم نعه . . شرعلى قسه ولا سبحانهه

ولم تكن منزلة ابن بلهيد عند الملك عبد العزيز من أجل شاعريته فقط ، فقد رأى فيه دهاً وحنكة فولاه مالية الطائف سنة ١٣٤٦ هـ ، وتبلسور هذه المكانة والمنزلة عندما قبل وساطته لأهل بلدة " الحائط " فكتب الملك عبد العزيز اليهم كتاباً ، ليدخلوا تحت ولايته بسلام ، فسردوا عليه بالرفض مهددين خضوعهم للشريف حسين ، فجرد اليهم جيشاً كبيراً ، فلما علموا بذلك ، أرسلوا اليه بالقبول ، فأبى الملك ذلك ، فتظروا فسئ أمرهم ، فعملوا بوجود ابن بلهيد في بلدهم للتجارة فطلبوا منه أن يتدخل ويتوسط لهم عند الملك ، يرد الجيش على أعقابه ، ففعل ذلك وقبل منه الملك وساطته .

وترتفع مكانته ، وتسمو منزلته عندما يتصل بالملك فيصل — وهـسو أمير الحجاز في ذلك الوقت فيتخذه نديماً وصاحباً في فدواله وروحانيته ، يستمع كل منهما للآخر ، ويعدده بمعارفه ، ومطالباته أو يقصمه ومسا رآه أو حدث له في أسفاره ، وطورا بالشعر يتساجلان ويتعارضان حتى حسده أقرب المقربين الى الأمير فيصل على عنابه الأمير به ، وصحبتيه الدائمة له .

فكان ابن بلهيد يلقى في ظل هديقه مكانه ومنزلة رفيعتين ، مقابل ما يمد به صاحبه من أدب رفيع ، يشحن الفكر ، ويجدد العزم ، ويقسوى النفس على متاعب الحياة أما منزلته في مجتمعه ، فترقى الى درجة الاكبار ، وكما قلت قبلاً ، أن مجتمعه ، يرفع ويسمو بمن يعرف القسراة والكتابه ، فكيف بمن وصل الى هذا المستوى العلمي .

ولنضيق معنى مجتمعه ، ونجعلهُ في أهل بلده وما حولها ، لنتصرف جيداً على صورته ، فقد كان يحترق كالغريب عنهم ، من حياتهم الرتيبة ، ومصيبتهم البسيرة ، وأفكارهم السطحية ، ينظرون إليه نظرة رجل المستقبل ————— ، ويستنكرون وجوده بينهم ، فيحاطونه ، ويكرهونه ، بين الرغبة في إكرامه ————— والرهبة من منزلته ومكانته ، يتحفظون عنده عن كلامهم بينهم ، ويتكفون ————— الحديث الملائم لمنطقه . أما هو فيرى فيهم رفاق الصبا ، وفي ————— بلدة مرتع شبابه وصعرك حياته .

اشتهر في بلده بالكرم فكان منزله — وهو أكبر منزل في بلده — —  
محط الركبان ، بادية وحاضره ، كما عرف واشتهر برواياته القصصية ————— ،  
فيما يدل على الشجاعة والفروسيه ، فإذا كان في مجلس من المجالس ، تصدره  
بالحديث . واحتكر المجلس ليجعله مقصراً عليه بالكلام ، فيجد آذاناً —  
صاغية ، وعيوناً شاغصة ، لحلاوة تعبيره ، وجمال عرضه . فيستمتعون —  
وهذا هو الهدف الظاهر والقريب ، أما الهدف البعيد ، فهم باستماعهم  
لتجاربه التي مرت عليه وعلى ما يعرض للآخرين من تجارب يأخذون منها —  
دروساً ليتكفوا بها مع صعوبات الحياة .

ولعل ما يبين أكثر عن منزلته ومكانته ، رجوعهم إليه وقت الشدة ،  
فإذا تعرضت قريته أو إحدى القرى المجاورة لها ، للنهب أو السلب —  
قبل الهاديه ، لأغنامهم أو محصولاتهم — وكثيراً ما يحدث ذلك — فإن  
استرجاع ذلك لا يكون إلا بحملة كبيرة من الرجال ، وأما أن تغلب أو تغلب  
فإذا ما صادف وجود ابن بلده عند وقوع السلب أو النهب ، فإن  
الأمر يكون سهلاً ، فما عليهم إلا أن يستعينوا به ويخبروه أي القبائل  
سلبهم ، فيخرج المهيم ، ويخبرهم أنه يريد استرجاع ما سلبوه ، فإن  
عرفوه فإنهم لا يلقون أي معارضة ، وإن امتنعوا —  
عليه ، توجه إلى رئيس قبيلتهم ، ليلقي — فسوق

ما يريد - الاكرام والاعزاز ، وكانت أسفاره ورحلاته ، قد هيأت  
له هذه الخاصية حيث دعمها بكرمه ، وطول باعه ، فكانت  
معاملتهم الحسنه له ، بعض ما يردونه عليه من مكارم ، وحق  
له عليهم .

\* \* \*  
\* \*  
\*

" وفاته " -----

ابتلى الله الشيخ " محمد بن بليهد " بمرض طاوله أكثر من عشر سنوات ، فقد أصيب بمرض الشلل النصفى ، وهو ما يعرف " بالفالج " وكان في بدايته فتور في جسمه الى أن استفحل ليشل جانبه الأيمن بكامله ، ثم كان سببا في وفاته رحمه الله .

وإذا كان هذا العرض قد غير مجرى حياة الشيخ وخط سيره فيها ، فإنه لم يؤثر تأثيرا كبيرا على إنتاجه الفكرى ، فبعد ما عجز عن الكتابة استعان بابنه عبدالله ، فأملأه كتابه " ما تقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقائه " والذي ما يزال مخطوطا .

وقد ذكر لنا ابن بليهد أن مرضه في البدايه لم يكن مركزا في جزء من أجزاء جسمه ، فهو يحس فيه بثقل وفتور ، وهذا الألم . . يقول في ذلك : " مرضت أمراضا عديدة منها : فتور حدث في جسمى فى الشق الأيمن بدون ألم ، ومنها ألم في كتفى الأيسر " (١)

وقد كان الباب الحديث في نجد بكاملها معدوما على الاطلاق - في ذلك الوقت - أما الحجاز فان الطب فيه ، لم تصل كفاءته الى علاج مثل هذا المرض ، لذلك ، وبعد أن عرض نفسه على الأخصائيين في الحجاز يئس من نجاحهم في شفاؤه ، فاتجه الى الطب العربى ليجد نفس النتيجة ، وقد ذكر قصة بدايته في العلاج حيث قال : " لما أحسست بالألم في كتفى الأيسر عرضته على الأطباء الأخصائيين في الحجاز ولم يشخصوه ، وعرضته على أطباء الأعراب ، فجاءنى حكيم منهم يقال له " الحبيبه الوجدانى " من القبائل التابعة للطائف ، فقلت له : ان الناس يقولون لى : ان هذا العرض من أنواع أمراض الواهنه ، فقال : ان عندى من مرض الواهنه علما لم يصل اليه علم الأخصائيين ثم رفعت رأس أصبعه الأبهام ، فوضعه على رأس الكتف المؤلم فقال لى : ارفع

(١) الديوان ص ٢٦٩ .

” الفصل السادس ”

يدك فرفعتها بدون تكلف ، فضرب شماله بيمينه ، وقال : ان كسان  
 في يدي واهنة فهي في يدك ، قلت له : ما السبب الذي أوضح لسببك  
 هذا ؟ قال : لو كان في يدك واهنة بعد وضع أصبعي على كتفك ، لسم  
 تقدر على تحريكها (١) فلم يجد بعد انتها عمل الأسباب الا أن يستسلم  
 للقضاء الا أن صاحبه الأمير فيصل ، واستكمالا لهذه الأسباب ، رأى أن يسافر  
 الى مصر ليعالج هناك على حسابه ، بعد ما صعب عليه أن يرى صديقه  
 مصابا بهذا المرض الخطال ، فسافر الى مصر وجلس فيها للعلاج صا  
 يقارب ثلاث سنوات ، قارب على اثرها من الشفاء ، وبخبرنا بقصة رحلته  
 هذه ويقول : " قال لي صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن عبد العزيز  
 آل سعود ، اني أرى أن تذهب الى مصر وتعالج ، فربما تحرز الصحة  
 والعافية ، فقد مت مصر في الثامن والعشرين من شهر ربيع الأول سنة  
 ١٣٢٠ هـ ، فشفاني الله من جميع ما كنت أشتكى منه " (٢) .

وخلال وجوده في مصر كان أمامه عدة مهام ، وعلى رأسها العلاج  
 وبما أن مرضه لم يقمده ، وعلاجه لم يقمده فقد اتجه الى أنجاز بقمية  
 مهامه ، فطبع كتبه ، وكان أثناء وجوده في مصر يتردد على حلوان ،  
 للاستشفاء بماهها المعدنية .

وقد أبدى إعجابيه بما وصلت اليه مصر من تقدم علمي ، كما بهسره  
 ذلك المستوى الكبير الذي حققته مصر في مجال الطب ، وعلى يد أبنائها :

العلم ألقى بهوادي النيل أرحله

حتى تهشم فيه أروع السمور

ويقول

الطب في مصر حاز العز بالرتيب

حتى استضا كثور البدر في العرب

---

(١) الديوان ص ٢٧٢

(٢) الديوان ص ٢٦٩

وفي عام ١٣٧٣ هـ ، رجع الى وطنه ، ليستقر بين اولاده ، ويكون  
بقرب الأمير فيصل في الحجاز ، الا أن مرضه عاوده ، فأحسن بوطأنتيه  
هذه المرة ، أنقل مما كان ، فذهب الى " الأحساء " في المنطقة  
الشرقية من الجزيرة العربية عام ١٣٧٤ هـ ليستحم في مياه " عين نجم "   
وهي عين ماء مشهورة للمصابين بمرض في الأعصاب أو الجلد ، وقد أحسن  
بصحة ونشاط أثناء اقامته عند هذه العين للاستشفاء فقال :

تحمت في نجم وقد طلع النجم

وذلك نجم السعد وانقشع السقم

تحمت فيها للشفاء وربنا

لطيف وفي كل الأمور له حكم

فما فاني المولى من العرض الذي

يمقد أعصابي وليس بهيما

فكان طهيب خالق حين دلني

عليها هو الباري فقد برى الجسم

ولكنه لم يكدر مكانه ، ويصل الى الحجاز ، حتى رجع اليه  
مرضه ، ليلقى عليه هذه المرة بجميع ثقله ، فيصاب بالشلل النصفى الكامل ،  
فمجزع عن السير ، وثقل أمره على نفسه ، وكأنه أحسن بهذا الثقل بقسوة  
على الآخرين من حوله ، ولكنه لم يجد سببا قريبا أو بعيدا لدرء هذا  
المرض ، الا حينما طلب منه صديقه الأمير فيصل أن يذهب الى لبنان ، على  
حسابه لعل الله يكتب له الشفاء .

وفي آخر سنة ١٣٧٦ هـ ، ودع ابن بلهيد أبناءه ، وكأنه قصد

أحسن أو عرف أن هذا هو الوداع الأخير وسافر الى لبنان ،  
وأحساسه بمواقبه مرضه يغلب على أمه في الشفاء ، فصدق احساسه



حيث كتب الله له الأصلاح ، لمختاره الى جواره ، وذلك في عام  
١٣٧٧ هـ ، بعد حياة مطوية بالحيوية المتدفقة ، والنشاط  
المتوقد ، وبعد أن أثار الطريق لمن بعده ، وفتح الباب لمن  
خلفه ، في سبيل الفكر والمعرفة ، رحمه الله . .

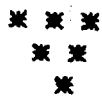


## الباب الثالث

### شميره

- الفصل الأول : الشعر في نجد واتجاهاته في عصر ابن بلهيد .
- الفصل الثاني : شاعريته .
- الفصل الثالث : ديوانه .
- الفصل الرابع : أغراضه .
- الفصل الخامس : شعره وما فيه من خصائص :

- أ - من حيث الألفاظ والأساليب .
- ب - من حيث المعاني والأفكار .
- ج - شعره بين التقليد والتجديد .
- د - الصنعة وأثرها في شعره .
- هـ - تحليل قصيدته .
- و - كلمة حول الشعر الشعبي .



## الباب الثالث

شمسة

"الفصل الأول"  
~~~~~

الشعر في نجد

واتجاهاته في عصر ابن بلية

لقد كان الشعر أول ما قام في نجد أثناء قيام النهضة الحد يثية مرتبطا ارتباطا كاملا بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، فكان يسد دور في فلکها وفي تأسيس كيان تلك الدولة التي قامت لتطهر العقائد من شوائب الوثنية ، والخرافات السائدة .

ونحن عندما نتبين أهداف الدعوة ومقاصدها ، يظهر لنا واضحا جليا أنها إنما قامت من أجل تجديد هذا الدين وتطهيره من رواسب العقول الفاسدة التي تماورت في عصوره المختلفة ، ومن هذا يتبين لنا أنها إنما كانت تعنى بالجوانب العلمية البحتة ، لكونها أساس ما قامت الدعوة من أجله ، فلا تنحصر علميتها اذن ، ان هي لم تؤثر في الشعر - أول الأمر - تأثيرا مباشرا ، يضاف الى ذلك أن الشعر كان عند الكثيرين من العلماء غير مرغوب فيه ، بل ربما عده بعضهم من الأمور العزيرة بالعالم وقد تطرق الى هذا الموضوع الاستاذ محمد بن حسين ، حينما قال : " ولعل نشوء تلك النظرة ، كان مضمورها أمور أهمها :

(١) تحريف القرآن الكريم بالشعر في قوله تبارك وتعالى " والشعراء يتبعهم الفاوون ألم ترأنهم في كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون ساء الذين الذين يسعون .

(٢) الأثر الولود لأن يمتلئ جوف أحدكم قمحا حتى يبربه ، خير من أن يمتلئ شعرا "

(٣) أن كثيرا ممن طرقت سبيل الشعر ، وامتنعوا القول فيه ، كانوا ممن المتطرفين المتساهلين .

على أنه لم يكف يعض الصهد الأول من النهضة حتى ظهر من العلماء من استخدم الشعر في :

(١) رد شبه المشبهين من الشعراء الذين استخدمتهم الدولة العثمانية وغيرها ، من المعارضين ، لتشويه الدعوة التي حمل التجديديون لواءها وباعوا في سبيلها أرواحهم وأموالهم .

٢- أو التذمر والشكوى ما أصاب البلاد من المعن والاحن ، والرزايسا
الجسسية التي جررها الأتراك (١) .

فمن هذا يتبين أنهم لم يتطرقوا الى قول الشعر الامد فوعين ، فما
جرى على السنة بعض الملحدين من الشعراء من القدح والتصريح بالدعوة
وأثمتها ، كان سببا في جر العلماء الى سبيل الشعر ، أو اجازة
قوله ، وقد كانوا من العازفين عنه تورعا ، فتجشموا مسلكه الوعر ، ولسان
حالهم ينشد قول الشاعر :

إذا لم يكن إلا الأسنه مركب . . فما حيلة المضطرا لا ركوبها

تلك سيرة الشعر والشعراء في تلك الفترة وهذا هو منهجه ، فما
هي أغراضه التي طرقها ؟ وما مدى قوته في تلك الفنون ؟

لقد حال هؤلاء الشعراء في كثير من الأغراض التقليديه التي طرقها
قبلهم السابقون ، كالمدح ، والمراثي ، والنزل ، غير أن هناك غرضا واحدا
قد استأثر باهتمامهم ، حتى اقتصر عليه الكثيرون منهم ، وهو ما يسميه
رجال أدب الجزيرة وشيوخها بالشعر التعليمي ، وسنتطرق الى عرض
هذه الأغراض على حسب أهميتها عندهم ، وتداولها بينهم :

الغرض الأول : " الشعر التعاليسي " أو شعر الدعوة وقد حظى بالمرتبة الأولى
فبهو شعره من شعائر الدعوة ، فكان عليه أن يذود ويدافع عنهم ،
ويبين عن مزاياها ، ويشرح خفاياها ، من أجل ذلك ، وجدنا أنه أوفر
الأغراض عندهم حظا ، وأحظاها بينهم منزلا ، وأملكها لوجدانهم ، وأقواها
على قلوبهم وألسنتهم سلطانا ، حتى سبقوا فيه القائلين ، وهزوا الأوليين
والآخرين ، فسماوا بقولهم عن الهجاء ، ومناهجه المبتذله ، واقتصروا
في نظمهم على بيان أصول الدعوة ، وفروعها المستمدة من المنبع الصافي
الذي فجره للإنسانية محمد صلى الله عليه وسلم ، دون ما غلبه الوعر أو

(١) الأدب الحديث في نجد - محمد بن حسين ص ٢٢٠

تطرف ، بل وسط بعيد عن التفريط والافراط ، كما هو مذهب الصالحين من السلف الأولين .

الفرض الثاني : " المدح " ويغلب على هذا الغرض مدح الدعوة والمعلم ، وبمجان شرفهما ، وفضيلة العمل والتعب في تحصيلهما ، وبمجان ما قامت عليه الدعوة من أساس متين ، ونهج قويم ، وكذلك مدح أئمة الدعوة ، وقادتها المحتسبين الصابرين ، والثنا عليهم بما بذلوه من نفس ونفيس فسي سبيل ان تكون كلمة الله هي العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ، وكذلك تهنتهم بما حقق الله على أيديهم من النصر والتمكين ، وما نلاحظه أن هؤلاء الشعراء حينما يمدحون ، لا يطلبون عطاء ، فهذا ليس من مقاصد هم ، وليس من أغراضهم .

الفرض الثالث : " الرثاء " ويحتمر في الغالب ، مكملا للفرضين السابقين ، وهو وان كان أقل منهما ، الا أنهم قدرثوا فيه أعلامهم وشأخيمهم الذين بذلوا أنفسهم للدين والعلم .

الفرض الرابع : " الغزل " يقول الاستاذ محمد بن حسين : " لقد كان شعراء الدعوة أمام هذا الغرض الشعري الأصيل ، بين عاطفين قويمين متضادين :

- (١) طبيعة الدعوة التي لا تتحمل التفريط بل هذا الغرض الطروب .
- (٢) طبيعة الشعر والشعراء التي تميل الى كل ما يهز النفس ، ويهيج الحسب القلب ، ويفسح المجال للخيال للتلاعب بشعبي صور الجمال . . طسى لوحة المواسق الواله ، بهرشة المجنح بالخيال .

ولقد وجد شعراء الدعوة من ذلك مخلصا ، كالذي سنه لهم كعب بن زهير رضي الله عنه في صدر الاسلام من افتتاحه مدح الرسول (ص) بالغزل في مثل قوله :

بانئت سعاد فقلبي اليوم متبول . . متخيم اثرها لم يهد مكبول

وكذا في مثل قول حسان بن ثابت رضى الله عنه :

تهلت فؤادك في الفؤاد خريدة . . . تسقى الضجيع بسلوك بسام

لذلك جالوا فيه وصالوا حتى بلغ من اكارهم فيه أن الناظر في شعرهم غير المتأمل لأحوالهم يخيل اليه أنه غرض مقصود عندهم لذاته ، على رغم أنه " نسيب " قصد به محاكاة الأقدمين " (١) .

وعلى الرغم من تعرضهم للنسيب في أول قصائد هم فيها لم يتعدى كونه محاكاة لشعر الأقدمين لا يتفاعل الشاعر معه ، ولهذا نستطيع أن نحكم بأن طبيعة الدعوة لا تقبل مثل هذا الشعر " الالهي " كما أن طبيعة المجتمع في ذلك الوقت كان عاملا مساعدا في مثل التفضي بهذا الغرض بل اماتته ، يقول الاستاذ محمد بن حسين : " لقد تهمت باستقصاء ، كل ما عثرت عليه مما قالوه من الغزل المستقل عن كونه مقدمة لغرض آخر ، أي نسيبا ، فما وجدت من ذلك الا قصيدتين للشيخ محمد بن دفع الى قولهما وهو شيخ في الثمانين " (٢) .

تلك هي أهم الأغراض التي أوقوها في شعرهم ، أما الهجاء فقد بدأوا بأنفسهم عن أن تنحط الى دركة ونزهوا أنفسهم عن أن تتلوث بأدرانها ، ولذا فانه اذا ما عرّف في شعرهم أتى على صورة اللوم فقط ، وأما الفخر ، فقد تناوله البعض منهم كأمين عثيمين ، وتناولا خفيفا ، من ذلك قوله :

ودونكها ولاجة كل مسموع . . . يقال اذا تلى : كذا يحسن الشعر

فالظاهرة العامة التي اتسم بها الشعر النجدي ، هي العفة في القول ، والقصد في المبالغة ، والبراءة من الفحش والمجون والاقذاع في الهجاء ، وذكر العورات ، وإثارة الفرائز ، فكان من هذه الناحية ، قريب الشبه ، بشعر الشعراء الاسلاميين في العصر الأول .

(١) الادب الحديث في نجد - محمد بن حسين ص ٢٨ : بتصريف .

(٢) المرجع السابق ص ٢٩

الأخيره - كان هذا الشعر يعبر الى حد ما عن بعض جوانب الحياة ، وخاصة الروحانية منها ، ولكن بقدر ضئيل جدا ، ان كانت أغراض الشعراء في تلك الفترة هي هي نفسها ، . . . الأغراض التي كان يتناولها الشعراء ، وبطرقها الشعراء في العصور الوسطى .

أما في الصياغة وفي الأسلوب ، فقد تحسن الشعر ، وتطور كثيرا ، علما كان عليه في العصور التي فسدت فيها اللغة العربية ، وفيما كان الأدب حتى أصبح صناعة لفظية تتكلف الهديع كحلية زخرفيه ، ما جعل الشعر قوالب ألفاظ ، ليس فيه من الروح الشعرية ذات الانبعاث الوجداني والمشاعر الحية ، والانفعالات بالتجربة الشعورية ، الا بالقدر اليسير يبقى على الاطار الشعري - سطحيا - فحسب .

* * *
* - *
*

” الفصل الثاني ”

~~~~~

” شاعريتميه ”

\_\_\_\_\_

لقد منح الله محمد بن بلهيد شعورا مرهفا ، وأحاسيس دقيقة ،  
 ينظر الى الأشياء من جميع جوانبها ، نظرة متأمل ، وبعينها يخيل خصيب  
 وتطلعات صادقة ، فكان صاحب عمقية جعلته من أصحاب الرؤيا البعيدة  
 والنظرة الصائبة ، ومن ضمن هذه القدرات ، أو من خلالها ، تفتقت مواهبه  
 الشعرية ، وهو لا يزال صغيرا وفتحت قريحته وهو لا يحرف عن الشعر الا أنه  
 المبرع عن الشعور ، والحاكي عما في الصدور ، لهذا كان له اتجاهان في  
 الشعر ، أو كان له من الشعر نوعان :

الأول : الشعر الشعبي .

الثاني : الشعر العربي : ونحن لا نستغرب أن يكون له هذان الاتجاهان  
 في الشعر ، اذا ما عرفنا طبيعة بيئته الثقافية والأدبية ، التي  
 افترضت عليه أن يسير في الخط الأول ردا من الزمن فـ اذا  
 ما خرج عن نطاق بيئته سواء بنفسه أو بمقله ، فانه ينتقل الى  
 الاتجاه الثاني ، وهو الشعر العربي ، ليساير رغبات نفسه  
 ومطلبات عصره ، وسنتعرف على هذين النوعين من الشعر  
 بادئين بالشعر الشعبي لسبقه في شاعريته .

### الشعر الشعبي :

لم يكن للشعر العربي في أول حياة الشيخ محمد بن بلهيد ، وفي  
 بيئته ، أي نهاية أو شأن ولم يكن في مجتمعه ، أي شاعر بالعربية طيب  
 الاطلاق ، فوجد ابن بلهيد نفسه أول الأمر تتفاعل مع شعر قدهم  
 وانتشر في كل أنحاء الجزيرة ، ونجد بصورة خاصة ، وهو الشعر الشعبي  
 أما لماذا اتجهت به شاعريته الى هذا النوع من الشعر ؟ فان مرد ذلك  
 الى بيئته التي نشأ فيها وهي لا تعرف من الشعر الا هذا النوع ، ولا  
 الشعراء الا هذا الطراز ، نشأ لهجد هذا اللون من الشعر هو المصنوع  
 من حياتهم ، وما فيها من قسوة وخصاصة ، أو سعادة وراحة ، ثم رأى رواجه  
 ومكانته في نفوس العامة - وكل الناس في ذلك الوقت عامه - كما عرف أن هذا

اللون - من الشعر عام لجميع الأفراس الشعرية ، فاعتنقه ، واتبعه ، حتى كساد  
يمتقد أن ليس هناك من شعر إلا هذا العنوان .

وإذا كان هناك من عيوب على هذا النوع من الشعر ، فإن الشاعر  
بعمد كل البعد من أن يلحقه لوم أو عيب ، ذلك لأن بيئته قد ضيقت عليه  
نطاق فكره ، وحدثت من تطلعاته ، ولولا ما فيه من العبقرية والأصالة الشعرية  
لما استطاع - فيما بعد - أن يصحح طريقه ، ويتجدد بقريحته إلى الشعر  
العربي ، ولم أقل أن بيئته هي التي وجهته إلى الشعر الشعبي " استنتاجاً "  
هل هذا حقيقة مرحلية مرت بالشاعر وكانت أول ما سجله عندما تحدث عن شعره ،  
ويقول عن هذا : " وبعد . . فقد كنت من أحوالهم عوامل التكوين وخصائص  
البيئة التي ما خلفته النوادي الشعبية من إنتاج ، فقد كانت البلاد انزواك في  
معزل عن العلم والعالم ، ولكن البيئة العربية السخية ، التي أوجبت عاقرة  
الشعراء في القرون الغابرة ، أهدت أن تظل كما كانت منتجة على اختلاف  
في طابع ذلك الإنتاج ، فقد كانت مجالس السمر تتفنن بالمساجلين ، فخلقت  
لنا إنتاجاً لا يستهان به ، وكنت في مستهل الحياة أختلف إلى تلك النوادي  
وأستوحى ما يطيب لي فيها من جيد الشعر ، وأتعمق في دراسته حتى  
أجدت صناعة الشعر الشعبي وأصبحت أحد المتساجلين " (١) .

وقد خلقت معه تلك الموهبة الشعرية ، والعبقرية المبكرة ، فليس  
من الغريب أن نجد وهو في سن الثانية عشرة أن يقف في حلبة المساجلات  
الشعرية ، وأمام تلك الجموع من الناس ، ليلقي ما عنده وهو محمول على  
الأكثاف ، حتى يراه الناس ، يقول في معرض حديثه عن شاعريته المبكرة  
" وقد بلغني الأمر أن أسجل الشاعر المرحوم " السكران " وكان شاعراً  
مقرباً ، أنكر أن رجلاً يقال له عبدالله بن سالم ، كان يحطني على كتفيه  
حتى ألقى ما عندي في ذلك المحفل ، ثم يضمني وهكذا كلما دعت الحاجة  
إلى أن ألقى بدلوى في الدلاء وذلك نظراً لصغر سني " (٢)

(١) مقدمه ديوانه

(٢) مقدمة الديوان .

فكان شعره شعبياً " عامياً " في فترة حياته الأولى ، أجاد فيه برزء ،  
ونافس من هم أكبر منه سناً وأكثر منه خبرة بصناعة الشعر الشعبي ، فبرزهم  
وظلهم في حلقات المساجلات الشعرية .

الشعر العربي : في سنة السادسة عشرة تقريبا ، وبعد ما قرأ الشعر العربي  
في بطون كتب الأدب وبعد ما جادت عليه أسفاره مع عه لملاقات بعض  
العلماء الذين لهم اشعار بالعربية ، وبعد ما رأى في الشعر العربي  
ما بأسر النفس ويغلب الألباب من جمال الصور ، وعمق التصوير ، بعد هذا  
كله أو من هذا كله اتجه بقريحته الشعرية ، وموهبته الفطرية الى هذا الاتجاه  
الذي عشقه ، وكان نجاحه في الشعر الشعبي باعثا له على التوجه الى  
طرق الشعر العربي ، فنجح فيه ، بالرغم من أنه لم يلق قبولا واستحسانا  
من قبل أهل مجتمعه وبهئته مثل ما لقيه شعره العامي ، ذلك لأنه جد يسد  
عليهم ، ولا يستسيغونه مثل ما يستسيغون الشعر الشعبي الذي يتحدث  
بلغتهم ويلهجتهم العامية ، أما النجاح والتقدير والاستحسان الذي  
حسب له ، فقد لقيه عند رجال الأدب الذين يعرفون الغيث من السمين  
كما لقيه عند كل دارس للأدب الحديث والذين يعتنون بنشأته وتطوره .

ويكفيه من الفضل والشهرة ، أنه ساهم في احياء الشعر العربي  
الذي كانت تلك البقاع مرتسمة ومنشأة . وأنه نقل الشعر في تلك الربوع من  
اتجاه ملتو ، ومفاهيم ضحلة ، " من الشعر الشعبي " الى الشعر العربي  
الفصيح ، الى الطريق الصحيح فاعلانا المياه الى مجاريها .

وهو حينما بدأ يتجه الى قول الشعر بالمربية الفصحى ، أخذ  
بمعد نفسه لذلك ، فكان يستمع ويقرأ ويهدل في سبيل الحصول على الكتب  
كل غال ورخيص ، ليكب على قراءتها ودرس ما فيها ، وكان يصرف كسرة  
ماله على قلة في شراء الكتب ، ويحدثنا في مقدمة ديوانه عن هذا التحول  
في حياته الشاهره فيقول : " تخرجت من تلك المدرسة الشعبية ، وكان  
هذا النجاح باعثا لي على بدء محاولة أخرى ، فأخذت أروي تعطش

من كتب الأدب ، وأخبار العرب ، وأتباع الكتب بأثانها الباهضة ، ~~التي~~  
قلّة ذات اليد ، وأتمشّق مجالسة العلماء ، على أن الوسط الذي نشأت فيه  
كما أسلفت لم ينتشر فيه العلم بشكل يساعد على التحصيل " (١) ، وطس  
الرغم من هذا فقد تخطى تلك الحواجز الكأداء ، وأخذ في قول الشعراء  
بالعربية الفصحى وهو ما يزال صغير السن ، ولكن تلك الشاعرية المتدفقة  
اعترضها عارض ، وهي ما تزال غرة وجموحه ، فتعطلت أوتارها ، وسكت نغمها  
لغزّه ليست بالقصوى ، بالنسبة للشاعر ذلك أنه قد مر بتجربة كادت تحط  
تلك الصبغية ، وتهدم تلك الشاعرية المبكرة ، وقد ذكرها في مقدمة ديوانه ،  
فقال في معرض حديثه عن شيوخه : " كبت أهتبل سوانح الفرص اذا اجتمعت  
بعالم ما لأستضى " بقبس من عرفانه ، وكان من بين أولئك صاحب الفضيل  
العلامة الجليل الشيخ " أحمد بن عيسى " وكانت له اليد الطولى في جميع  
الفنون ، قدم القرائن مسقط رأسى ، فذهبت اليه في معية عمى عبدالعزيم  
ابن بلهد ، فسلمنا عليه ، وجلسنا عنده ، وتجاننا أطراف الحديث ،  
فالتفت الى عمى وقال : هذا الغلام ابن لك ؟ قال : لا ، هذا ابن  
أخى عبدالله ، قال : لعله يقرأ ؟ قال : نعم يحسن القراءة والكتابة ،  
وله ولع شديد بتاريخ العرب ، وآدابهم ، وأشعارهم ، وأخاله يحسب  
نظم الشعر ، فالتفت اليه الشيخ قائلاً " حسب ابن أخيك نظم الخرز " فكانت  
تلك الكلمة صدمه قاسية فتت في عضدى ، وأوشكت أن تحول مجرى حياتى ،  
فقد كدت أزهد في بضاعة الأدب ، وكان يدور بخلدى ان ذاك أن محاولتى  
لغرض الشعر شى " من عبث الطفولة لا جدوى من ~~هواك~~ (٢) .

لقد صادفت تلك الكلمة " حسب ابن أخيك نظم الخرز ، نفسا شاعره ،  
ذات احساس مرهف وعاطفة رقيقة دقيقة ، فلا غرابة اذا أن تمزق نفسه عن الشعر  
ما يقارب السبع سنوات ، خرن - خلالها - بضاعته في نفسه ، وكتم عواطفه  
وأحاسيسه ، حتى كاد ذلك يقضى على طموحه وبميت صوبهته ، كما كادت

(١) مقدمة الديوان .

(٢) مقدمة الديوان .

## كما كسادت تلك العبقريّة الشاعريّة

أن تذهب بسبب هذه الكلمات المتشائمة في ميدان الأدب ، وبالشاعر  
بعد ما زمن لم يحدث نفسه بهيت واحد ، ولكن سكوت تلك النعمة لهم  
هدم ، فمعدنه أصيل ، وشاعريته صادقه ، ففي سنة الرابعة والعشرين ،  
رأى حدثا هز شعوره ، وحرك أحاسيسه ، فأبته شاعريته الا أن تخرج عن  
نطاق العزلة التي ظلمها بها ، فتفتقت قريحته بأول قصيدة عربيّة ، بصـ  
بها ديوانه ، وهذا الحدث هو " موقعه تره " التي انتصر فيها جيش الملك  
عبد العزيز على جيش الشريف ومعاونيه ، حيث وضعت حدا لفسادهم وخرابهم ،  
فكان من هذا الانتصار ، أن غمر الشاعر بهيئة هزت حياته ، وأنطقت لسانه ،  
فكانت بداية ناجحة انتشلت الشاعر من بين برائن اليأس ، واستنقذته من  
ظلال القنوط ، لتدفعه الى الأمام في طريق الفن الذي طالما مراعبت ريشته  
أوتار قلبه ، وثنايا مشاعره وأحاسيسه المضطربة في أعماق روحه الشاعريّة ،  
يقول في مقدمة ديوانه : " وفي غمرة من غمرات الذهول ، حينما استأصل  
جيش " أهل التوحيد " جيوش الحسين بن علي تحت قيادة ابنه عبد الله في  
موقعة " تره " التي هزت الشعور ، وتفتحت بذكرها القرائح المغلقة ، تمخضت  
القريحة ، عن أول قصيدة نظمتها من هذا الديوان (١) ، فكانت موقعه  
تره سببا في هز مشاعره ، لما تحمله من معاني الانتصارات العسكريّة والسبب  
والاجتماعية ، والتي كان الناس في أشد الحاجة اليها ، وجد يرتك الموقعه  
أن تهز الشعور ، بل وتفتق القرائح .

ولعل في قوله " وفي غمرة من غمرات الذهول " ما يبين عن أن قريحته  
قد داهمته بما حرك شعوره ، وأثار شجونه ، فكأنها كانت هذه القصيدة  
من وحي الإلهام ، يقول في مطلعها . وقد بدأها برثاء الأطلال ، والنسيب :

تغير رسم الدار أصبح خالها .  
فليس بها حق يجيب المناديا  
عنى رسمها من واهل العزن رائج .  
وآخر مهاد من المرزنا غاديا

(١) مقدمة الديوان .



- قلم يهق الا موقد النار حوليه .: رواكد أمثال الحمام بواقيا  
أسائلها عن أهلها أين يعموا .: وهل يسألن من لا يجب سؤاليا  
منازل حتى طالما حل سوحها .: أو انس أتراب حسان غوانيا  
تداولها ذارى الرياح وأقفزت .: على طول مرات السنين الخواليها  
خليلى عوجا يسلو القلب ساعة .: بتذكار من يهوى اذا كان نائبا (١)

وتبلغ هذه القصيدة خمسا وخمسين بيتا كلها على هذا النمط من  
الجودة والقوة .

وانا كان الشاعر قد حول اتجاه شاعريته آخر ، فليس معنى هذا  
أنه قطع صلته بالشعر النبطى ، ولكنه قل بالنسبة الى هذا الاتجاه الجديد  
الذى اختاره لنفسه وصار يمثل ٢٠ ٪ بالنسبة الى شعره العربى ، وكان هذا  
النوعان يسيران جنبا الى جنب حتى ظب الشعر العربى على شاعريته .

---

(١) الديوان ص ١٥

\*\*\*  
\*\*\*  
\*\*

” الفصل الثالث ”  
~~~~~

” ر يوانيه ”

جمع الشاعر قصائده في ديوان اسما " ابتسامات الأيام ، فـــــــي
انتصارات الامام ، ويقع هذا الديوان في ٣٦٣ صفحة من الحجم المتوسط
وقد تم طبعه سنة ١٣٧٠ هـ على مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة ، وقد
بدأه بمقدمة بين فيها بعضاً من مجريات حياته الفنية ، ومحاولاته قرض الشعر ،
وما لاقاه من نجاح أو تخذيل ، ثم انتقل بعد ذلك الى أجزاء الديوان ،
ويشتمل في أظنه على ثلاثة فصول ، ذكر ما تحويه هذه الفصول في مقدمته
بقوله : " الفصل الأول خاص بما قبل في العاهل العظيم الملك عبدالعزيز
ابن عبدالرحمن بن فيصل آل سعود ، والفصل الثاني خاص بأما ديج ولسي
العهد المظم سعود بن عبدالعزيز آل سعود والفصل الثالث خاص
بسمو الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود ، وسمو ابنه الأمير الجليل
عبدالله الفيصل آل سعود ، وآخر الديوان مراعى متعدده (١) .

وتريد الآن أن نستعرض أقسام هذا الديوان على أنها ستة لا كما

قال : ثلاثة .

القسم الأول :

في مدح الملك عبدالعزيز ، المؤسس الأول لهذه الدولة الفتيحة ،
وقد بدأه بمقدمة تاريخية عن مـ طلع حياته وما فيها من نبوغ وفراسه ، كما
عرض لبعض ذكرياته الخاصة معه ثم بدأ في عرض القصائد معدودة بالمناسبات
التي من أجلها قيلت ، والسنة التي قيلت فيها وقد خص الملك عبدالعزيز
في هذا القسم باثنتين وثلاثين قصيدة ، كلها في مدحه والاشادة بمنجزاته
وما حقق من مبادئ العدالة والرخاء بين الناس .

القسم الثاني :

في مدح ولي العهد سعود بن عبدالعزيز " الملك السابق " وقد

(١) مقدمة الديوان .

بدأه أيضا بشبهه ترجمة لحيات ، وبعض ما قام به من أعمال ، أما القصائد
الخاصة بمدحه فعدد ما احدى عشرة قصيدة ، أغلبها فن تعجيد ما قام به
من مسانده لوالده في فتوحاته ، وتوحيده لأجزاء هذه الجزيرة .

القسم الثالث

وقد خصه بمدح سمو النائب العام على الحجاز ، وهو الآن صاحب
الجلالة الملك فيصل بن عبد العزيز ، وابنه عبدالله ، وقد بدأ هذا القسم
أيضا بلمحة تاريخية عن حياتهما ومكانتهما ، وقد خصهما بأحدى عشرة
قصيدة هي من طلائع شعره .

وقبل أن يبدأ في عرض قصائد هذا القسم أقدم في ثلاثين صفحة
من ديوانه " الفصل الخاص بأمراء مكة " من كتاب مرآة الحرمين ، الجزء الأول
من ص ٣٥٤ الى ص ٣٦٦ ، لمؤلفه ابراهيم رفعت باشا وقد نقل هذا
الفصل ، بمناسبة كون الأمير فيصل أميراً على الحجاز ، يقول في مقدمته
لهذا القسم ، " وبمناسبة أنه أمير مكة ، قد رأينا اتماما للقاعدة ، أن نضع
الفصل الخاص بأمراء مكة من كتاب مرآة الحرمين (١) وهرقم وجاهة هذا السبب
الذي أورده ، فأننى أرى بجانبه سببا آخر ، وهو أن نقله لهذا الفصل ،
واكماله الى عهد الأمير فيصل ما هو الا استكمال لمدح الملك عبد العزيز
وابنه فيصل ، والأسرة السعودية ، ذلك أنه قبل أن يبدأ في عرض جدول
بأسماء أمراء مكة ، تطرق الى ظلم وفساد أمرائها الاشراف حيث يقول :
" قلما وجد بين الأشراف مصلح ، وأن الحرب قلما انطفا سعيها بينهم
من أجل الاماره ، حتى يبلغ الأمر ببعضهم أن قتل أخاه وطبخ لحمه ،
ودعا اخوته الهاقين لوليمه قدم لهم فيها لحم أخيه ، وأقام على رأس كسل
منهم سيافين حتى لا يستفزهم الغضب الى الانتقام ، وكانوا يجدون مسن
الحكام المجاورين من يساعد هم على قتل بعضهم بعضا حتى تفارق الشر

(١) الديوان ص ١٧١ .

بعلمهم ، فكانوا أسوأ أسرة وجدت بين أفرادها أسوأ العلاقات ، وكسبان
 خليقا بحكام البلد الحرام ، والمتشرفين بجوار بيت الله ، أن يكونوا مثالا
 حسنا للامارة والولاية ، ولكن الملك عقيم ، خصوصا اذا كان بين الجهلاء
 الذين يحسبون أن مجرد نسبتهم الى الرسول (ص) فخر لهم وشرفا
 وان يبدوا أخلاقه وأعماله وآداب دينه ولقد سموا أنفسهم شرفا - ويعلم
 الله أن أكثرهم من الشرف براء (١) .

القسم الرابع :

في " الرثاء " ومن رثاهم زوجته ، والشيخ عبدالله بن عبداللطيف
 آل الشيخ وكثير من المشايخ ، وغيرهم من رفاقه وأصحابه ، كل هذا فسي
 سبع قصائد طويلة معجزة .

القسم الخامس :

في الغزل " ويحوى قصيدتين قالهما متغزلا في مرضتين أشرفتهما
 على علاجه وهو في مصر ، وهاتان القصيدتان هما كل ما قال في الغزل
 كفر مستقل ، أما الغزل التقليدي الذي يبدأ به القاصد ، فكثير في شعره .

القسم السادس :

الوصف ، وبعض القصائد المتنوعة ، وما قاله في الوصف قصيد
 يصف فيها سفره الى مصر ، وأخرى يصف مرضه ، وثالثة يصف فيها تقصدهم
 العلاج والعلم في مصر ، وقصيدة أخرى يشكر فيها طبيبه الذي أشرف
 على علاجه .

وقد قيل ديوانه يمشي من شعره العاصي ، وأعقبه بذكر مختارات
 من شعر العامية في نجد . وبعد ، فان هناك سؤالا يلحا يطرح

نفسه عند دراسة هذا الديوان وهو : هل شعره يقتصر على ما حواه ديوانه من قصائد ؟ وهل ديوانه يحوى كل قصائده ؟

عند محاولتى للإجابة على هذا السؤال ، انتهت ديوانه للمقارنته بين تواريخ قصائده فوجدت أن أول قصيدة أثبتتها فيه كانت قصيدته سنة ١٣٣٧ هـ أى وهو فى سنة الرابعة والعشرين وقد مرضنا قبل أن له قصائد عريضة وهو ما يزال فى سن شهاه المبكر ، الى أن أسكتته شيخه - فيما بعد - أحمد بن عيسى بقوله لعمه : " حسب ابن أخيك نظم الخرز " وسكت بعدها الى أن هزت شعوره موقعة تره ، فقال قصيدة هى أول قصائده فى هذا الديوان ، اذا فشعره فى المرحلة الأولى أو " شعر التجربة " لم يسدون ، ولم نعثر له على بينه ، وبالمقابل ، فقد انتهت آخر قصيدة فى ديوانه فوجدتها فى آخر سنة ١٣٧٠ هـ وهى قصيدة " شكر وثناء " لطبيبه الذى عالجه " عمر أسعد ، وقد طبع الديوان خلال وجوده فى مصر وفى تلك السنة المذكورة وهى سنة ١٣٧٠ هـ وعاش الى سنة ١٣٧٧ هـ ففى هذه الفترة ما بين طبع ديوانه وبين وفاته لم يحفظ له من القصائد الا قصيدته فى لبنان سنة ١٣٧٧ هـ عند وصوله اليه وقبيل وفاته ، وقد طلبتها من ابنه عبد الله فاعتذر بضياعها عند نقل مكتبة والده من جده الى الرياض .

وعند قرائتى لكتابه المخطوط " ما تقارب سماعه وتباعدت أمكتته ويقاهه " عثرت على قصيدة له بعد طبع ديوانه ، قالها سنة ١٣٧٤ هـ أثناء وجوده فى الأحساء ليستحم فى مياه عين نجم المعدنيه وقد ساعد استحمامه هذا على شفاؤه أو برئه كما تدلنا على ذلك قصيدته التالية :

تحممت فى نجم وقد طلع النجم

وذلك نجم السعد وانقشع السقم

تحممت فيها للشفا وورينى

لطيف وفى كل الأمور له حكم

فما قاتني المولى من العرض الـذي

يمقد أعصابي ولمس بهيـا

فكان طبيبي خالق حين دلـي

عليها هو الهاري فقد برى الجسم

سقاها من الوسمي كل محـتم

يساق اليها كلما دخل الوسم

وأمسى على المهفهوف منبثق الحـري

تعج كثير الودق أمزانه السحـم

على جنبات القرن (١) ضاف عبايـه

ومعهد المعروف سيلهما حـتم

ففى سالف الأزمان ما ظن ها جسـي

بأن جناب القرن يقرى به العلم

ولكن هذى نهضه قد تبتقـت

قريحة أهلها وطاب لها الفهم

هنيئا لأهل القرن والمعهد الـذي

به كلما عدت مناقبه يسمـو

وأسيابه هذا المدير الذي يـهـ

أديب وفق كل العلوم له فهم

لقد زوته يوما فألقبت نهضـه

تلاميذه تعضى كما يمضى السهم

وأسمعى التقرير كل مهـذب

أطفنا عليهم كل فرد له اسم

(١) القرن : اسم للأحساء .

(٢) هو الاستاذ عبد الله بن حميس .

أتينا من الدمام عند وصولنا

الى جانب الهفوف ينقطع الحزم (١)

فقابلنا من نسل زيد عصابة

كرام بهاليل أنوفهم شمام

وقام بما نحتاج قرم موثق

يروم قضا حاجاتنا بطل شهيم (٢)

لنعم كرام القوم من آل فهم

كرام ساعبيهم وقد نالهم نعم

ولا تنسى ابن العم واذكر فعاله

وليس لنا في الدار خال ولا عم

بقى معرفة شعره في الفترة ما بين سنة ١٣٣٧ هـ الى سنة ١٣٧٠ هـ
أى في الفترة ما بين سنة الرابعة والعشرين وبين طبع ديوانه ، ونعم
طرح السؤال السابق مرة أخرى : فهل ما في ديوانه من القصائد هـ
حصيلة تلك السنوات ما بين ١٣٣٧ هـ ، ١٣٧٠ هـ ؟

يرجع ابن عمه الشيخ " سعود بن عمر بن بلهد " (٣) أن القصائد
الموجودة هـ كل ما قال من أشعار ، وأنه جمع قصائد ما كتبه الصحف
من أشعاره ، وما دونه عنده ، قطبها في هذا الديوان ، الا قصيدة
هى أطول قصائده ، عنها في جريدة الهلال التى نشرتها . فلم
يحصل عليها ، وقد سألته عن تلك القصيدة فأفادنى بأنه قد تعيب
في البحث عنها فلم يجدها ، ويقول : ان هذه القصيدة كانت بمناسبة
توديعه للأمير فيصل ، وابنه عبد الله ، عندما ذهب الأمير نهباً عن والده
لممثل الملكة في أحد المؤتمرات المعقودة في أمريكا ، فسافر عن طريق
البحر ، وقد جادت قريحه هذا الراوى بمطلع قصيدته :

(١) الحزم هو المرز أحد قسسى الأحساء ، والثانى الهفوف .

(٢) هو الشيخ : ابراهيم بن مهنا .

(٣) راوية لأشعار العرب ، محبا لأدبهم وأخبارهم ، عاصر ابن عمه وعسرف
الكثير عن حياته وأدبه .

والمحبة بينهم ، فكان أن عزل جانبها ، الكثير من قصائد ، التي من شأنها
 أن تسمى أحدا ولعل في ذلك الاعتذار الذي اختتم به ديوانه ما يدل على
 رجاحة هذا الرأي ، يقول فيه : " انى أعتذر من اخواننا المجاورين لنا
 في الحروب الماضية ، فان رأو بهيت شعر به شدة ، فان الوقت الذي قبل
 فيه ذلك البهت أشد منه ، فان القنابل كانت تختلف بيننا وبينهم ، والحمد
 لله الذى جعلنا اخوانا فى ظل مولانا صاحب الجلاله الملك عبد العزيز
 آل سعود (١) .

وقبل أن نترك الحديث عن هذا الديوان ، نعود الى مقدمته
 التى تعتبر نموذجا فنيا للكتابة الأدبية الراقية ، يقول عنها الاستاذ
 " محمد بن حسين : " هناك ظاهره فى مقدمة الديوان جديرة بالملاحظه
 لجدتها على أسلوب الكتابة فى بلادنا زمن تدوينها ، وهى أن المقدمة
 تعتبر نموذجا للكتابة الأدبية الراقية ، ذات الصياغة الفنية المنبثقة عن
 ملكة راسخة فى فن الكتابة ، ومقدرة باهرة فى انتقاء الألفاظ القادرة على
 التعبير عن التجربة الأدبية الصادقة التى أراد ابن بليهد عرضها فى مقدمة
 ديوانه ، وقد أحسن العرض ، ولورجمنا الى الورا^١ عشرين سنة فقط ،
 لوجدنا أن ذلك المذهب فى الكتابة ، كان فى بلادنا عدما ، وأن ابن
 بليهد كان من الرواد الأوائل فى مجال الكتابة كما كان كذلك فى الشعر (٢) .

(١) الديوان ص ٢٧٨

(٢) الأرب الحديث فى نجد - محمد بن حسين ص ٦٠ .

”الفصل الرابعع”

”أغراضه”

على الرغم من أن الشاعر قد قسم ديوانه الى ثلاثة أقسام في مدح الملك عبد العزيز وابنيته سعود وفهصل ، الا أن هذا لا يعنى اقتصار ديوانه على غرض واحد هو المدح " فقط وان كان أكثرها وأظهيرها ، فأغراضه كما توحى بها قصائده هي : المدح - والرثاء - والفزل - والوصف والتهنئة ، وسنتاول هذه الأغراض بالدراسة حسب هذا الترتيب .

الفرض الأول :

" المدح " يحتل المدح المكانة الأولى في ديوان الشاعر ، ولعل قلبه هذا الفرض على غيره قد قلل من أهمية هذا الديوان في نظر البعض من قصار النظر ، وهم في رأيهم هذا ، انما يتبعون من قالوا ان الشعر العربي شعرا ستجدا " عاش على موائد الطوك والأمراء ، وأنه شعر مناسبات لا ينبعث فيه الشاعر الا عن الرغبة في المشاركة والمجامله ، دون أن تسوقه الى ذلك عاطفة صادقة ، وكانوا في هذه الدعوى منبهثين عما أغرق الشعراء الأوربي نفسه فيه ، من فردية ينطوى عليها الشاعر على نفسه ، متغنيا بأفراحه ولذائعه ، وأحزانه وأشجانه وقد شغلته شهواته ، لا يبالى بمصلحة عامة ولا يوقر دينا ولا يرمى خلقا ، والواقع أن مشاركة الشاعر في المناسبات هي مظهر من مظاهر ارتباطه بالجماعة ، وتجاوبه معها ، وأنه لا يرى الخير الا ما شمل الصاحب والوطن . كما قال الشاعر :

فلا هطلت على ولا بأرضي . . . سحاب ليس تنتظم البلادا

وليست فردية الشعر الأوربي التي سادته في القرن الأخير ، الا مظهرا من مظاهر تفكك الجماعة وانحلالها الذي يوشك أن يقضى على المجتمع الأوربي ويورده موارد الهلاك :

وكان الشاعر ابن بليهد قد أحسن بنوع من النقد سيؤخذ على شعره لسفليه شعر المدح فيه ، ولاقتصار مدوحيه على أربعة أشخاص تقريبا فأراد أن يدافع عن هذه الدعوى قبل أن تقام عليه ، فقال في مقدمة ديوانه ، وانا كان هذا مظهرا من مظاهر الفردية ، فلهؤلاء الأربعة في فصولهم

الماع للممارك التي دارت بينهم وبين الأعداء ، ولذا أعتقد أن هذا الديوان سيكون مصورا للظروف السياسية ، والأحوال الاجتماعية والتصورات الدينية^(١) أما أن يؤخذ على شعره الشعر العربي بصورة عامة بأنه يعيش على مواعيد الأمراء والملوك ، فكذلك كان الشأن في الشعر كله من عرف الأدب اليوناني والأدب اللاتيني حتى القرن الثامن عشر الميلادي في أوروبا ، عاش الشاعر دائما في ظل سيد أو شريف يشمله برعايته ، ويفقد عليه من ماله ، ولم يستقل الشاعر بنفسه إلا بعد ظهور المطبعة والصحافة التي مكنته من الاعتماد على القراء في كسب رزقه ، وتحصيل معاشه ، على أن شعر المدح ليس في له وصميه شعر استجداء كما يزعـمـون ، فنحن حينما نتفحص هذه المدائح التي يحويها هذا الديوان ، نجد أن الشاعر لا يصف فيه مدوحيه ، ولا يشكو حاجته ، ولكنه يصور قيما إنسانية رفيعة ما كان العرب يمجّبون به ويحبّونه ، وقاية ما في الأمر أنه ينسب هذه القيم الرفيعة للمدوح ، فهذا الشعر في له وفي صحبه ، شعر حماسة أروع ما تكون الحماسه ، وكله تصوير للمثل المرهبة العليا التي نحن الآن أحوج ما نكون اليها ، التي بثها في شباننا لمقاومة موجة الضمير والانحلال التي يتعرض لها في الصحافة الرخصية ، والقصص المبتذلة ، التي تفترس فيه كل اثر للنخوة والعروة والرجولة ، ليس الدافع الى المدح بالشىء المهم ، ولكن المادح يتصور مثله الأعلى في مدوحه ، فيصوره مجسما في الجرأة التي لا تقهر ، والهمة التي لا تقف في سبيلها العقبات والنخوة التي تخف لنجدة المستغيث ، والرحمة التي لا يخالطها ضعف والاباء الذي يرفض الظلم ، وبأبى الاستكانة والخضوع .

كل هذه القيم ، قد اعتمدها ابن بليهد ، ونسبها الى مدوحيه وجعلها في اطارين كبيرين ، جعل منهما عنوانين لمدحهم وهما :

أولا : اعزاز الدين ونصرته .

ثانيا : اقرار الأمن ونشره في هذه الربوع .

ولعل اختيار هاتين المادتين ، وجعلها السبيل الى مدوحيه ،

فلا زال موجودا أخو المجد باقيا

يذب عن السمحة للدين حاميا

عن جانب التوحيد من كل باطل

بكل رد يني وهضب يمانيا (١)

فهذا الامام انما يقاتل من أجل الدين ، فليس كثيرا اذا أن يسـ

الى العليا :

امام أقام المشرقية والقـ

يقاتل عن نهج الهدى كل فاشب

امام به الدين الحنيفي قد هـ

وأشرق منه النور في كل جانب

هنيئا لك العزم المؤمل قد سمـ

يهلك العليا فوق الكواكب (٢)

ان في اتباع هذا المدوح سنة محمد صلى الله عليه وسلم ، وتجد يـ
للدارس منها ، لمفخرة أى مفخره لامام قام بالدين ، وقام الدين به :

فان امام المسلمين خليفة . فما حاد عن نهج السبيل ولا عدا

يجدد من نهج الهدى كل دارس . وتابع ميمون النقية أحـ (٣)

فكان لهذا الاتجاه أثره الكبير في سيادة الدين واعزازه ، كمـ

انعكس هذا الاتجاه على المجتمع الذى يستفيد منه في كل صغيرة وكبيره :

وأضنت وجه الدين واتسع الفضـ

علينا فما أيقنت من طاش واعتـ (٤)

(١) الديوان ص ١٧

(٢) الديوان ص ١٩

(٣) الديوان ص ٥٣

(٤) ديوانه ص ٥٥

من قضية "اقرار الأمن" أولى المبادئ التي يمدح بها مدوحه . ليهيئنا
فلا نعيب عليه ، ان هو أكثر من ترديد هذا المعنى ، بقدر ما نعيب عليه ،
فيما لو ترك هذه المبدأ جانبا ، ولم يكن له مظهر في شعره .

ان قضية الأمن ، سواء حينما كان زمامه مقلتا ، أو بعد مسك زمامه ،
لتمس كل فرد في كل مكان من هذه الربوع ، فان هو أكثر من ترديد هذه
النعمة ، فانما يريد بها ، تعبيراً صادقاً عما يحس به ، هو وأفراد مجتمعه ،
خاصة وهو مخضرم بين هاتين الحياتين .

وقد خص الملك عبد العزيز بأكثر أما يمدحه في هذا الاتجاه ، فنراه
يمدحه بعد فتح الأحساء ، وكانت قضية اقرار الأمن أكبر منبع يستمد
منه خصال مدحه في تلك القصيدة ، يقول منها :

أمنت أهل الحسا والخط وانخفظت

لك الرقاب وأنت الفاتك البطول

وساكن الهر وحدان به أمــــن

ولا تضيق على سلاكه السبيل

المال يبقى على نهج الطيرــــــــــــــــق ولا

يأتيه ما ط ولا يأتيه مرتجــــــــــــــــل

تمشى هناك بنات البحر آمنــــــــــــــــة

من السماع ولا يستوحش الحمــــــــــــــــل

الحمد لله قام الأمر وانسطــــــــــــــــت

كل الدمار وطاب الشرب والأكــــــــــــــــل (١)

وقد اكتملت تلك الفرحة ، وجمت النشوة ، لأن هذا الأمن قــــــــــــــــد
طبق أرحام الجزيرة كلها ، وليس المدن فقط ، فنراه في مسارج البــــــــــــــــدو

(١) ديوانه ص ٦٣ .

قد عم وانتشر ، وقد كانت قبلا هي منبت القلائد والزجاج :

وأصبح الهدوف في أمن وفي سعة

يعشون فيها تشاء الشاة والجمال

إذا أحلت من الأوطان ما طلبت

فلا تسائل أنا تسرح الا بسرح

بالله ثم بأهل الأمر آمن

بأي دار سقاها الصيبد السهميل (١)

ولهذا فقد نالت به شرفا كل بقعة يصل إليها حكمه ، وتضمها ولايته :

عبد العزيز الذي عزت بطلعت

نجد وأضحت له بالأمر تمتثل

به توسعت ارضي الله وانيسطت

يعش أمينا عليها الراكب العجل (٢)

أما وقد نشر الأمن في ربوع الحجاز ، وأمن الحجاج ، فإنه يسر

عن أن يصل المدح إلى مرتبة ما انجزه وكل ما يقال في ذلك : أن الله

سخره ، لاجلال الأمن وتهديئة الأحوال ، فهو سبب إلى كل صلاح :

به أمن البيت الحرام وسن أتس

إليه أمينا لم ترعه الروائع

ويسكن هذا الثغر من كل حارات

كما سكنت عن جانبيه الزمان

سل الناس تنبيك الرواة بما ترى

ان اجتمعت في الموسمين الجامع

(١) ديوانه ص ٦٤

(٢) ديوانه ص ٦١

وقد أصبح ارساء هذين الأساسين ، الدين ، والأمن ، حقيقة واقعة تشهد بها كل المعالم التي دخلت في الحس :

فلو نطقت أركانها شهدت لـــــــه

بذلك ثور والحجون وزمـــــــزم

به أصبح الدين الحنيف آمـــــــنا

وفي عهده الأعراب دانوا وأسلموا (١)

كما أعاد الى مكة حرمتها فنشر فيها الأمن لأنها أحوج ما تكونون اليه : فهي قبلة المسلمين من كل مكان وهي وجهة لهم ، كما أنهم واجهة معبره عن صورة الحكم في هذه البلاد ، فلا غرو أن يجعل أول أعماله في مكة نشر الطمأنينة ، والهدوء ، والرخاء ، والسلم ، فكانت بهذا يلبسها ثوبا جديد ، ويعيد اليها جوها الديني الأول :

وكانت به أم القرى مطمئنة

بأمن وأهلوها سجدوا وركع

كان عليها حلة عبقرية

تناط بأركان أم صبح وترفع

وأصبح باد يها مقيما بنعمه

يعيش أنيق والسوائم رتبع

حماها من الأعداء من كل جانب

وأمنها والسيف بالسيف يقصر (٢)

بعد هذا فليس من الغريب أن يسمو عبد العزيز الى ذرى المجد ، والى علياء المحالي ، وهو الجد يصر بكم محبة وتقدير ، فله من المناقب ما يجعله أهلا لكل لكرمه :

(١) ديوانه ص ١٢٢

(٢) ديوانه ص ١٠٣

عبد العزيز الذي تسموا بطليعتي

عليها ربيعة في الأبتكار والأصل

من كان في قلبه مثقال خرد لـ
من حب أحمد لا يطوى على دخل

يحب عبد العزيز ابن الكرام بـ
حاصي على الدين من فتك ومن خلل

حاصي على السنة الغرابة وجدده
أرسى قواعدها بالبيض والأسود

وأيتها المرتدى بالذل من حجج
نم في جوار الامام العادل البطول

نم في جوار امام في مهنة
مضارب تحمد الأعضاء من القل

الحمد لله كل الأرض قاطبة
أمن وعدل بلا جور ولا ميل

يانازلين بأرض لا أنيس بهـ
دعوا سوائكم ترضى مع الهميل (١)

وهو حينما ينتقل الى مدح ولي عهد و ابنه سعود ، ينقل معه
هذا العنصر ليستمد منه مادة لمدحه ، فهو أولى من كل العناصر ، وهو
ينظر اليه - كغيره من أفراد مجتمعه - على أنه السبيل الوحيد لمن
أراد أن يحيا حياة حرة كريمة :

فيا سعود العلاء كم نلت من شرف
أشدد مبادئه في أيامك الأخير

ان يذكر المجد في بدو وفي حضر
فأنت تذكر في الهادين والحضر

قاد الجميع الى الحسنى وعصمهم
بنعمتين وبعض الناس ما شعروا

عبد العزيز الذى نلنا به شرفنا
يوم الفخا ربه نسمو ونفتخر

ليث تفرع فى عدنان منسبنا
على الفروع اذا بعض الورى قصروا

أزكى ربيعة ان عدت مكارمنا
للسائلين ففى أنواعها عجز

الطاعن الخيل شزا فى جماجمنا
اذا تهادت بها الخطية السمور

والفاخر الكوم فى خصب وفى جدد
ولو يحل على اسقابها الضور

اذا توافرت الوقاد واجتمعنا
بالجانبين كأن الناس قد حشروا

أسدى المهيم بكف لو قبض به
كثبان "عالج" لم يبق لها صور

الواهب المثة الأبقار ما اختلفنا
بالناظرين لها ألوانها عفور

عيت الأرامل بالمعروف باكرهنا
كما يباكر دار المجدب المطور

قرينه المجد والمعروف يعرفنا

سمح "بذول" كريم "وهو مقتدر" (١)

الغرض الثاني : المراثية :

يحوى ديوانه سبع مرتبات طوال ، وكلها معبرة عما أصابه من أسس وحزن ، وقد رش فى هذه القصائد ثمانية أشخاص ، أكثرهم من المشائخ الذين ساهموا فى اقرار الدين ونشره ، كما أنه رش زوجته " ساره " اليتى أدمت قلبه ، وأظهرت لوعته ، الا أنه لم يستطيع أن يصل بشعره فى رثائها الى مستوى الحدث الذى أصابه ، والرزية التى حدثت به بفقد شريكه حياته ، ويقول فى وصف لوعته وأساه :

كأنسى والذى هجت قريــــــــــــــــــــــــــــــــش
له بين المشاعر واستقامــــــــــــــــــــــــوا
سليم ما ينام الليل طــــــــــــــــــــــــــــــــرا
وكل الناس قد هجموا ونامــــــــــــــــوا
كأن الرزء طق فى فــــــــــــــــــــــــــــــــوادي
قطاة حين أفلتها القطــــــــــــــــــــــــام (١)

ولم ينس فى هذه المراثية أن يدعو لابنته بالحياة والبقاء ، بمسند موت أمها عند ولادتها ، ولكنه يعود ليحدد مناقب زوجته ، ثم يعزى نفسه بأن هذا من طرق الحياة ومسالكها ، وبرغم هذه الحقيقة ، فإن ذكراها لم تمنح من مخيلته :

فان كان الذى فى المهد طفــــــــــــــــــــــــــــــــل
بأيدى الحاملين له بفــــــــــــــــــــــــــــــــام (١)
لعل الله يكلؤه بعطــــــــــــــــــــــــــــــــف
وعين فى البرية لا تنــــــــــــــــــــــــــــــــام

(١) ديوانه ص ٢٥٤

(٢) البغام ، هو الصوت الضعيف ويصدر من الطفل .

فأما أمها بن جوير طبري

حياها أو بها أو قوام

وأما دهرها نصف صلالة

ونصف في هواجرها صيام

أبيها الأكرمين أبوك هود

وجدك خالد وأبوه سام (١)

فما منهم على البيداء باق

ولا في بطنها منهم عظام

ولكن ليس ينسيني أك شمس

ولو نسيت مصائبها الأتنام (٢)

وحيثما رثى الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف جعل من موته رزية
عمت كل الناس ، فهو العالم الفاضل الذي وسع الناس بعد له وفضلته ،
يقول في رثائه :

إن الرزية عبد الله حسين مضم

كانت مصيبته للناس كهم

العالم الفاضل الحبر الذي علمت

في الناس سيرته للزهد ملتزم (٣)

ولكن الحدث الذي أصابه لوفاة هذا الرجل ، أخذ عليه كل معنى

للسعادة ، أو الراحة ، فأراد ، أن يخفف بعض ما في نفسه بمشيمة
أخرى ، يقول فيها :

شمس الهدى أظلمت شأما وإيماننا

بعد الذي قد حياه الله عرفانا

(١) يريد أن زوجته من بنى خالد ، بطن من طوى ، وطوى بطن من كهلان
البن سبأ ، ينتمون إلى سام بن نوح .
(٢) ديوانه ص ٢٥٥ (٣) ديوانه ص ٢٤٣ .

لما خلا الريح أياما وأحيانا
تذرى العيون من العبرات هانا

* مثل الجدول سحا من ماقيها *

دع الهكا مثل ما بالأس أهاكنا
خطب يثير على المحزون أشجاننا

موت الذى شاد فى الاسلام أركاننا
تبقى مصيبته من بعد ما باننا

* العامر السنة الغرا ومحبيها *

الى أن قال :

انا نموت اذا من بعد ما انتقنا
لو يقبل الموت منا غيره بندا

النفس والمال والأنعام والأهنا
والباسقات من الأتلاد والطلنا

* طرا ومن سلك الصحرا ومن فيها * (١)

أما حينما يرثى الأمير خالد بن محمد بن عبد الرحمن آل سعمود ،
فانه يرسم صورة من الحزن والكآبه المخيمة على نفسه فى مرتبة طويلة ، فهو
صديقه فى حله وترحاله ، ورفيقه فى السراء والضراء ، فلهذا نرى عينيه
تسكبان دموعا يدفعهما ما فى نفسه من اللوعة والألم ، حتى خشعت تلك
النفس استسلاما :

أيا عين جودى بالدموع الرواكدا
على الخد منها مستهل ونجاصدا

عاطفة صادقة ، لأنه في أخريات حياته ، يعاني من مرض خطير ، ومن ناحية ثانية ، فقد دفع إلى قول هاتين القصيدتين دفعا : فقد قال عن القصيدة الأولى ان المرزتين اللتين أشرفتا على علاجه ، توسمتا فيمنه قرص الشعر ، فطلبتا منه أن يذكر اسميهما في شيء من شعره فقال :

رأيت غزالا في الضحى كامل الوصف

كوتنى بنار في فؤادى وفي كتفى

فأما التي بالكف تذكى بكهـــــــــــــــرب

وهاتيك تذكى بالملاحة واللطف

تفألت من كفى سعاد ســـــــــــــــــــــادة

وفائزة فوزا فطلفتها تشفى

خليلي هل تأسو المراض فريـــــــــــــــــــــدة ؟

بقامتها الهيفا* سهم من الحنف

لعمري ما دأى سوى نظراتهـــــــــــــــــــــا

ولسبها الشافى لدهها وما أخفى

وقد عاجوا نصفى بكف رفيقـــــــــــــــــــــة

وبالسحر من عينيهما أهلكونصفى

إذا طغقت ككتاهلما فى علاجـــــــــــــــــــــا

رأيت المنايا من أمامى ومن خلفى

وما أنا الا فى هواهم متـــــــــــــــــــــــــــــيم

(١) ضعيف القوى شيخ فهل يرحموا ضعفى (١)

ويقول عن قصيدته الثانية ، ان " منصورا العساف " الذى كان يعالج بدوره هناك ، طلب منه أن ينظم قصيدة على لسانه ، في المرزتين نفسيهما

لأنهما طلبتا منه ذلك ؟ ومن هذا يظهر لنا جلجا آثار الصنعة فـــــــــــــــــ
هذا الغرض ، قال في تلك القصيدة :

إذا دعيناك فاهج أيها القـــــــــــــــــ

هل عندكم من علاج الكهريا خـــــــــــــــــ

أما محمد قد زالت شكيتـــــــــــــــــ

وليس في كتفه ما شكا أثـــــــــــــــــ

قال احترز من غزال كلما طلـــــــــــــــــ

فليس في عودها طول ولا قصـــــــــــــــــ

إذا رأيت الثنايا الفر باسمـــــــــــــــــ

هناك من بينهن الموت ينتظـــــــــــــــــ

في ركبتك ترى للكهريا أثـــــــــــــــــ

يطير للقلب من جرائه شـــــــــــــــــ

أما سعاد فرجلي من سعادتهـــــــــــــــــ

تيرا فان يرثت اسبابها عمـــــــــــــــــ

والفوز بيدد على الأخرى إذا طلـــــــــــــــــ

باسمها وبهن الهر يفتكـــــــــــــــــ

من كف أهيف ضامى القد ممتـــــــــــــــــ

كأنه عود بان ناعـــــــــــــــــ

ثنتان فيها لنا بره ومنفـــــــــــــــــ

عند الحلاج وفق عينيهما حـــــــــــــــــ

هذا هو السحر من هاروت هارمـــــــــــــــــ

حتى ترتب منها الموت والخطـــــــــــــــــ (١)

الغرض الرابع : الوصيف

ليس لهذا الغرض باب مستقل في ديوانه ، ولكن وجود أبيات فـسـى
الوصف كثيرة وجميلة ، د فعنى الى اثباته كغرض مستقل ، وسأورد له بعضا
من النماذج الدالة على قدرته على التصوير والوصف فيها هو يعطينا صوره
دقيقه لوخذ الناقه ، ويصف سرعتها ، وهو الخبير بها ، فيقول :

فوما أيها الفادى على ظهر ظامـــــــر

مهجنة تفرى بعيد السباســــب

كأن انتثار المرو من خلف خفهمــــا

شأبيب هطال من المزن حالــــب (١)

ثم يصف الجياد وجودتها وأصالتها ودورها فى القتال فيقول :

منعمة يجبى لها كل ناعــــم

تعلك من صافى الضريب وتنهــــل

جياذ اذا حل الجلاذ كأنهمــــا

جلامه طود من ذرى النيق تنزل

فلا لست أكفألها أسل القــــنى

محرمه أعجازها وتحلــــل

على الطعن لهاث السبايا لأنهمــــا

يطبق أيديها من الدم مقتــــل (٢)

ثم يصور لنا تلك الجيوش ، ويصف ما دار فى تلك الحروب من اقــــبال

وادبار ، وكر وفر على تلك الخيول الغر الوضاح ، فيقول :

كأنهم موج بحر عند فضبتهمــــه

اذا ترامى بأذى وتيــــار

(١) ديوانه ص ١٩

(٢) ديوانه ص ٢٢

قد أدركوا من فنون الطب أكثرها
وهذبوها بلا غمط ولا أشمير
من قدم الصبر لا تتنى عزائمها
طول السنين يمر اليوم والشهر
اصبر قليلا فهذي نهضة
كل الهلاد بلاد الهدو والحضر
ومصر قد حفلت بالعلم أمتها
أربع لجارتنا بوركنت من مصر (١)

الغرض الخامس: التهنئة

وهذا الغرض لم يفرد له - أيضا - بابا معيناً ، وإنما اكتفى بتناوله في ثنايا قصائده ، وهو إما تهنئة بانتصار أو بفتح بلدة ، أو شفاً من مرض . . .
أما النوع الأول فهو أغلب أنواع تهانيه ، وأكثرها ، لكثرة مناسباتها ، فهذا هو يهني* الملك عبد العزيز ، بعد انتصاره في موقعه ترهه بقوله :

هنيئاً لك العز المؤمل قد سمعنا
ببلاغك العليا فوق الكواكب
ففيه لنا عز ومجد " ورفعة
به نكسب العليا عند التغاطب
وان به للمالعين مكرم
بانتصاف مطلوب وخذلان طالهم (٢)

ويهنئه بمثل تلك التهنئة حينما انتصر جيشه على جيش خرج عن طاعته فيقول :

هنيئاً يا ابن فيصل ان تسامحت
لك الخيرات والنعم الجسم

(١) ديوانه ص ٢٧١

(٢) ديوانه ص ١٩

لم تكثر يا أمير المؤمنين وقد
تألم العرب من بدو ومن حضر
فعمدنا اليوم أعياد وقد طلعت
على البرية بالتحجيل والنهر (١)
وحيثما تولى الأمير سعود ولاية العهد ، كانت تلك مناسبة للتهنئة
بهذا المنصب الكبير :

جئنا نهنئك باليوم الذي طلعت
لك السعود على الأنجاد والتهنم
الله سر ملككم بالملك صلحمة
للعالمين بحفظ الدين والذمم
فمن ربي بلد الزيتون وان لك
الى عمان ومن شار الى نقم (٢)
وقد هنا صاحب الأمير فيصل على سلامته من مرض أصابه ، فقال :
هنيت بالعيد في البطحاء والحمم
وبالسلامة من سقم ومن ألم
اذا سلمت كأن الأرض مريممة
للمناظرين زهت بالروض واليتم
قدم سليما يشمل غير منصم
في خفض عيش وطك غير منصم (٣)

الفرض السادس : " الحكمة "

قد لا يصدق على " الحكمة " أن تكون غرضا قائما بذاته ولكنها

- (١) ديوانه ص ١٢٤
(٢) ديوانه ص ١٥٠ ، وشار ، جبل في شمال الجزيرة العربية ، ونقم جبل
في صنعاء . (٣) ديوانه ص ٢٤١ .

نراها تشع من بين ثنايا قصائده ، وهو يرسم بها مظاهر فو الحياة ، ليستضيء
بها الناس ، بعد أن مرت به تجاربه ، فهو حينما يرسل الحكمة فانهبها
خلاصة من خلاصات تجاربه فو الحياة .

واذا كان ابن بلعيد معروفا بكثرة أسفاره ورحلاته ، فقد صاغ
خلاصة لتجاربه تلك بقوله :

قد بلغتنا الأمانى وهى صادقة
أن الرحيل لا دراك العلاسب (١)

كما يعكس لنا تجاربه من خلال معاملته للناس ومصرفته لهم وهو الخبير
بهم ويتصرفاتهم ، وتجاهاتهم :

فوالله ما يرميك بالشـر والقـلـل
من الناس الا فاسد متـصـرد

تردا رويدا الكبر يحسب أنـه
رشيد وفى حالاته كيف يرشـد

اذا قال انى قد نجوت فقل لـه
رويدا فان اليوم يتعه فـد

وبالكبر خلاب غسان ملكـه
وأمسى عن الاسلام بنأى ويـصد

فلا يحمد المعروف الا أولو النهـى
وأما لقيم الناس للفضل يجـد (٢)

أما وقد عاصر انتقال مجتمعه ودولته من طور الى طور ، وما تخلل
ذلك من حروب وقاتل ودمار ، وما فى ذلك من تقلبات وأحداث ، فانه يقول :

(١) ديوانه ص ٢٢٠

(٢) ديوانه ص ٠٤٩

كم أخذتم من الحجيج مكوسا
طالما يزعم الحجيج النهباب
كم عثت فيهم للصوص وامسكت
عندكم ما على اللصوص عقتاب
تهلكون الغريب ظلما وجورا
كلما طال بالغريب اغترا ب (١)

ويقول في هجاء جماعة خارجة على الملك عبد العزيز ، قاصدين الحجاز
بقيادة "حامد بن رفاة" :

لكن سلكتم طريقا غير سنتنا
لعب بطهل وتصفيق بعزمنا
بنيتوا عملا كانت قواعده
على شفا جرف من تحته همار
لا يأمن الجار منكم عند غفلتنا
وقد اباحت لديكم حرمة الجمار (٢)

فهذا الهجاء يزرى بترك القيم والمثل الأخلاقية ، والمبادئ الإنسانية ،
أما غرض الفخر ، فقد ضرب عنه صفحا ، ولم يسلك سبيله .

أما شعر الفلسفة ونقد النظم الاجتماعية ، فانما يوجد في البيئات
الصالحة ، والمنبت الخصيب في المجتمع المتقدم فكريا وحضاريا حيث توجد
العقلية الفكرية الناضجة ، وحيث تتعمق الحياة الاجتماعية ، نتيجة للتقدم
الحضارى .

وبيئة شاعرنا ابن بلهيد "بيئة بدائية" أقرب الى البداوة منها
الى الحضارة ، فالسهولة والبس ، هو طابعها في كافة مجالاتها .

(١) ديوانه ص ٨٨

(٢) ديوانه ص ١١٧

ومن خلال هذا العرض ، يبين أن أغراض المدح ، والثناء ، والفضل
كانت أغراضا بارزة في ديوانه بمعناوينها ومناسباتها ، مع تفاوتها فــــس
الكثرة والقلّة ، فالمدح يأخذ الجزء الأكبر من ديوانه يليه الثناء فالفضل ،
أما التهنئة فتأتي في المرتبة الرابعة من حيث احتفال الشاعر بها ، لأنها
مرتبطة بالمدح في الغالب ، أما الحكمة ، فمبتوثة في تنايا شعره ، لا يجمعها
نظام ، ولا يؤنسها التثلم ، فهي أبيات هنا وهناك ، تأتي عرضا ، ولا تقصد
غرضاً .



” الفصل الخامس ”
—————

” شعره وما فيه من خصائص ”
—————

بعد دراسة تلك الأغراض التي حواها ديوانه ، وإيراد نماذج
من أشعاره ، نريد في هذا الفصل أن نتصرف على شعره من النواحي الفنية
وما يتصف به من خصائص ، وأول ما سنتناوله من تلك الخصائص في شعره
ما يتعلق بالألفاظ والأساليب ، ثم معانيه وأفكاره .

أولا : الألفاظ والأساليب :

تتميز ألفاظ شعره وأساليبه بما يأتي :

- (١) السهولة والسهولة وقرب المنال ، وبساطة التراكيب ، وخلوها
من التعقيد في الجملة وهجر الغريب القاسي ، والسوق المبتذل .
- (٢) حلاوة الديباجة ، وذلك بما توافره من ملكة قوية اكتسبها
بقراءته المستمرة وحفظ أشعار القدماء ، ولا سيما العباسيين
منهم .
- (٣) قوة العبارة ، وجزالة الأساليب في الجملة - واحكام اللفظ
بين أجزاء الكلام ، ونهذ التوشيه والأصباغ البدعية المحتلبي
والاستعارات الثقيلة المتكفه .
- (٤) حسن الترتيب ، وإرسال الكلام على الطبع والسجيه ، دون تعقيد
أو التواء ، ومن ثم فهولا يشغل باللفظ ، ولا يهدأ على معناه
أثر الجهد فيه ، وبهذا سلم من لعب الجناس اللفظي والمحسنات
الموهبيه .

ثانيا : المعاني والأفكار :

كما تتميز معاني شعره وأفكاره بما يأتي :

- (١) سما بمعاني شعره ، واستمدتها من المثل العليا للحياة كتجسيد
الفضائل والمكارم ، وانصرف به عن الفحش ، والمجون ، والأفسار ،
وغير ذلك من الأمور التي سادت في آخر العصر العباسي ، والقرون
الوسطى .

المعطيات العميمة ، و اذا كان أفراد مجتمعه وخاصة من نجد قد جعلوا
- فعلا - أنفسهم وأموالهم رهنا لقيام هذه الدولة فان ابن بليهد
قد ساهم بتلك المدائح ، ليبارك قيام هذه الدولة ، فهو أيضا لم يكن
متقربا أو مرايا بعدائه ، لأنه يستمد لها من عاطفته الصادقة ، ومن
جذوة ذلك الشعب الذي بارك بدوره قيام هذه الدولة .

ومن ناحية ثانية ، فاننا اذا نظرنا الى الدولة السعودية فـ
ذلك الوقت ، وجدنا أنها من الفقر والعدم ، بحيث تأخذ ولا تعطى
ويكفى منها عطاء تلك الحياة الآمنة ، حيث اذا اقتهم طعم السعادة ،
بعد قرون من الفوضى والدمار ، فجدهم بكل قريحه أن تلهج بالمدح
والشكر والثناء لمن قدم هذا ، وأنعم به من مكرمه .

أما الاعتبارات الشخصية : فان ما عرف عن ابن بليهد من كـ
النفس والأنفة ، تجعل من الصعب عليه أن يحمل شعري على أنسه
استجداً وطلب للعال والعطاء ، ولهذا فقد حجز يده عن أن تمتد
لأخذ مثل هذا العطاء ، وقد عرفنا سابقا أنه قد امتهن التجارة لسد
مطالب حياته .

ومن ناحية ثانية ، فان صلته بالأمر السعديين ، ومكانته
بينهم ، تجعل من الصعب عليه أيضا أن يريق ماء وجهه ، لأخذ
عطاء ، لقاء ما قدم من مدائح ، فمكانته ومنزلة بينهم من ناحية ،
وتقديره هذه المدائح كمشاركة منه في بناء هذه الدولة من ناحية أخرى ،
تمنائه من الأخذ فضلا عن الطلب والاستجداً ، وكان ابن بليهد
قد أحس بأن كثرة مدائحه ستحمل بمحل الاستجداً والطلب للمسال ،
فأراد أن ينفي هذا الاعتقاد ويبين أن ذلك طبع فيه وسجيته نشأ عليها
ليمدح من يستحق المدح ومن هو أهل له فقال :

فمدحني امام المسلمين سجيته

نشأت عليها لا شيء أنا بسجيته (١)

شعره بين التقليد والتجديد

مهما قلنا عن شعرا بن بليهد ، وما بلغ من التجويد والتجديد ، ، فاننا لا نستطيع أن ننكر ما فيه من محاكات وتقليد ، ذلك أن قراءاتـــــــــــــــــه الكثيره ، لأشعار العرب ، وحفظه لها ، كان لها تأثير كبير في محاكاتهم وتقليد هم حتى أغار على ما تحويه أشعارهم من معنى ومعنى ، ولم يكن تأثره بشاعر معين ، أو عصر واحد فجزالة منهاه لأكثر قصائده مستمدة من الشعر الجاهلي الجزل ، كما أغار على شعر الشعراء الأمويين والعباسيين ، فهذا هو يتناول قول الشاعر الأموي : جرير .

الستم خير من ركب المطايا
وأندى العالمين بطون راح
فياخذة ويصوفه في قالب آخر حين مدح الطك عبد العزيز بقوله :

ملك خير من ركب المطايا
وأوفى حين تختلف الذمام (١)
وحيثما يقول المتنبي مفتخرا بنفسه :

الخيل والليل والبيداء تعرفني
والسيف والرمح والقرطاس والقلم
يأتى ابن بليهد فيصوغ تلك المعرفة للأشياء التي عدد المتنبي
ويجعلها مدحا لآل سمود .

الجيش والخيل والخطى عندهم
والسيف يعرفهم حقا اذا جردا (٢)
وحيثما يقول الشاعر : الطفرائسي .

(١) ديوانه ص ٢٧

(٢) ديوانه ص ٤٥

قد حد ثنا المعالي وهي صادقة
فيما تحدث أن العزف النقل

يتناوله ابن بليهد فيقول :

قد بلغتنا الأمانى وهي صادقة
أن الرحيل لا يراك العلاب (١)

ولم يكن ابن بليهد مقلداً في كل شعره ، ذلك أن صفتنا
الشخصية واضح أثرها في الكثير من قصائده ، أما الأستاذ محمد بن
حسين فقد قال عنه أنه " مقلد " وتقليده وسط بين الجودة والرداءة ، يقول
في معرض حديثه عن شعراء نجد ، في تلك الفقرة : " إلا أن أولئك
الشعراء - رحمهم الله - تباينوا تبايناً ظاهراً في ذلك التقليد ، فكان منهم
من أشبه شعره عهد التخلف . . كإبن سحمان ، ومنهم من أشبه شعره
شعر الفحول في عصور الأزدهار ، كالشاعر الكبير ابن عثيمين ، ومنهم
من كان وسطاً بين ذلك مثل ابن بليهد (٢) .

وهذا في رأيي حكم قاس على ابن بليهد ، ذلك أن الناظر لهذ
العباره ، سيأخذ شعراً ابن بليهد على أنه وسط " ووسط في تقليده ، أما
إذا أردنا أن نقيم شعره من خلال هذه الكلمة " وسط " فإنا نقول : إن
شعره وسط بين التقليد والتجديد ، فأما التقليد فقد أجاد فيه ، وأما
التجديد ، فكانت محاولة منه لبعث الشعر من جديد ، بأسلوب أيسر
من أسلوب أبي تمام مثلاً ، أو من أسلوب ابن عثيمين الذي قارنه مع
الأستاذ ابن حسين ، فهو تجديد لا كما يفهمه المجددون ، فقد حاول
أن يترك لشخصيته أثراً وإن كان هذا الأثر باهتاً إلا أنه موجود .

على أن سمة التقليد في شعره ، وعدم خصوبة الخيال ، ناتجة
عن تلك البيئة التي عاش فيها ، ولولا أن الرجل صاحب عبقرية لما أتى
بمثل هذا الشعر .

(١) الأدب الحديث في نجد - محمد
ابن حسين ص (٣)

(٢) ديوانه ص ٢٢٠

"الصنعة وأثرها في شعره"

مظاهر التكلف واضح في بعض أبيات من قصائده ، في مثل قوله
حينما أراد ان يؤرخ فتح مدينة جدة سنة ١٣٤٤

ثلاث مئين فوقها ألف حجة

مع الأرميين ان ذا العام رابع (١)

وفي مثل قوله في قائد الحسين الذي هزم في موقعه "تهه"

غوى غوى أغوى من الترك عصب

على شرح حال واستذل البواد بها (٢)

وإذا أردنا أن نفصل ذلك متمشين مع أغراضه البارزة ، فان شعره
في الرثاء ، لا تبدوا عليه آثار التكلف أو الصنعة ، وان لم يصل بشعره
الى مستوى الحدث الذي أصابه ، أما الغزل ، فالصنعة فيه ظاهرة
ولا يحبر عن عاطفه ، لأنه - كما قلنا عند الحديث عن غرض الغزل - قد
دفع اليه دفعا ، ولأنه في آخر عمره ، وهو في حالة علاج مرض خطير
وحتى لو لم يوجد أي مهر فان أبيات غزله تبين عن مظاهر هذه الصنعة .

وأما في المدح ، فلم يكن هناك صنعة أو تكلف ، بل يرسل
كما توحى به سجيته ، وبشد من هذا الحكم قصيدة نظمها في مدح جلاله
الملك فيصل ، حينما عقد له نائبا للمنفور له الملك عبدالعزيز ، على
الحجاز عام ١٣٤٥ هـ ، وقد بدأ كل بيت منها . بحرف من حروف
اسمه على الترتيب ، وهذا من مظاهر الصنعة وقد قال في مقدمتها ،
ان هذا النوع شائع عند الحجازيين :

(١) ديوانه ص ٩٩

(٢) ديوانه ص ١٥

فقى السعد باد والعيون تراقبه .°. ولا حفا على الفخ الحجاز كواكبـه
بهارين من نال المكارم والملا .°. وقد عرفت في العالمين مناقبـه
صبا نجد هبى في الحجاز فانه .°. على أهله أمن وطابت مشاربـه
لعمري لقد نال الحجاز بفيصل .°. ومقدمه انساتم مآربـه (١)

وهكذا الى أن أتم ستة عشر بيتا ، بدى كل بيت منها بحرف مـن
أسم " فيصل ابن عبد العزيز .

(١) ديوانه ص ٢١٨ .



تحليل قصيدة

قصيدة من هذا التحليل غرضيين :

أولا : اثبات قصيدة أرى أنها مقياس لقيمة قصائده ، لمن أراد أن يختصر نظرتة الى شعره .

ثانيا : استكمال دراسة شعره ، حيث سأتناول بعض الخصائص والنواحي الجانبية التي لم أتطرق اليها أثناء دراستي لشعره .

وهذه القصيدة قالها سنة ٤٣ ١٣ هـ وهو بمسجعة الملك عبد العزيز في مكة ، وكانت ردا على شاعر تسمى بالأخطل الصغير ، واسمه " حسن عواد " وقد نشر في جريدة " بريد الحجاز " قصيدة يؤنب فيها السعوديين ، ويؤلي الشريف حسين على قتالهم أثناء حصارهم جده ، وقد ذكر ابن بلهم أن عدد أبيات هذه القصيدة ثمان وعشرون بيتا ، ذكر منها ثلاثية أبيات ، أثناء تقديمه القصيدة ، ولم أجد من القصيدة الا ما ذكره ، وهذه الأبيات الثلاثة هي :

حدتهم عن بأسنا يا حــــراب
وإذا قمهم فلكلنا يا عــــراب
وامطرهم قذائفنا يا مناطهــــد
كأن الدخان منها سحاب

الى أن قال :

أيها المصلحون في الشرق مهــــلا
أين اصلاحكم وأين الصواب

فكانت قصيدة ابن بلهم ردا على هذا الشاعر ، وتتكون من واحد

وخمسين بيتا ، وهي :

ما أصبتم وما لديكم صــــواب
بعد ما نص في البريد كتاب
وانتبهنا لقولكم حين قلــــتم
حدتهم عن بأسنا يا حــــراب

أصبح البيت في أرومة مجيد
فيذا تسهل الأمور الصعاب
يقتضى الله منكم بعد هذا
بمصاب وعز ذاك المصاب
هل كتبتم على الحقاشقيا
يوم يطوى على القضا الكتاب
قولكم كلما سمع القول
ليس فيه الى الصواب صواب
قولكم في أخى المكلم زور
وكذاب والقائلون كذاب
قدم الحق والشريعة حتما
حين ضاقت على الضميف الرحاب
انجلى الظلم والمظالم يا قوم
وهي بالأسن في العجاز عاب
أيها الغافلون قد ظهر الحق
فاسمعونا فما يكون المتعاب
لا تعضوا بالأسن العرب المرب
يوم عضتكم الرهاف المضاب
انها عند معترك الخيال
كلما ضاقت المخارج بسباب
نختم القول بالصلاة على من
قد دعا الناس لليهدى فأجابوا
ما بدا الفجر أو بدا نور نجم
أو هما في ربي الفضا سحاب

الملك عبد العزيز ، فليو قبه من الكثبان ينحدر كأنه الهضاب ، وان المعمارك
السابقة بيننا وبينكم ، وما خلفنا للطيور والسباع من قتلاكم ، لدليل فأنتم
على قوتنا وشجعنا ، فاستسلموا تسلموا ، فان أبيتهم الا القتال ، فليس
تظفروا الا بما يظفر به الشق من شقائه .

ومن البيت التاسع عشر الى الرابع والعشرين : بواصل وصفه لجيش الملك
عبد العزيز ، فيطلب من جيوش الحسين القا السلاح ، والا فان جيوش
الملك عبد العزيز ان هو تحركت ، وملاّت ساحات مكة ، وأبانت عن أنيابها
واتجهت اليكم تحطهم تلك الصافات الجياد ، فانهم سيجتاحون كسل
قواكم ، وسيحرزون النصر بمرهفاتهم ، ويقضون على مثالكم التي شهدت
بها الشباب ، كل ذلك ارضا لله وتحقيقا لأمر هذا الملك الذي يتحرى
بأعماله ثواب الله .

ومن البيت الخامس والعشرين الى الثامن والعشرين : يتحدث عما يتحدث
به جيش الملك عبد العزيز وهو في مكة وفي بطن نخله ، وهم يقولون :
ما لنا من الثأر من بد ، فالفاس لن يلد لهم طعام ، أو شواب ، طالما
الحسين وجنوده يرتحون في تلك البقاع ، ونحن الذين سنتولى هذه
المهمة ، لأننا قد نشأنا على الحروب بعد أن فزقتنا بليانها ، ووسع
هذا فلن نقدم على الحرب ، بل سنقيم على الحصار ، حقنا للدماء ،
وحفاظا على الأرواح ، ولأن هؤلاء المحاصرين سيسلمون ان عاجلا
أو آجلا ، وقد حدث هذا فعلا .

ومن البيت التاسع والعشرين الى الخامس والثلاثين : يخبرهم بين أن
يستقيموا للطاعة ، وبين أن يكونوا محظا لكل سباب وتقريع باللسان والبنان
ثم يوبخهم على ما قدموه أثناء حكمهم من ألوان الظلم والفساد فيقول
كم ظلمتم سكان تلك البلاد الحرام وعذبتموهم جهارا وسرا ، وكم
ظلمتم الحجاج بأخذ الضرائب التي هي أشبه ما تكون بالنهب أو الاغتصاب
وكم عثت في هؤلاء الحجاج اللصوص ، بمرى منكم وسمع ، ثم انكم لا تحطون
الغريب حقه بل لا تدعونه وشأنه حتى تلحقوه بظلمكم وجوركم ، ولكن كسل

هذا انتهى ، وكل تلك المدة انقضت بما تحمله من مظالم ومساويء يعلمها كل الناس .

ومن البيت السادس والثلاثين الى الأربعين : يبين أن الملك قد أحرز النصر على أعدائه ، ولا أحد يشك في أن هذا النصر إنما هو شأركم المظالم والمفاسد ، التي سلطها الأشراف على الناس ، وقد حل العدل والأمن والمساواة والرخاء في تلك الربوع ، وبطلب الشاعر أن يسأل أولئك الحجاج الذين قضوا مناسكهم حيث الأمن والعدل بفرق عليهم ، ثم يحمد الله على أن أصبح هذا البيت حراً من كل استبداد ، حتى طاب المقام فيه لكل وأقد إليه ، كما صار في حق بيت هو في الذرى من المجد والعزة والمكانة هو البيت السعودي ، أما أعمالكم الاجرامية تلك ، وما أقدمتم عليه من جور وتعسف ، فان الله هو الذي سيقاضكم عليه .

ومن البيت الحادي والأربعين الى الخامس والأربعين : يتساءل الشاعر: هل خلقوا وقد كتب عليهم وقد رأنا يكونوا اشقياء ؟ لقد بعد قولهم عن الحق والصواب ، فلن يصدق أحد ما قيل في الملك عبد العزيز لأن الواقع أصدق من القول ، والحقيقة أصدق من الاعتقاد ، فقولكم في الملك كذب من كذاب ، فلقد قدم الشريعة ، وجعلها دستورا يحتسب بها الضعيف والمظلوم ، وخلق بمن هذه الصفات صفات أن يرد كل قول يحط بسنة شأنه ، ويضع من قدره .

ومن البيت السادس والأربعين الى التاسع والأربعين : يقول ان سحب المظلم والمذالم قد انقضت من أجواء الحجاز بعد أن كان منبتها الخصب ، ومرتبها الواسع ، ثم يوجه الخطاب الى أولئك الذين ناصروا الشريف ، وبطلب منهم أن يظهرنا عن عتيمهم وسخطهم ان كان هناك شيء من هذا على الحكم السعودي الجديد ، وهميات لهم أن يجدوا شيئاً من هذا القبيل ، وما دام الأمر كذلك ، فلماذا يعضوننا ويلهبوننا بألسنتهم ، الا أن يكون ذلك رداً على تلك الرهاب المضاب التي ألهبتمهم وأذاقتهم العنسون ، فالسيوف المرهفة هي منطلق الحرب ، والمنطلق لكل ضيق في ساحة الحرب .

ومن البيت الخمسين الى آخر القصيدة : ختام لقصيدته بالصلاة والسلام
على الرسول الكريم .

وتعتبر هذه القصيدة من أواسط قصائده من حيث عدد أبياتها
أما أطول قصائده فقد بلغت مائة وثلاثة عشر بيتا .

وقد ختم هذه القصيدة مثل أغلب قصائده بالصلاة على النبي الكريم ،
وهذه الظاهره - كما قلت سابقا - قد ورثها - كغيره من شعراء عصره
من عهود المماليك ، وهي ظاهره محمودة على أية حال ، وهو فنان
أغلب قصائده ، يسوق المشاهد والصور ، بطريقة قصصيه ، سوا قصيدته
ذلك شعر المدح أو الوصف . . حتى أصبح شعره يتسم بمسمة الشعراء
القصص .

على أن للشعر ضرورات وأحكامه ، ولا تبرى ساحة هذا الديوان
من الضرورات التي أقرها نقاد الشعر وصيارفته ، ولم يسلم منها شعراء
شاعرا لا في النادر .

*

” كلمة حول الشعر الشعبي ”

لم أكن لا تطرق لهذا الموضوع لو أن شاعرنا لم يتطرق اليه ،
فلقد كان شاعرا مجيدا في هذا النوع من الشعر ، ونافس شعرا عصره
وهو ما يزال صغير السن ، وحينما اتجهت به قريحته الى قول الشاعر
بالعربية الفصحى ، نراه لا يهجر تماما هذا الشعر الذي نشأ عليه :

ولكن ، ما هو موقفه منه ؟ وما رأيه تجاهه ؟

لقد كان موقفه واضحا بعد أن رأيناه يهجو باللوم على رجال الأدب
الذين عرفوا ذلك النوع من الانتاج ويتهمم بالخروج على المعايير
الصحيحة في تقييم الأدب ، لأنهم وصموا الشعر الشعبي بالسطحية
والقحولة ، والجفاف ، يقول في مقدمة ديوانه * والواقع أن الشعر
النهطى له خصائص فنية رائعة ، لا يليق بأهل الفكر أن يجهلوه ،
فإنهم باهماله ، يهملون مصدرا خصيبا من مصادر الثقافة ، ومن المؤلفين
حقا أن بعض المثقفين يترفعون عن الغزول من ابراجهم العاليه ، التي
حيث تكون طبقات الشعب ، ليمتلقوا عنهم شيئا من انتاجهم ومحاولتهم
الأدبي ، ولو ترك الحكم في قيمها الى معايير الشعر الصحيحة لم
وصمت بالقحولة ، والجفاف ، والسطحية ، ولما كان نصيبها الاهمال ،
لأنها جديدة بأن تجرز في معارض الأدب الحديث كأمتع لون من ألوانه ،
تتضافر فيه عناصر الجوده من معنى مخترع وخيال مجنح ، وعاطفية
ملتصبة ، ونظرات تعيده الى الحياة ، فما لا شك فيه أن في ذلك
اللون من الانتاج الشعبي نهما أدبيا صافيا ، لو اتخذ منه مادة للدراسة
لظهر أنه أدب بعيد الغرور صادق كل الصدق في تصويره للحياة ، جديد
بأن يطعم الأدب بلون طريف فيه جدة وانطلاق وتحرر ، وفيه توهج
واشعاع ، أقول ذلك لأنني فحصته فحصا دقيقا ، وتمرست به ،
تخرجت من تلك المدرسة الشعبيه * (١)

هذا هو رأيه في الشعر الشعبي النهطى * ولكن يجب الا يؤخذ

بأنه يرفعه فوق مستوى الشعر العربي الفصحى ، فقد رفع قيمته - فقط -

من ناحيه كونه أدبا يمثل ، طبقة ، أو مرحلة من مراحل الأدب ، من الصعب تناسيها ، أو التحامل عليها ، لضعفها أو انحطاطها ، فهو يريـــــــد تقييم هذا الأدب الشعبي من ناحية معانيه ، وما فيه من تعبيرات ومضامين صادقة معبره ، يقول في موضع آخر : " ان أهل العربية لا يلتزمون " فسي المعاني " للاستشهاد بشعر طبقة معينة ، بل انهم ربما استشهدوا بشعر المعجم من الفرس وغيرهم ، فأما ما يلتزمون الاستشهاد عليه بشعر من قبل الدولة العباسية فهو الألفاظ وضبطها مما يلزم علماء اللغة ، ولعلماء النحو والصرف ، فأما التاريخ والبلدان وعلوم البلاغة فلم يلتزم أحد من العلماء الاستشهاد بكلام طائفة معينة ، وكيف والحاجة ماسة الصى معرفة كـلام شعراء كل جيل للدلالة على مواطنهم ، ومسارح لهوهم (١) .

فهذا موقف " يقيم لهذا الشعر وزنه ، ولعل ذلك راجع الى كـون الشعر الشعبي ، قد صحب الشيخ منذ الصبا ولكنه لم يقل بوجود طـسرق هذا الشعر ، فقد عرف نهايته على يد نشأة الشعر العربي .

ونحن لا ننكر عليه هذا الموقف من أن هذا الشعر يمثل حياة طبقة أو طبقات لتلك المجتمعات ، يعطينا صورها ، وحالتها ، وما هم فيه من سعادة أو شقاء ، كما أنه يمثل مرحلة لا يمكن أن يتعدها كـلـل دارس لتاريخ الأدب ، فهو من هذه النواحي معدود ومحسوب ، ولكن يجب الا ننساق وراء هذا كله متناسين أنه قد قام على حساب اللغـة العربية ، وعلى أنقاضها ، فساهم في فسادها وقتلها ، فمهما كان لـه من الحسنات ، فهذه سيئة لا تغتفر .

(١) صحیح الأخبار عما فی بلاد العرب من الآثار : ج ٢ ص ٢١٠

آثاره

لم يرغب عن الشيخ محمد بن بلعيد ما للتأليف من أهمية خاصة
 إذ كان ممن تفرس بأسا. لبيبه وطرقه ، لكنه رأى أن مجال الدين قد ألسف
 فيه رجال الدعوة ، وعلما الاسلام ، ما يشجع نهم طالب العلم ، فاتجه
 بمؤلفاته ، وأعماله الى جانب آخر من العلوم الاسلامية ، وهو ما نسميه
 بالعلوم اللسانية ، اتجه الى نوع من التأليف أستطيع أن أسميه بـ "جغرافيه
 الأرب" أو "الأرب الجغرافي" لدراسته الأماكن الجغرافيه ، خدمه
 للأرب وفنونه ، فمن خلال قراءته الكثيرة في كتب الأرب ، وتراجم الشعراء ،
 وجد أن هناك شفرة كبيرة لم تول كثيرا من العناية ، ولم تلق كبير اهتمام
 أو رعاية ، رأى أن الشعراء - وخاصة - الجاهليين منهم ، تدرس حياتهم
 وتدون أشعارهم ، وتشرح معانيها وأساليبها ، ولكن المحققين ، يقفون
 حيارى أو يكتبون مع تردد ، وكثرة ايراد أقوال ، عندما تواجههم أسماء
 الأماكن والبقاع ، الواردة في أشعارهم . ومثل هذا النوع في دراسته
 وبحته ، لا يحتاج - فقط - الى الفراسة والذكاء والمواهب والقدرات الذهنيه ،
 بل وبالدراسة الميدانيه الشاقة الصعبه ، فقد كلفه هذا الاتجاه السبيل
 هذا النوع من العلوم ، جهدا جبارا ، دام أربعين سنة في سبيل خدمة
 الأرب بخدمه وجهه من وجهاته وقد هون عليه تلك الصعاب ، نجح في
 في وصل تلك الحلقة المفرغه ، وسده ليمض هذا الفراغ ، وما ساعد على
 الشعور القوي بهذا الفراغ ، وأبرزه واضحا للعيان أن هذا العصر ، امتاز
 من بين سائر العصور ، والتحقيق الكبير ، والتدقيق المتناهي ، وخدمة
 كتب الأوائل وتنقيحها ، والتعليق عليها ، ووضع الهوامش ، والمقدمات
 والفهارس المتعدده ، ما أبرز هذه الشغره لصاحب النظره العابره ، والباع
 القاصره ، وأولمجد رغبة ملحة لهذا الفراغ ، نادى بها الباحثون
 من الشرق والغرب ، وألقيت مسئوليتها على أرباء الجزيرة ومحققيهيها ،
 والجزيرة ليست خلاه من الأرباء والباحثين ، ولكن المسأله ليست بحسب
 وكتابة ومقارنه ، وتحقيق ، فحسب ، ولكن وكما قلت سابقا ، ان هذا النوع من
 التأليف مع كونه يحتاج الى قوة ضلع في العلم ، وذاكرة قوية ، وقلم سبيل ،

ورصيد من الأدب لا يستهان به فإنه مع ذلك يحتاج الى عوامل وأسباب
قل أن تتوفر في شخص من الأشخاص.

وابن بليهد الى جانب أدبه وحفظه وسعه اطلاعه ، تكاد تكون
هذه العوامل والأسباب التي أشرت اليها متوفرة فيه ، فأول هذه العوامل :

(١) النقلة في ربوع الجزيرة ، والتجول ، ومشاهدة العيان ، وتطبيق
المعلومات عمليا والدراسة الميدانية ، وهذه لم تتوفر في شخص
مثلا توفرت لابن بليهد ، فلقد كان جواب فيافي منذ نحو
أظفاره ، يحرص بضاعته التجارية على العرب في مراتعهم ،
ويجلب تجارة هذه البلدة الى تلك ، وتلك الى هذه ، ثم
لما أصبحت له علاقة بالحكومة السعودية ، جعلت تستغل خبرته
وتبعثه لجباية الزكوات ، ونحوها ، فاستغل من جانبه هذا المركز
الذي أحبه ، ليحقق ويبحث ، وكان له مع الملك الراحل عبدالعزیز
آل سعود ، صحبة في عدة غزوات ، ثم مع ابنه الملك فيصل السدي
لقى عنده كل الحظوة ، حيث لقي أدب ابن بليهد كل رواج في
نواحي الفيصل الأدبية ، في ذلك الوقت ، وكان هذا لاحاطته
بما لم يحط به غيره عن الجزيرة العربية .

(٢) العامل الثاني : الهيئة والمجتمع ، فلا بد وأن يكون له
أكبر دخل في المساعدة على ادراك هذه الحقائق ، فالباحث
الذي يعيش في مكة أو جدة أو الرياض ، فير الذي يعيش في
أكناف هضبات نجد وفي قراها التي معظم سكانها ان لم يكونوا
بدوا فهم كالبدو ، ولهم بالهدو صلاة تجاربه واجتماعه كبيرة
ويستطيعون أن يعرفوا بواسطتهم كل شئ عن الجزيرة من كتب
وابن بليهد تترجم بلاده " غسلة " بين سحر البلاد ونحرها
وله مع البدو قصص وأخبار ، ومع الفيافي رحلات وأسفار .

العامل الثالث : أنه لا بد لمن يريد أن يلم بشئ^١ عن هذه الناحية
أن ينخرط في سلك المجتمع ، ويختلط بسائر الطبقات ، ويسمع
شئ الأحاديث ، ويلتقى بمختلف الوفود . . . ولم تتوفر هـــــ
لأحد مثلما توفرت لابن بليهد ، فهو نديم لصاحب الجلاله
الملك " فيصل " أيام كان أميراً على الحجاز ، وفي كل يوم يسأل
في كل ساعة يفص مجلسه بشئ الوفود من شئ القبائل والديار ،
ويجري ذكر الديار والسؤال عن قاطنيتها ، وخصبها ، وسموها ها ،
وقربها وبعد ها . . . ولا اخال ابن بليهد عندما يسمع هــــ
الأحاديث الا يضيف الي كئانته شيئاً جديداً .

وتبرز أهمية هذا النوع من التأليف لمن يعرف أن الشعر سجل
حافل بكل ما يحيط بالشاعر من بيئة طبيعیه وما يعتلج في نفسه من مشاعر
وأحاسيس لظروف مكانية أو مناخيه ، وقد حفظ لنا الشعر العربي كثيراً
من المواطن والبقاع التي تغنى بها الشعراء العرب ، في عصر الجاهلية
وعصر صدر الاسلام ، وما تلاهما من عصور ، ان هذه الأماكن التي ضمنها
الشعراء قصائد هم منها ما هو باق على اسمه القديم حتى اليوم ومنها ما
ما تغير اسمها ، وبعضها اندثر تماماً .

لذلك فان الشيخ محمد بن بليهد ، رأى أن يتجه بمؤلفاته ،
نحو جغرافية الأماكن ، والبلاد ، وما شابهها من المعالم الجغرافية
في الجزيرة العربية ، التي وردت في الشعر العربي الجاهلي والاسلامي
وله من المؤلفات في هذا الميدان :

(١) " صحیح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار .

(٢) كتابه الخطوط " ما تقارب سماعه ، وتباينت أمكنته وبقاعه .

أولا :

كتاب " صحیح الأخبار عما فی بلاد العرب
من الآثار

(٣) نشره وتحقيقه " سفرة جزيرة العرب " للمهدي ابن :

(٤) تحقيق موضع " سوق عكاظ "

وفيما يلي دراسة لهذه الكتب ، لكشف وجهاتها ، ومكانتها
بين العلوم ثم مالها من مكانة ذاتية وسنداً بها على الترتيب السابق .



تمت طباعة هذا الكتاب سنة ١٣٧٠ هـ على مطبعة "السنة المحمدية"
في خمسة أجزاء منفصلة ولم يمض الا وقت قصير حتى نفذت الكمية المطبوعه
ولقد كان الاقبال الشديد من القراء على اقتناء هذا الكتاب ، أكبر حافز
على اعادة طبعه ، الا أن وفاة مؤلفه حالت دون ذلك فتولى هذه المهمة
ابنه عبدالله الذي عقد العزم على أن يزود هذا السفر بخرايط جغرافيه
تحدد المواضع الهامه التي يتناولها ، بجانب بعض الاضافات الأخرى ،
الا أن ظروف دراسته آنذاك ، وطبيعة عمله بعد ذلك ، حالاً بينه وبين
ما يريد ، فوجد نفسه أمام اهتمام جلاله الملك فيصل ، والباح القسرا
المتواصل ، وجد نفسه مضطراً الى اعادة طبعه كما هو ، فتمت طباعته
الثانيه سنة ١٣٩٢ هـ .

وقد دمجت اجزائه الخمسة في مجلد بين تبلغ صفحاتها ألف
وثلاثمائة وثمانون صفحة من الحجم المتوسط ، ونحن لا نستغرب انتمها
الطبعة الأولى بهذه السرعة ، فالدراسة الموضوعيه ، والعناية الفائقة
والبحث الميداني جعلت هذا الكتاب تحفة ثمينه الاقناء ، يقول صاحب
ان ما ذكرته من المواضع كان نتيجة دراسة سنين طويله ، وقفت بنفسى
عليها ، وراجعت معظم ما ورد فيها من شعر الشعراء ، وكلام الصرب ،
حتى اذا اطأنت الى صحة تقديري وتفسيرى وتطبيق ما ورد في المعاجم
والمعلقات وأشعار العرب ، ألفت كتابى صحیح الأخبار (١)

وقد قدم لطبعته الأولى وراجعته ، وضبط بعض هوامشه ، وصنّح
فهارسه ، الشيخ محمد محسى الدين عبد الحميد " وقد بين أغراض
المؤلف من مؤلفه ، كما أبان عن تشرفه وسروره بمراجعة هذا الكتاب القسيم ،
يقول بهذا الصدر " وقد كان من سوائف الأقبسه أن رغب الى الاستاذ
في مراجعة هذا الكتاب ، والتوفر على تحقيقه ، فسرت ذلك سروراً
عظيماً ، لأننى قدرت ما يمكن أن أدركه من فائدة اذا أنا تعرفت الى
هذه الأماكن التي شغلت جزءاً ليس بالقليل من نصوص الأدب العربى
شمرة ونثره " وقد اهتم الشيخ محسى الدين " بهذا الكتاب ، وجدته

في هذا المجال ، فلم يهمل عليه بوقته ، ولم يرض عليه براحة : "وجعلت لهذا الكتاب جزءا من وقتي أصرفه في مراجعته ، ولكنني ما بدأت فيه حتى رأيتني أنصرف إليه . وأتفرغ له ، ورأيتني لا أضن عليه بالانصراف التام إليه ، ذلك لأنه صادف مني رغبة في دراسته . وحرصا على تحصيل فوائده ، ورأيتني كلما ازددت ليه تفرقا ازددت به ولوفا وشغفا ، وكلما اقتنصت منه فائده قابلتني منه فوائد أعظم أثرا ، وأجل قدرا ، فلم أندم على وقت ضاع في مراجعته (١) وكان الشيخ " محيي الدين " قد راجع ، وقدم لجزءين من الكتاب ، أما البقية فلم تؤلف بعد ، فكان في تقديمه يمتدح على الشيخ ابن بليهد على اقتصاره الى هذا الحد ، ما دعا المؤلف الى اخراج ثلاثة أجزاء بعده .

دوافع التأليف : في المقدمة التي وضعها الشيخ محمد بسن عبدالله بن بليهد لكتابة صحيح الأخبار " شرح الأهداف التي دفعتني الى تأليف هذا الكتاب ، نستطيع تلخيصها في النقاط الثلاث الآتية :

الدافع الأول

في سنة ١٩٤٥ سافر جلالة الملك فيصل بن عبدالعزيز ، وكان حينذاك نائبا لوالده وزيراً للخارجية ، سافر الى أمريكا لحضور مؤتمر "سان فرانسيسكو" وهناك قابلته جمع كبير من الأدباء العرب في المهجر ، ولما وجدوا في جلالة صفات الصبر النبيل ، وحرصه الشديد على مفاخر العرب وأمجادهم وآثارهم ، أبدوا لجلالته ما يعتلج في نفوسهم ، من رغبة شديدة ، لمعرفة ما ورد في الشعر الجاهلي ، وخاصة في شعر المملقات ، من البلدان ، والجبال ، والعيان ، والرياض ، وغيره من مصرفة ما هو باق منها على اسمه الأول ، وما اعتراه من التغيير ، ففي هذه المعرفة ، مساعدة للأدباء المشتغلين بدراسة أولئك الشعراء

(١) صحيح الأخبار ج ١ ص ١ طوا

الغالبية أشعارهم ، والباقية على الدهر أسماؤهم ، ويطلق ابن بليهد
 رغبة هؤلاء الأديبا بقوله ، ان دراسة البيعة الطبيعية التي عاش فيها
 الشاعر ، أو الأديب ، أحد العوامل التي تعين على فهم شخصيته
 وعلى تلمس بعض دواعي القول الذي فاض على لسانه (١) بالإضافة إلى
 ما يمكن معرفته من خصائص لغات القبائل ولهجاتها المختلفة ، لـ
 في ذلك من أهمية ، وقاعدة كبيرتين ، لخدمة اللغة العربية وآدابها .

الدافع الثاني :

=====

أن ابن بليهد رأى أن كثيرا من الأديبا والمؤرخين ، عند
 حديثهم عن مواضع في جزيرة العرب يخطئون كثيرا ، في تحديد تلك
 المواضع ، وهم معذورون في ذلك ، لأنهم يعتمدون على المعاجم العربية
 القديمة ، وهذه المعاجم - مع تقدير الشيخ ابن بليهد لمؤلفيها
 واعترافه بفضلهم - لا تخلوا من نقص ، ذلك أن أكثر مؤلفيها لم يكتبوا
 ما كتبه عن الجزيرة العربية ، رأى العين ، ولكن ، من السماع ، أو النقل
 فقط ، إلا أن ابن بليهد رحمه الله ، لم يطلق حكما عاما بالنقص
 فقد استثنى من هذه المصادر :

- (١) كتاب "مياه جزيرة العرب" للأصمعي ، وهو كتاب مخطوط .
- (٢) رسالة هرام بن الأصبح السلمي الأقرابي ، "جبال تهامة
 ومعالها" التي رواها عنه أبو الأشعث الكندي ، وقد نقل
 من هذه الرسالة البكري في : "معجم ما استمع" كما
 نقل منها ياقوت الحموي شيئا كثيرا .
- (٣) كتاب ، محمد بن ادريس بن أبي حفصة اليماني عن نجد ، وهذا
 الكتاب تدل النقول التي نقلها عنه ياقوت على تحقيق ومعرفة
 جيدة ، إلا أن ابن بليهد ، يذكر أنه لم يطلع على أصل هذا
 الكتاب ، ولم يعثر له على ذكر في المكاتب .

(١) صحيح الأخبار ج ١ ص ١ "المقدمة"

(٤) كتاب " صفة جزيرة العرب " للبهمداني ، وهذا الكتاب مصدر مهم عن الجزيرة العربية لاسيما في الجهة الجنوبية منها .

أما بقية المعاجم العربية ، كمعجم البلدان ، ومعجم ما استمعجم ، فمع احترام الشيخ ابن بلهيد لجهود مؤلفيها الا أنه يتحتم على الباحث التنبيه في النقل منها .

ويمجيب ابن بلهيد كثيرا لما وقع فيه أيضا بعض الباحثين فسـ الأديب العربي ، وتاريخ الحضارة العربية من أخطأ نتيجة لثقتهم البالغة ، علق ما يذكره أصحاب معاجم الأمكنة والبقاع ، وقد أورد رحمه الله بعض الأمثلة عن المصادر التاريخية والأدبية ، التي لم يسلم مؤلفوها من الوقوع في بعض الأغلط ، عند ذكر أسماء الأمكنة والديار ، فشموره بالفجسوة الكبيرة التي تخترق أسوار الأدب كان من أكبر الدوافع لنهج هذا السبيل الخطير في طريقه ، والخطير في أهميته ، يقول في مقدمة كتابه : " وهما أنذا أخرج اليوم هذا الكتاب في هذا الموضوع الخطير ، بعد أن توفرت على كتابته سنين طويلا ، وأرجو أن أكون بهذا العمل ، قد سددت خلا كان ينبغي أن يعمل علماء العرب على سده منذ أمد طويل ، فأكون بذلك قد أسديت إلى قوم الهد التي طالما تطلنوا إلى من يسديها لهم (١) .

الدافع الثالث

=====

أما الدافع الثالث والأخير الذي حدا بالشيخ ابن بلهيد ، السـ تأليف هذا الكتاب ، فهو أن أناسا ، من ولعوا بحب العرب ، وحسب لفتهم ما فتشوا يثيرون اهتمام ابن بلهيد لهذا الموضوع ، ويشجعونـه على الهد به ، وذكر منهم الأستاذ " رشدي ملحس " الذي أرسل كتابا إلى الشيخ ابن بلهيد ، يرجوا منه موافاته بما لديه من تحقيقات عن حدود الأماكن التي ورد ذكرها في المعلقة العشر ، وتمريفها تمريفا وافيا

(٢) صحیح الأخبار ج ٣ " المقدمه "

وقد رأى الشيخ ابن بليهد أن يشرك القراء معه في هذه الأبحاث التي تهتم كل دارس للأدب العربي ، وللشعر الجاهلي بوجه خاص .

وقد نشر فصولاً من هذه الأبحاث في جريدة البلاد السعودية التي كانت تصدر في مكة المكرمة ، ووقى أثناء نشره لتلك الفصول ، وصلته كتاب من الاستاذ المرحوم " جميل المسلمي " المستشار للوزير المفوض للملكة السعودية في لندن ، يفيد في هذا الكتاب بقراءته للفصول المتممة في جريدة البلاد ، ويستحثه على مواصلة تلك البحوث ، حيث وفد عليه كثير من المستشرقين ، والأدباء العرب في لندن ، وهم جميعاً يتسألون فيما إذا كان من الممكن جمع هذه الفصول في كتاب مصنف ، كما يبني استعداده في المساهمة في طبع كتاب على هذا النمط .

وبعد اكمال ابن بليهد لكتابة هذه الفصول تفضل وزير المال — الشيخ " عبد الله بن سليمان " رحمه الله بطبعه على نفقته الخاصة ، فأسدى بذلك إلى المؤلف ، وإلى المتطلعين لهذا الكتاب ، خدمة جليلة .

ويذكر الاستاذ عبد الله بن بليهد ، بشأن الكتاب الآنف الذكر ، أنه لا يعرف عنه شيئاً ، وأنه ربما أن الذي طبع منه كمية محدودة .

فمن خلال هذه الدوافع السابقة فاننا لا نشك في ان مساهمة ابن بليهد رحمه الله في هذا المجال ، انما هي من دوافع غيره على التراث ، واحياء الامجاد وتاريخ الآباء والأجداد .

* * *
* * *
* * *

نظرات في أجزاء هذا الكتاب

من الصعوبة يمكن الا حاطه احاطة شامله ، بما حوت الأجزاء
الخمسة من كتاب " صحیح الأخبار " من معلومات وفوائد جغرافيه وتاريخيه
وأدبيه جليله ، الا أننا مع ذلك سوف نحاول القاء نظرات أولمحات ولو
كانت سريعة ، على كل جزء من ناحية موضوعه ، وأهم ما جاء فيه :

الجزء الأول : =====

يقع هذا الجزء في مئتين وأربعين وخمسين صفحة في طبعته الثانيه ،
وقد بدأ المؤلف رحمه الله هذا الجزء ، بتصديده لذكر الأماكن التي
طاف بها أصحاب المملقات ، فالعرب الأول لم يستوطن مكانا مصعبا ،
بل كان ينتقل من موضوع لاخر ، تبعا لمواطن المشب ، ومنازل المطر .

والشاعر بوجه خاص كثير التنقل والترحال بين أجزاء الأرض ، فهو
يغد على الطوك والأمراء وسادات القبائل ، يمدحهم في شعره ويستجد بهم .

وهذا الجزء - كما أشرنا سابقا - هولبيان المواضع الواردة في
المملقات المشر ، ولذلك فان الشيخ البليهد ، مهد لهذا الجزء ، بالحالة
سريعه ، لا صطب المملقات ، وعن منازلهم والمواطن التي طافوا بها
في حياتهم ، وهم .

(١) أمرى القيس : وهو من اليمن ، وقد ورد في شعره كثير من أسماء
الأماكن في أنحاء الجزيرة ، فذكر ، حمونى ، وهندل ، فسى
حضر موت ، ومواضع أخرى في شمال نجد وجنوبها ، كالدخول ،
وحومل ، وتوضح ، والمقراة .

وقد نبه ابن بليهد الى خطأ وقع فيه بعض الباحثين المعتقدين
بأن بلد الشاعر امرى القيس هو " مرقا " وأثبت بأن هذا غير
صحيح ، ذلك أن اسم امرى القيس شائع في العصر الجاهلى
فمرقا ، تنسب الى امرى القيس بن زيد فتاة بن تميم ، وتميم هم
سكان الوشم في العهد القديم .

- (٢) زهير بن أبي سلمى المزني : ولد في بلاد قومه " مزينه " من نواحي ،
المدينة ، الا أنه نشأ في بلاد بني غطفان الممتدة من القصيم
الى قرب المدينة ، وورد في شعر زهير أسماء مواضع في نجد
مثل : عمار ، نخل ، الروس ، القصيم ، المتلم والمزقان .
- (٣) طرفه بن الصبد الهكري : ولد طرفه في بلاد بني ربيعة ، فس
شمال الجزيرة من العراق الى خيبر ، وقد ذكر في مملقته أسماء
لأماكن كثيرة متباعدة في الجزيرة ، فذكر ، دجلة في مشرق الجزيرة
وحومل في غربها و " ن د " في نواحي البحرين وغيرها .
- (٤) لبيد بن ربيعة الحامري : وقد ولد في عالية نجد ، وتجدول
فيها كثيرا في جاهليته وبعد اسلامه وجاء ذكر لأماكن كثيرة
في أشعاره مثل : منى ، رحام ، تدوم ، شعب جبله ، وببش
وتباله ، في جنوب الحجاز .
- (٥) عمرو بن كلثوم التغلبي : ولد في بلاد قومه بني تغلب في شمال
الجزيرة في منازل بني ربيعة ، وتجدول في نجد والشام والعراق ،
فورد في شعره مواطن كثيرة منها على سبيل المثال : دمشق ،
بعلبك ، قاصرين كما ذكر الهمامه ، وذكر خزاز في عالية نجد
وغیرها .
- (٦) عنتر بن شداد العبسي ، ولد عنتر في بلاد غطفان ، وورد في
مملقته كثير من الأماكن مثل " الجوا " في القصيم ، والضمان شرق
الدهناء ، والمتلم ، وغنوزتين ، كما ذكر الديلم التي تمسرف
الآن بالدم .
- (٧) الحارث بن حلزة الشكري : ولد في بلاد بني قومه " شكسر " في بلاد
ربيعة ، وتجدول في أنحاء نجد ، وفي بلاد طي ، وبلاد بني
أسد ، وبلاد غطفان . وقد ورد في مملقته كثير من المواطن
كرباض القطا والحقيق والبحرين والحسا ، وغيرها .

(٨) الأعمى ميمون بن قيس : وقد ولد في " مفلوحة " القريبة من مدينة الرها في حالها ، وطاف كثيرا في أنحاء الجزيرة ، فوجد على ملبسوك نجران ، بنى عبد المدان ، كما وفد على الغساسنة بالشهباسام ، واللخمين بالحراق ، كما وفد على رسول الله (ص) ولهـذا فقد جاء في مملقته أسماء عديدة لأماكن في الجزيرة وفي خارجها مثل " النجير " وهو قصر في اليمن لكندة ، و" ضرخد " صـين قري الشام ، كما ذكر نمار من أودية اليمامة ،

(٩) النابغة الذبياني ، ولد النابغة في بلاد غطفان ، وتنقل فـي أرجاء الجزيرة كما وفد على اللخمين وبعد ذلك وفد على الغساسنة ، فذكر في أشعاره : الجليل في الشام " جبال قرب مدينة حمص السورية " كما ذكر تدمر ، وجلق ، وذكر توضح في عالية نجد الجنوبية ، وتسمى الآن " التوضيحات " وتبره ، ووبره وهمـا في شرق الصمان .

(١٠) عبيد بن الأبرص الأسدي : ولد في بلاد قومه بني أسد ، وقد ذكر الذنوب ، بالقرب من الدهنية . . . وكثير من الأماكن والجبال . . .

هذا وقد جعل المؤلف - رحمه الله - الجزء الأول من كتاب " صحیح الأخبار " للحديث عن المملقات الثمان من المملقات العربية ، وطريقته ، هي أن يتناول قصيدة كل شاعر على حـده على شكل بيتين أو أربعة أبيات ، ثم يفصل ما ورد في هـذه الأبيات من أماكن ، من عدة نواحي : من ناحية اسم المكان وتحديده وهل تغير اسمه أم هو باق عليه ، ومن ناحية ما قال عنه أصحاب المعاجم وما قيل حوله من أشعار ، وما جرى فيه من أحداث ، وقد أورد في هـذا الجزء عددا كبيرا من المدن والقرى والجبال والمياه المنتشرة في أرجاء الجزيرة العربية ، حيث أوضح كثيرا من المعالم لتلك المواضع .

الجزء الثاني

يتبع هذا الجزء في مئتين وعشرين صفحة .

والقسم الأول من الجزء الثاني لصحيح الأخبار ، جعله المؤلف
تكملة ، للجزء الأول ، حيث أورد المملكتين الباقيتين التاسعة والعاشرة
وهما : -

- (١) مملكة النابغة الذبياني .
- (٢) مملكة عبيد بن الأبرص .

وقد تناول ذكر الأماكن الواردة في هاتين المملكتين كما اتهمه
في الجزء الأول من الكتاب على أن هذا الجزء بالاضافة الى ذلك ، لا يخلو
من فوائد مختلفة ، فقد تطرق المؤلف فيه الى ذكر المعادن والأصـ
والمياه الحذبه في جزيرة العرب .

أما القسم الثاني من الجزء الثاني ، فقد خصه لذكر أماكن
وردت في غير المملكات لمجموعة من الشعراء ، مثل الحطيئة ، الذي أورد له
المبتين اللذين يستعطف بهما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بأرضي الله عنه
عندما سجنه ، وهما :

ماذا تقول لأفراخ بندي ————— رخ

رغب الحواصل لاما ولا شجر

القيت كاسهم في قعر مظلمة

فاغفر فداك جميع الناس يا عسر

وقد حدد " رخ " بأنه واد في نجد يقع في الجهة الشمالية الشرقية
من " الزلفى " قريب روضه السبله ، وقريب نفود الضويحي . الا أن ابن
بليهد يذكر موضعا آخر يقال له " رخ " وهو واد عظيم بين المدينة
وقدك ، ويعتقد ابن بليهد بأن هذا الوادي الحجازي هو الذي عناه
الحطيئة في شعره لأنه سجن في المدينة ، وربما كانت فراخه قريبة منه

كما أورد ابن بليهد أبحاثاً لعدد من الشعراء مثل "عروة" بن الورد ، وأحمد بن زهير الهذلي ، وذي الرمة ، وجبير ، ولغيرهم . وذكر مجموعة من المعارك التي حدثت في الأماكن التي يتعرض لها ، وبعض القصص الشخصية التي جرت له أثناء تجواله في دراسته الميدانية في نجد وغيرها . بعد ذلك بدأ في ذكر ما بين جد ، والرياض من الأماكن التي يمر بها السالك عبر هذا الطريق الطويل ، وقد ألف الأستاذ الشيخ عبد الله بن خميس كتاباً يتناول نفس الموضوع وقد أسماه "المجازين اليمامة والحجاز" ويمضي ابن بليهد في تفصيله لهذا الموضوع ، فيسوق مجموعة من الأشعار العربية التي تتناول تلك الأماكن التي يمر بها .

وقد تحدث ابن بليهد في هتامة لهذا الجزء عن سوق "عكاز" وقد أفرد له مقاله نشرها الدكتور عبد الوهاب عزام في كتابه "موقع عكاز" وسنطرق لها بعد نهاية نظراتنا في هذا الكتاب .

وفي آخر هذا الجزء فهرس لجميع الأماكن والأودية والجبال الواردة في الجزئين الأول والثاني .

الجزء الثالث :

ويقع في ثلاث مئة وسميع من الصفحات . وقد كان الشيخ محمد بن بليهد ينوي الاكتفاء بما ألفه من كتابه "صحیح الأخبار" . . . بالجزءين الأول والثاني ، إلا أن الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد ، الذي راجع هذين الجزئين ، وكتب مقدمة في الجزء الأول ، عتب على الشيخ البليهد اقتصاره على ذلك المقدار من الأماكن التي بين مواقعها الجغرافية المدبده الواردة في أشعار العرب ، كذلك فإنه بعد صدور الجزء الأول من صحیح الأخبار قوبل بترحاب كبير من أدباء الجزيرة العربية والشام والمراق وغيرها من البلاد العربية الذين كنبول إليه يشكرونه على جهده العلمي العظيم ، ويشجعونه كما يطلبون منه الاستزاده من هذا الإنتاج .

لذلك كله ، ولولوعه بالعربية ، رأى الشيخ البليهد رحمه الله أن يؤدي ما في استطاعته لخدمتها .

أما بالنسبة لمتهمه في الجزء الثالث ، فقد لاحظ أن أصحاب المعاجم يخطئون كثيرا عند حديثهم عن بعض الأماكن في جزيرة العرب معتمدين على الظن والتوهم والنقل ، ولهذا فإن ابن بليهد عزم على أن يصحح الأماكن الجغرافية التي لم يصب في تحديدها أو ضبطها أصحاب المعاجم الجغرافيين ، وهذا ما فعله في كتابه هذا حيث نبه في كل مكان أورده على ما قاله عنه واضعوا المعاجم معتمدا في ذلك على دراسته الميدانية الطويلة أو على المعلومات الموثوقة التي يسمعها من أناس زاروا المكان .

وقد ضمن هذا الجزء كثيرا من الأماكن والقرى والأودية والجبال والمياه ، وغيرها التي حققها وصححها وبين شيئا من معالمها الجغرافية وأورد الأشعار التي قيلت فيها .

كما ضمن الجزء الثالث ردا طويلا على مقال نشره الاستاذ خالد الفرج في مجلة الحج ، عدد ١٢ لشهر جماد الثاني ١٣٧١ هـ ، وقدم الفرج لمقاله بمدح لكتاب " صحیح الأخبار " ولمؤلفه . ثم انتقل الى الحديث عن بعض النقاط الواردة في الكتاب ، والتي رأى أنها تحتاج لمزيد من التعليق والتحقيق والبيان ، وقد ربه الشيخ ابن بليهد على الناقد فقرة فقرة مؤكدا أنه لم يستند الى دلائل تاريخيه صحيحه تؤيـده في نقده .

وقد كانت هناك أيضا بين الشيخ محمد بن بليهد والشيخ جعفر الجاسر اختلافات فسي وجهات النظر ، فقد كان الاستاذ الجاسر ينشر مقالات في جريدة " البلاد السعوديه ينتقد فيها كتاب " صحیح الأخبار " وفي هذا الجزء " الثالث " أثبت الشيخ البليهد رده على حمد الجاسر في كل ما أخذه التي أوردها على الكتاب وأنه لم يصب في أي نقد وجهه له ، ذلك أن الشيخ محمد بن بليهد ، يوضح أن كل ما ذكره من المواضع والبقاع كان نتيجة جهد دراسة سنين

طويله ، وقف عليها المؤلف بنفسه ، وأورد معظم ما قيل فيها من الأشعار
وكلام العرب ، وبعد ذلك بدأ في عرض نماذج من الانتقادات التي وجهها
الشيخ الجاسر في مقالاته ورده عليها ، مثبتا كل ما يورده بالأدلة
والبراهين المقنعة .

الجزآن الرابع والخامس : ويقعان في ستمائة " ٦٠٠ " صفحة ، وهذان
الجزآن يستبران في الحقيقة مكملين للجزء الثالث ، حيث ناقش فيهما
المؤلف عددا كبيرا من المياه والجيال والتلال ، والوديان ، والبلدان
العامرة والغامرة . . . التي أخطأ في جغرافيتها العالمان ياقوت الحموي
والهكري في . . . ، فقد كان الهكري رحمه الله بالاضافة الى هذا ، يشتت
ذهن القارى ، فمثلا عند حديثه عن موضع من المواضع يقول : قد مضى
الكلام عليه في رسم كذا وكذا ، ولو أن بين الموضعين مسافة بعينه ،
ولذلك فان ابن بليهد عمل ما في وسعه لتصحيح ما وقع فيه اصحاب المعاجم
من أغلط ، وتهويب مواضعه تبويبا دقيقا ، وهذا الهدف ، هو من الأهداف
الرئيسية التي دعت الشيخ البليهد لتأليف كتابه " صحيح الأخبار " . . .

ثم يسوق الشيخ محمد بن بليهد نماذج عديدة لما وقع في
مؤلفوا المعاجم العربية من الأغلط في تحديد المواقع الجغرافية في
جزيرة العرب ، وجانبها يضع رأيه مثبتا ذلك بالشواهد الحسية والشعرية

" صحيح الأخبار . . . مكانته وأهميته "

لا شك أن كتاب صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار
بأجزائه الخمسة ، يعتبر موسوعة ، أو دائرة معارف جغرافية ، وتاريخية
وأدبية ، عن شبه جزيرة العرب ، وقد قضى مؤلفه سنين طويلة بأحسان
ودارسة ، وصحيفا ، لا يعرف الكلل والبلل في سبيل اخراج هذا
السفر القيم ، والمرجع المعتمد ، فكان أول كتاب من نوعه ، يركن اليه
الباحث ، ويطمئن اليه المحقق ، وهو وان نحافيه غير منحى أهل المعاجم
في الترتيب والتهويب ، ولم يقصد به استقصاء جميع الأمكنة ، وإبراز كل

ما ورد في كتب الأوائل من معالم وآثار للعرب ، في شعرهم ونثرهم ، بل عند الي بعض ما في شعر مشاهير الشعراء الجاهليين ، من ذكر للأمكنة وتحدث عن الأطلال والدمع ، فهو وإن عطلا هذا المنحى ، واقتصر على هذا المقدار ، فلقد أبدع أيما أبدع ، وسد ثغرة كانت هواء بالأمس ووضع أسا متينا لمن أراد البناء والأشاده . وتبرز أهميته من النواحي الجغرافية ، والتاريخية ، والأدبية .

فمن الناحية الجغرافية ، فالكتاب يمد مرجعا لعدد كبير جدا من أسماء المواضع والبلاد الواردة على ألسنة الشعراء الجاهليين والاسلاميين ، وهو بالاضافة الى ذلك ، محاولة جادة لتصحيح الأخطاء والأقلاط التي وقع فيها مؤلفوا المعاجم العربية القديمة ، في تحديد المقالم الجغرافية لمجموعة من الأماكن والبقاع في شعر الشعراء ، هـذ الأخطاء ناتجة من أن أصحاب هذه المعاجم ليسوا من الجزيرة العربية وإنما يكتبون بالسمع والنقل ، دون المشاهدة ، لذلك فان صحيح الأخبار ، يعتبر مصدرا موثوقا ، لأن مؤلفه أمضى ردا طويلا من الزمن في الدراسة الميدانية لأرجاء الجزيرة العربية المترامية الأطراف ، وتسجيل الأخبار الصحيحة الموثوقة عن بعض الأمكة التي لم يشاهدها ، يقول الشيخ ابن بلعيد : " وهكذا قدر على أن أقضى أربعين عاما في قلب جزيرة العرب - أي في نجد - كما قضيت سنين من تلك الأربعين أطراف الآفاق في الحجاز ونجد . . . وغيرها من البلدان والأقطار" (١) .

ان كثيرا من الجغرافيين ، والمؤلفين ، والباحثين عن الأدب - وتاريخه ، يجعلون صحيح الأخبار في مقدمة المراجع في أبحاثهم ، فهو بحق " اسم على مسمى " ولا شك أن الفهارس الموضوعه في آخر كل جزء من الممكنة والبقاع والأودية والجبال والمياه ، تيسر للباحث وللقارى الرجوع بسهولة الى اسم أى موضع يود الاطلاع عليه ، فهذه المواضع مرتبة

(١) صحيح الأخبار - ج ٤ " المقدمة "

حسب الحروف الهجائية للأمكنة الواردة في كل جزء .

أما من الناحية التاريخية : فالكتاب يعد مصدرا من المصادر التاريخية المعتمدة للجزيرة العربية لأن المؤلف عندما يتحدث عن كثير من الأمكنة يذكر الأحداث ، والوقائع التاريخية القديمة والحديثة ، التي لها علاقة مباشرة بالمكان ، كما أنه يشير في كثير من الأحيان إلى المواضع التي كان لها ذكر في التاريخ ثم اندرست ، كما يتعرض إلى بعض الأحداث التي جرت عليه في أي وقت من الأزمان ، كما يتحدث عن طباعهم وهاداتهم ، كما أنه يمكن الاستفادة من الكتاب في دراسة تاريخ الدولة السعودية الحديثة لصلابة المؤلف بعدد من زعمائها ورجالها ، وولي رأسهم جلالة الملك عبد العزيز .

ومن الوجهة الأدبية : فإن صحيح الأخبار قد ملأ فراغ كثيرا كانت المكتبة العربية الأدبية ، بأحسن الحاجة إليه وإلى أمثاله من الكتب والمصادر التي تمنى بدراسة الأحوال والظروف الجغرافية التي أحاطت بكبار الشعراء العرب ، جاهليين وإسلاميين ، وكذلك تحقيق ودراسة وتحديد المواضع الجغرافية الواردة في أشعارهم ، وقد أسدى المؤلف رحمه الله ، بحملته هذا ، خدمة جليلة لكل باحث في الشعر العربي أو متذوق له .

تلك بعض النواحي الرئيسية التي نستقيها من قراءة صحيح الأخبار تناولناها بإيجاز شديد مع أن الكتاب يحتوي بالإضافة إلى تلك النواحي ، أصنافا من العلوم والقصص واللهجات وغيرها مما لا يتسع المجال لذكرها .

**
*

مقالته في تحد يسعد

سوق فكساش

يحتج بوضع هذا السوق بين الأجر التي شغلت بال كثير من الطرخسين والأدباء والجغرافيين في القديم والحديث ، وقد أسدى ابن بليهد لهؤلاء بدأ بتحديد هذا السوق تحديدا قاطعا ففي كتاب "موقع عكاز" للدكتور عبد الوهاب عزام ، مقالان يتناولان بالشرح والتفصيل تحديد سوق عكاز وهما :

(١) المقال الأول ، للشيخ محمد بن بليهد

(٢) المقال الثاني ، للشيخ حمد الجاسر

وقد اجتمع للشيخ محمد بن بليهد نقولا وأدلة ، لا تدع شكا فـسـي أن هذا الموضع كان هو مجتمع العرب في السوق التي ذاع ذكرها ، وطارحيتها "سوق عكاز" يقول في طريقة تحديده لهذا السوق : " ، ، فمازلت أتتبع كتب الأدب والمعاجم التي أظن أني أجده فيها ، فإذا وجدت تعابرة قريبة من الصواب ، عرفت موضعها من الكتاب ، وصنفتها في حافظتي ، حتى إذا أكتملت لدى الدلائل الواضحة - ولله الحمد والمنه - عزمت على تطبيقها على طبيعته ، وتحديد موقع سوق عكاز " (١) .

وقد بدأ هذه المقالة ، بتبيين موضعه ، وحدوده ، ثم بدأ بـمـة اندراسه من سنة ١٢٩ هـ عندما ظهر الخواج الحروريه مع المختار بـن عوف بمكة ، فما زال يخلص ظمها شهرا بعد شهر وهما بعد عام حتى اندرس اسمه ، وهي من الأبحار رسمه .

وقد خطأ بعض أقوال أهل المعاجم الذين اختلفوا في تبين موقعه ، لعدم استنادهم على شيء يثبت ذلك ، على حسب رأيه - ثم بـين أن تحديده هذا صحيح ، وثابت لا اعتاده على أمرين :

الأول :

مشاهدة العيان التي وضعت في الموضع الصحيح لهذا السوق ، مطبقا ما قيل فيها من أشعار ، ومستدلا بما سمع عنه من أخبار ، وهو لا يستسيغ

أى قول أورأى خال من الحجة والدليل ، يقول فى هذا الصدد " كسان يقول لى من سألت من أرباب الحجار : انه السيل الصغير ، وكنت أسألهم : هل عندكم دليل واضح ؟ فيقولون : لا " هـندئذ عرف التباسه على الأذهان ، وغوضه عن الأعيان ، فبحث عنه بحثا ميدانيا دقيقا .

الثانى :

استناده على خصسة أسانيد صحيحة .

أولا : ما ذكره أحمد الوهابى اليماني فى أرجوزة له ، رسم فيها طريق مكة من صنعاء وقد ذكرها اليماني فى آخر كتابه " صفة جزيرة الحبيب "

ثانيا : ما ذكره " هرام بن الأصبح السلى "

ثالثا : ما ذكره الأصمى فى " معجم البلدان .

رابعا : ما ذكره سعيد الأفغانى فى كتابه أيام العرب .

خامسا : قول للكثير بن زيد الأسدى .

وتبرز أهمية هذا مقاله ، للشيخ محمد بن بليهد لأمرين :

الأول : الألتباس فى معرفة مكان هذا السوق ، بل الغموض الذى يكتنفه ، فالنفس تشتاق لمعرفة ذلك المكان الذى طالما حضى بشدو الشعراء وفصاحة الفصحاء .

الثانى : المدة الطويلة التى قضاها فى التحقيق للتأكد من موقع هـذـه السوق ، وتلك المدة التى دامت أربعة عشر عاما ، وما لاقاه خلالها من متاعب وصعوبات ، يقول الشيخ فى ذلك :

" وليس يعلم الا الله تعالى كم بذلت من جهد وعانيت من متاعب فى سبيل البحث عن موضع سوق عكاز ، والاستدلال على موضعه (١)

لقد ظل الشيخ محمد بن بليهد مدة طويلة فى سبيل البحث عن هذا السوق وتحقيقه ، استمرت من سنة ١٣٥٥ هـ وانتهى منه فى شوال سنة

(١) موقع عكاز - هـ / عهد الوهاب هزام ص ١٨

١٣٦٩ هـ حيث حدده بالدلائل والأسانيد ، ووقف بنفسه على المكان ،
حيث بذل المؤلف - رحمه الله - جهدا كبيرا في سبيل تحديده تحديدا
دقيقا حتى ثبت له موضعه يقول في هذا الشأن : " ثبت عندى أن موضعه
يبعد عن مطار الحوية مسافة عشرة كيلومترات تقريبا من الجهة الشرقية
منه ، وعن الطائف مقدار أربعين كيلوا ، وذلك عند المكان الذى يلتقى
فيه الواديان : وادى شرب ، ووادى الاخيضر ، شرقه ما يقال لــــه
المبعوث ، عند الحرة السوداء ، وجنوبه أكمة بيضاء ، يقال لها العبدلاء
من العهد الجاهلى الى هذا العهد ، وشماله هو الفاصل بين وادى شرب
ووادى قران ، المعروفين بهذين الأسمين الى هذا العهد " (١)

وقد نشر الدكتور عبد الوهاب عزام هذه المقالة في كتابه " موقع
عكاز " ، كما نشر هذا المقال في مجلة " المنهل " وكانت آنذاك تصدر
في مكة المكرمة . في عدد شهر ردى الحجة سنة ١٣٦٩ هـ .

فكان ابن بلعيد أول من حدد مكان سوق " عكاز " وان كان الشيخ
حمد الجاسر لا يسلم له بذلك والله اعلم

(١) موقع عكاز - د / عبد الوهاب عزام ص ٢٤



” ما تقارب سماعه ، وتباينت أمكنته وبقائه ”

وهذا الكتاب لا يزال مخطوطا ، وقد ورد مادته حول كثير من الأماكن
والبقاع في الجزيرة العربية تتشابه في أسماؤها ، وأمكنتها ، مع إيراد مسا
قبل فيها من أشعاره .

وهذا الكتاب المخطوط والذي يقع في ١٩٤ صفحة ، من الحجم
المتوسط ، يعتبر فتحاً جديداً في عالم التأليف ، وفتحاً لأبواب طالما
استغلقت على الباحثين أزماناً طويلاً .

ويذكر الأستاذ عبدالله البليهد أحد أبناء المرحوم الشيخ محمد بن
بليهد ، أنه سوف يسعى إلى طبع الكتاب المذكور ، بعد أن قدم لـ
الأديب عبدالله بن خميس ، بمقدمة أشاد فيها بهذا العمل الهام ، والمضني ،
بعد أن بين أهميته للباحثين والدارسين والكتاب .

وقد ذكر لي ابنه عبدالله ، أنه هو الذي كتب هذا المخطوط
بإملاء والده ، بعد أن أعجزه المرض ، الذي حال دون طباعته ، فتمسك
بذكر الشيخ محمد بن بليهد في تقديمه لكتابه ، أسباب عدم طبعه فـ
ذلك الوقت فقال : وقد استأذنت من ولي العهد سمو الأمير فيصل فـ
السفر إلى مصر ، فقال لي : ما السبب ؟ فقلت له : لطبع كتابي " مسا
تقارب سماعه ، وتباينت أمكنته وبقاعه " والجزء السادس من صحيح الأخبار
فقال لي : حفظه الله أنت رجل مريض ، ويصعب عليك السفر ، وأني سأمر
بإيجاده على حسابي في مؤسسة الطبع بجدته " (١) .

أهميته :

أما أهميته فتبرز حينما نعلم أن الشراح والباحثين والمؤرخين
والكتاب ، وغيرهم ، حينما يصادف أحدهم باسم جبل أو واد أو سـ
أو روضة . أو أرض في جزيرة العرب ، يقتضيه أسلوب البحث ، وتتطلب
منه ضرورة التمام ، أن يحدد موقعه ، ويبين علاماته ، ويحدد وقربه
بالمسافات والأرقام ، وما أظن أحداً يجهل أن هؤلاء يأخذهم الارتباك ،
وتستولى عليهم الحيرة ، ويلتفتون إلى مرجع صحيح يهل الصدى ، ويروى

(١) مقدمة كتابه المخطوط (ما تقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه .

وبدوى الفليل ، فيقلب طرفهم خاسئا وهو حسير ، ونحن لا ننكر أن هناك
كتبا ألفت في هذا الميدان ، كمعجم البلدان ، لمآقوت الحميرى وصلوة
جزيرة العرب ، للبهداني ، ومعجم ما استعجم للمكرى وغيرها ، إلا أنها
على جلالة قدر مؤلفيها لا تروى ظمأ العطشان ، ولا تأخذ بيد الحائر ،
فلو تناولنا كتابها في التاريخ أو في المغازى فأردت أن تحقق ما حدث أو تضع
فيه بحثا أو كان له مرادف أو أكثر ، وتريد ~~منه~~ وتعيينه ، أو أردت أن تعرف
الأمكنة التي قيلت في تلك القصيدة ، ثم رجعت الى مثل تلك الكتب
السابقة ، لوجدناهم يقولون : اسم جبل ، والوادي أو ماء ، في جزيرة العرب ،
وربما أفاضوا في تعريفه ، ولكن قلما يحالفهم التوفيق ، وربما يسمون الجبل
ماء ، والماء لا يابى ، والوادي كئيبا ، أو بالعكس ، وربما يكون جهلا في مكان
وواديها في مكان آخر ، وربما يقصد به في بيت الشعر مكان في الحجاز ،
ويطلقه هؤلاء ، على مكان في نجد ، وهكذا يكون الحكم في هذا العلم
مبنيا على الحدس ، والتخمين ، مما لا تطمئن اليه نفس الباحث ، ولا يرتضيه
المحقق .

وهذا الشك الذي أوردناه يرجع الى أن الذين باشروا التأليف
في ذلك الوقت ، لمسوا من صميم الجزيرة بل ولم يستوطنوها ، وكسل
ما هنالك ، أنهم يتتبعون الأخبار من أعراب البادية ، أو يعبرون الجزيرة
هبورا سطحيا من بعض جوانبها ، مما لا يمكن أن يبنى عليه تأليف موضوعي ،
وإذا أضفنا الى هذا أن الجزيرة العربية في الوقت الذي ألفت فيه هذه
الكتب ، يعتبر سلوك الطريق فيها ، والانتقال بين مدنها ، مجازفة
بالحياة ، ومغامرة ، لا يركبها إلا المغامرون بأنفسهم ، لعدم استتباب
الأمن فيها ، ولفوضى الضاربه بأطنابها في كل صقع منها ، فما بالك
بالبرارى والغلوات فعلى هذا لو كان المؤلف من صوم جزيرة العرب ، فإنه
لا يستطيع الا حاطه ولو بجزء يسير في هذا الشأن ولقد أخذت الفسيرة
علما من أعلام الجزيرة في الأدب والتاريخ والرواية ، هو العلامة " محمد
ابن بلهد " فتصدي لهذه المهمة ، مهمة ثابتة وهزم لا يعرف الكلل
والطل ، فهيمه أن انتهى المؤلف من كتابه " صحيح الأخبار . . " وجد

أنه لا يزال هناك مكان شافر ، وفق يحتاج الى رفق ، فهيك أدركت
 أن جيلا من الجبال يقع في مكان ما من الجزيرة ، وهناك جبل آخر
 يحمل هذا الاسم ، ولكنه يبعد عن الأول مسافات طويلا ، وربما يوجد
 ثالث ورابع ، وربما يكون هذا الاسم يطلق على ما ، والآخر على واد والثالث
 على روضه ، وأنت تريد كباحث أن تتف على حقيقته ، وتشخصه بعينه ، فكيف
 تميز عليه ، وتعلم أن هذا الشاعر قصد هذا الجبل نفسه ، أو هذا
 الماء عينه ، أو ذلك الكتيب ذاته .

أو هيك لا تعلم أن هناك اسما في جزيرة العرب ، يطلق على
 غير هذا المحل ، بعد أن وقع عليه نظرك في " صحیح الأخبار " أو غيره ،
 ثم عدت تحكم أن الشاعر أو الخطيب . . أو غيرهم ، قصد هذا المكان
 بعينه ، بينما هو يقصد المكان الآخر الذي دون في نفس مرجعك السدي
 رجعت اليه ، ولكنك لم تهتد اليه ، فكيف تكون النتيجة حينذاك ؟ انها
 - أيضا - مشككة .

ولكن لم يفتأ غرابت الجزيرة " ابن بلهد " يبحث ، ويلقب ، حتى
 حلها بكتابه هذا " ما تقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقائه " .

يقول رحمه الله ، في تقديمه لهذا الكتاب ، مبينا أهدافه من
 وراء " محلات تشابهت أسماؤها أو تعددت أعلامها ، ودرت ديارها
 أو شط مزارها ، وذكرت وهادها ونجادها ، وهيونها ، وغدرانها ،
 ونهدا وسهولها . . وجاءت ألفاظها في شعر الشعراء أو خطيب
 الخطباء ، أو مؤلفات الأدباء أو كتب المؤرخين ، وقد لمست الحاجة
 الماسة ، الى اثبات ذلك في كتاب خاص ، فخشيته اختلاط الأسماء
 على الباحثين ، وتشابهها على المنقبين ، من مبتدئين وضالعين ، ورواة
 ومحدثين فقد يجد أحدهم اسما واحدا يقابله في فنه وعلمه ، وقد يطلق
 على هذا الاسم نفسه على غيره ما يشاركه في الاسم ، لا سيما وكثير من
 كتب المعاجم لم تحدد مواضع أكثر هذه الأسماء تماما ان لم تكن أهملتها
 اهمالا (١)

(١) مقدمه كتابه " ما تقارب سماعه . . "

منهجه في هذا الكتاب :

أما طريقته ومنهجه في هذا المؤلف ، فهي أن يجمع ما ينسب
تحت اسم واحد ، وما ينضوي تحت مادته في ترجمة واحدة ، فيسرد هذه
الأسماء تباعا ، فماتوا فق في الحروف جميعها ، يضعه ثم يرمز اليه بالرقم
الذي يبين عدد الأمثلة التي يحملها هذا الاسم ، وما اختلفت حروفه
كونه من مادته ، يضعه بعينه ، ثم يأخذ في تفصيل كل مكان على حسده
مبيناً أن هذا المكان ، في ديار الهنديين مثلا ، ووقع فيه من الحوادث
ما هو كذا ، وقيل فيه من الأشعار كذا ، وأن هذا الما مثلا في ديار
بنى غطفان وفيه يقول الشاعر كذا ، ويحدد عن المكان كذا .

وقد ذكر ابن بلهيد طريقته في ترتيب وتبويب مؤلفه هذا فقال :
يعلم القارى لهذا الكتاب ، أنني لم أرتبه على حروف الهجاء ، ولكني رتبته
على المتشابه من الأسماء ، فالأكثر بالأكثر ، أولها مشرون موصفا ، وآخرها
ثلاثة مواضع ، وأما الشواهد والأشعار العربية فهي دليل على تقدم هذا
الاسم في الوجود ، وبثاقه على اسمه الى عهدنا هذا (١) .

هذا وابن بلهيد ، لم يشأ أن يترك نزعة الأديبه ، ويهجر
طرفه ، ونوادره ، وقصصه الممتعه الجميله ، والألکان الكتاب علميا بحثيا ،
وربما كان مدعاة لسأم فارسيه ، ولكنك لا تلتفت ، وأنت تقرأ الكتاب ، حتى
يدخل عليك الأرب بأنفاسه الشديه ، وهطره الفواح فيمثال عليك باقصة
من زهر الربيع ، فهذه قصة طريقه ، وتلك قصيده رقيقه ، وهذه نادره عجيبه ،
ما يجعلك تلتهم الكتاب من غير ملل ولا كسل ، خاصة اذا عرفنا الجهد
المضني الذي بذله المؤلف ، وارهاقه نفسه ، لمخرج هذا الكتاب ، موضوعيا
على حساب صحته ، وشخيخوخته يقول في تقديمه لهذا الكتاب ، ونحسن
الآن في زمان يجرى فيه العلم وراء الصواب ، ولا يتسرع منه الا الحسب

(١) مقدمه كتابه " ما تقارب سماعه . . "

واليقين ، وما خفف على هذا الجهد الجبار ، وقد اشتمل الرأس شيبا ،
وبلغت من الكبر عتيا ، ولا زلتى العرش ، ناسيا كل هذا مضحا براحتي
— الا احقاقا " للحق وخدمة للعلم (١) وما أن هذا الكتاب لا يزال — خطوطا
فقد ارتأيت أن أورد نموذجاً لما يحويه هذا الكتاب أهميته من خلال طريقته
هذه : قال في الصفحة الخامسة والثلاثين .

٩ - مواضع :

حجر - ثلاثة مواضع ، الحجرة - موضعين ، الحجران ، الحجره ،
الحاجر ، الحجرة .

قال المؤلف : " حجر " . ثلاثة مواضع :

الأول منها : هو حجر اليمامة ، بفتح الحاء ، ومنه قول أبي ذؤيب الهذلي :

كأن حدوج الحن حين تحلبوا

حدائق يوم القادسية أو حَجْرٍ

وحَجْرٌ هذا معروف بهذا الاسم الى هذا العهد ، فهو الرياض .

الثاني : الحجر ، المعروف قريب المحاني ، وهذا الموضع هو السدي

يقول فيه الشاعر :

فيا ليت شعري هل تغير بعد نسا

أروم وآرام وشابة والحض

فهل تركت ابلق سواد جبالهم

وهل زال بعدى عن ثنية الحجر

(١) مقدمة كتابه " ما تقارب سماعه " .

وهو معروف بهذا الاسم الى هذا العهد :

الثالث و هو منزل قوم صالح ، وفيه بئر الناقة ، معروفة الى هذا العهد ،
وقد نزل فيه قرآن كريم وهو على هذه الشاكلة ، يسير في كتابه
هذا ، يستعرض الأماكن المتقاربة أو المتشابهة في أسماءها
ثم يبين عن تباين أماكنها ، جاعلا من الأسماء العربية ، دليلا
على وجود هذه الأماكن .

*

" نشر وتحقيق كتاب ، صفة جزيرة العرب "

" للهمم داني "

قام ابن بليهد بنشر هذا الكتاب وتصحيحه ومراجعتها وتحققه
بقائه ، وهذا الكتاب مصدر تاريخي وجغرافي قيم عن الجزيرة العربية ،
حيث أن مؤلفه من أبناء الجزيرة نفسها وقد استقى من هذا المصدر ، بقوت
الحموى ، والبكري ، والكثير من المعلومات في مجموعتهما .

وقد كان ابن بليهد ينوي أن يحقق هذا الكتاب ، ويطلق عليه
في الجزء السادس من كتاب " صحيح الأخبار " إلا أنه كما أوضح في مقدمته
لكتاب " صفة جزيرة العرب " ظل يبحث عنه ، مدة طويلة في الحجاز
وتجد وفي مصر ، فلم يتمكن من العثور عليه ولذلك يقول : " فأيقنت أن الكتاب
أصبح في حكم المردوم وأصبح نشره أوجب على من التعلّق عليه ، فتوكلت
على الله ، وشرعت في طبعه حتى يكون على أجدى على القراء ، وحتى
يكون تعلّيق على كتاب يقع بين أيديهم على طرف الشام (١) "

إلا أنه أخيراً تمكن من الحصول على نسخة من اليمن ، أرسلت
إليه وهو حينذاك في مصر فعزم على تحقيقها ، ومراجعتها ، حيث
أنه قد تعرض بهذا العمل ، واعتاد عليه ، وساعده في ذلك ، أن الهمداني
رحمه الله ، كان دقيقاً في وصفه ، ليس ممن يستندون على النقل من الكتب ،
بل كان يطوف أرجاء الجزيرة ، ويتمين آثارها ، ويسجل كل ما شاهدته
في تجواله درس ابن بليهد هذا الكتاب ، دراسة وافية ، متفحصه ، مدة
مرات ، تبيّن له من خلالها ما يحويه الكتاب من الفوائد العظيمة ، كما
اتضح له في الوقت نفسه ، أن الهمداني أنتهج في مؤلفه منهج الرحالة ،
كأبن بطوطة وابن جبير وغيرهما ، فلم يترهب عند وصفه للبقاع ، ويورد
ما قيل بها من أشعار إلا نادراً ، بالإضافة إلى أنه لم يكن خالياً من
الاستطراد في بعض المواطن .

" ولوضع - أي الهمداني - ما صنع " بقوت " في معجمه
في تحديده للمواضع ، واستشهاده عليها بالأشعار الواردة فيها ،

(١) صفة جزيرة العرب ص ٦

من أشعار الجاهلية والاسلام ، لبلغ هذا الكتاب الصغير أضعاف حجمه (١) .
 هذا من كتاب صفة جزيرة العرب والدافع التي شجعت ابن بليهد طبع
 نشره ومراجعته وتصحيحه أما عن طريقه ابن بليهد ، في التعليق على
 الكتاب ، فقد ارتأى أن يقوم بنشره أولا على صورة يراها هو مقاربة للصواب ،
 ثم بعد ذلك وفي آخر الكتاب ، يعلق عليه ويصححه ، ويعقب عليه ،
 وانك أيها القارى الكريم " باخراج هذا السفر على هذا النحو - لظافر
 بكتابين في كتاب واحد .

أولهما : صفة جزيرة العرب .

ثانيهما : تحقيق صفة جزيرة العرب ، الذى كنا سنصدره الجزء السادس من
 كتابنا " صحيح الأخبار (٢) " ولقد بذل ابن بليهد جهدا
 كبيرا في سبيل تحقيق هذا الكتاب النفيس ، فيما ورد فيه من
 البقاع والجبال والأودية والمياه والقرى العامرة والمندثره
 والصحارى وغيرها ، حيث يسر قراءته للباحثين فقد أشار عند
 الحديث ، عن كل موضع ورد في الكتاب الى الصفحة والسطر
 اللذين يحدده ، وساق كل ما يعرفه عنه من أخبار وأشعار
 وغيرها ، كما أنه أثبت في نهاية الكتاب كل ما راجعه أو طبق
 عليه بفهرس خاص ، كي يسهل على القارى الرجوع اليه .

وبالإضافة الى ذلك فان ابن بليهد بعد اكماله لطبع كتاب " صفة
 جزيرة العرب " اكتشف به أخطاء وليس المستول عنها الهمدانى ، وانصا
 وردت تلك الأخطاء في الطبعة القديمة لم يتنبه لها الطابع والمصححون ،
 وقد وضع ابن بليهد فهرسا خاصا بهذه الأخطاء كي يسهل على القارى
 تصحيحها بعد ذلك . ولتصوير المنهج العلمى السلم الذى اتبعه ابن بليهد
 والجهد الكبير الذى قدمه من أجل اخراج هذا الكتاب على الوجه المطلوب ،
 يقول رحمه الله في ختام الكتاب : " قد انتهينا بحمد الله ومعونته وحسن

(١) المصدر السابق ص ٧

(٢) المصدر السابق ص ٨

توفيقه من تحقيق البقاع الوارد في " صفة جزيرة العرب " لا نقلا عن الكتب ، ولا سماعا من الأفواه ، ولكن رأى العين ، وشد الرحال ، وحث القسود ، وبعد ذلك ثبت الأغلط المطبعية الواقعة في الطبعة الأولى ، ثم الأغلط الواقعة ، في طبعتنا ، وبعده ، الفهرس لما حققناه من جهال وأود يسسه وصياها ، وبلدان ، عامرة وغامرة ، ثم فهرس الكتاب التابع للطبعة الأولى وبتناسها ، يتم الكتاب (١) وبعد فان كتاب " صفة جزيرة العرب " على هذه الصورة المصححة المحققة ، يعد في الواقع من المصادر الرئيسية عن الجزيرة العربية ، ان هو من أجود وأوثق الكتب الجغرافية والتاريخية المعتمدة .

" مذكراته "

كتب الشيخ محمد بن بليهد ثلاث مذكرات تحدث فيها عن تجواله ومغامراته في نواحي نجد ، وصور ما تجشمه من المشاق وصعوبة الأسفار وضيق العيش ، وهي في الحقيقة قصص واقعية مستعم ، بعضها جرى للشيخ نفسه ، خلال رحلاته ، وبعضها الآخر ، نقلها أو سمعها من الأعراب الذين كان يحب الاختلاط بهم ، وسماع أخبارهم ، وقد سرد الشيخ محمد البليهد هذه المذكرات الثلاث فقط في آخر الجزء الخامس من " صحيح الأخبار " مفيدا بأن لديه مذكرات أخرى ، وأنه ينوى أن يجعل لهذه المذكرات كتاب مستقلا ، الا أنه لم يطبع حتى الآن ، هذا وقد استفسرت من ابنه عبدالله بشأن هذه المذكرات فيما اذا كان سوف يطبعه هو ، المذكرات في كتاب مستقل ، فأفاد ، بأن القدر لم يمهل والده لاكمالها ، ولا يوجد لديهم غير ما تم طبعه في نهاية الجزء الخامس من " صحيح الأخبار " .

وكان رحمه الله ، ينوى الخراج كتاب عن : " فرسان جزيرة العرب في العصر الحديث " وقد أعد مادته في ذهنه تمهيدا لتدوينه ، فما جلسه القدر . . . رحمه الله .

**
*

صفة جزيرة العرب ص ٤٣١ .

خاتمة

لقد بدأت هذه الدراسة لحياة الشيخ " محمد بن بليهد " وشعره وآثاره ، وانتهيت منها وأنا أشد اندفاعا وحماسا الى هذا العمل ، وفسي كثير من الأحيان ، أسائل نفسي عن سر هذا الاندفاع والحماس الشديد بمن ، فطورا يكون جوابها مزوجا بالراحة ، حينما اطمن الى أن هذه الدراسة مساهمة كبيرة في ميدان الأدب ، وخاصة للشعر والشعراء في نجد ، ثم بالتشرف بالسبق في دراسة هذا الرجل دراسة شاملة ، وطورا آخره يكون الجواب سلبيا ، فأشعر وكأن كتابتي رد لأولئك الذين لم يعطوا هذا الرجل حقه عند الكتابة عن الشعر والشعراء في نجد ، ومع أن الكتابة عن الشعر والشعراء في نجد ، مازالت قليلة ، فاننا لا نعذر بقليل أو كثير ، ألا يدرس الشيخ محمد بن بليهد ، دراسة وافيه ، فمن الاجحاف أن يقتطع الاستاذ " عبدالله بن دريس " هضا ساهم بالجزء الكبير في نقل الحركة الفكرية والشعرية في نجد من طور الى طور ، فيؤلف كتابه " شعراء نجد المعاصرون ، وقد خلا من ذكر اسمه ، وقد ذكر من قبله ومن بعده .

كما أننا لن نعذر الاستاذ محمد بن حسين ، الذي لم يكتب عنه الا ما يعرف به فقط ، ولكن ما يشفع له على هذا القصور ، أن كتابه محاضرات تبحث في شئون وشخصيات أدبية مختلفة ، ولا مجال فيها للاطالة في موضوع معين .

وبرغم أن قلة ما كتب عن الأدب في نجد يدعو الى الأسى والأسف ، الا أنني لا أتصف بذلك في هذه الأثناء ، لأن فيه مخرجا ، لعدم كتابته أحد عن هذا الرجل .

وبما أن الحديث عن ابي بليهد ، هو حديث عن شعراء طبقتهم فانه هو وطبقته ان لم يلقوا كثيرا من العناية والاهتمام ، فلا أنهم قد وصموا بمار التقليد ؛ ، ألم ينظر هؤلاء الى البارودي وكيف كان بتقليده المجدد الأول للشعر المعاصر ؟ ، ألم ينظروا الى معارضات الشعراء ،

وكيف زادتهم رفعة ومكانه في القدره على المحاكاة والتقليد ؟

لكن أحدا من هؤلاء لا يستطيع أن ينكر أن أولئك السابقين ، كسان لهم من الفضل على الشرفى هذه البلاد ، ما قد لا يفوز به مدعو التجديد في تجددهم ، فلقد فتحوا رحمتهم الله للشعر المعاصر في هذه الرجوعه أبوابا كانت ~~مغلقة~~ الظلمه والسواد ، ووجدوا له من السبل الدوارس ، والمعالم الرواسس ، ما سما بهم الى مصاف الباعثين المجددين ، أولئك هم السليقون ، الأولون ، وكفى بالسبق من مدحة ومنحه .

وان العوى هؤلاء المتحاملون بدعواهم الى ضحالة أفكار شمرا * تلك الطبقة ، فانه من الصعب أن يقبل هذا الادعاء دون أن ينظر الى أنهم في عزلة تامه عن العلم والعالم ، ولم يقدر لهم الاطلاع ، على تلك النهضه الحديثه ، ووسائلها التثقيفيه المنوعه ، كالمدارس ، والمطابع والصحف ، والندباع ، وغيرها ، ماله حميد الأثر في تكوين العقليات المتجدده ، ذات النتاج الفكرى المنطبع بطابع العصر الحديث .

وان كان ابن بلهيد قصد أدرك طرفا من مظاهر تلك الحضاره الا أن ذلك في أخريات حياتهم ومع ذلك فقد تأثر بهذا الجديد ، فقصد توبه في الغزل ووصفه العلم والتقدم في مصر كان من نتيجة هذه النظره المتأخره .

ان اقتناعي بدراسة هذا الشاعر الأديب المفكر ، جعلني لا أشير به ولا أعترف بما لاقيته من صعوبه في جمع مادته أو قلة مراجعه ، فاهتمتس بأن تكون الدراسة واقعيه موضوعيه جعلني أشق وراء هذا ~~النهضة~~ خاصه فيما يتعلق بحياته ، حيث كانت مراجعها في الغالب شخصيه .

ولقد بدأت هذه الدراسة بالقائه الضوء على مجربات الحياة السياسيه

والاجتماعيه والفكرية في هذا الجزء من الوطن العربي الكبير ، مع ذكر
المؤثرات والأحداث ، التي خلقت التفاعلات في مجريات تلك الحياة .

ثم بدأت في دراسة حياته ، وكيف نشأ وتعلم ، ثم كيف قادته
عبقريته الى أن يسموا بفكره وعقله ، فواصل تثقيف نفسه بنفسه ، بمسار
أن احتقر بدائية تلك الدراسة ، ثم تتبعناه في حياته الصاخبه ، وفرنسا
أنها وسيلة لرزقه ، كما أنها من وسائل ثقافته ، وكيف أخذت عليه أسفاره
ورحلاته جل حياته ، الى أن اتصل بالاسرة السعوديه التي لقي في
كنفها الحضوة والرعاية والمكانة الساميه ، فضلا عن أبناء مجتمعه ومن هم
في طبقتهم ، الذين ينظرون اليه نظرة الاكبار والاجلال ، بعد هذا
تجمعت حياته الأخيره من سنة ١٣٦٨ هـ الى سنة ١٣٧٧ هـ ، وما فيها
من متاعب جسيمه الى أن أقعده المرض فتوفى من جرائه عام ١٣٧٧ هـ بمسار
أن قدم للعرب والعربية من العطاءات الأدبية والفكرية أشياء كثيرة ، تقف
كل دراسة عن تقييمها ، ففرض بذلك حق العروبه عليه .

ثم انتقلت الى الباب الثالث ، والمتعلق بشعره ، فبدأته بتبصرة
قصيرة عن الشعر في عصره ثم عن شاعريته ، بعد ذلك تحدثت عن ديوانه ،
ثم أغراضه ، بعد ذلك عقدت فصلا لدراسة شعره من الناحية الفنية ،
ودعت تلك الدراسة بتحليل لحدى قصائده ، ثم ختمت هذا الباب
بكلمة موجزة عن الشعر الشعبي " النبط " وموقف الشاعر منه ، ثم موقفي
تجاهه .

بعد ذلك بدأت في الحديث عن آثاره ، حيث أفردت لها بابا
كليا ، لكثرتها وأهميتها وقيمتها الكبيره ، وقد بينت أن الفالسب
على سبيل هذه الكتب وخاصة كتاب " صحيح الأخبار ... " هو
دراسة الأماكن الجغرافيه الموجوده في الأشعار العربيه ، لهذا تجرأت

بتسميتها "جغرافيه الأرب" لأنها تبحث في تحديد الأماكن الموجودة
في هذا الأرب شمرة ونثره أو باسم "الأرب الجغرافي" لأنها لا تبحث
في الأرب، الا لاستخراج تلك الأماكن الجغرافيه وهذه الآثار للشيوخ
محمد بن بليهد، تمتبر سابقه يستحق عليها كل الاكبار والتقدير .

وأرجو في نهاية هذه الدراسة أن أكون قد وفقت في اعطاء هذا
الرجل حقه، من خلال ما القيته من أضواء على أعماله ومنجزاته في عالم
الفكر والأرب . .

والله أسأل التوفيق والسداد . . .



فهرس المراجيع

- ١ - اقباسات الامام في اقتضارات الامام ديوان الشيخ محمد بن بليهد / مطبعة السنه المحمديه القاهره ١٣٧٠ هـ .
- ٢ - الأرب الحديث في نجد - الأستاذ محمد بن حسين ، تحقيق وتعليق الدكتور عبد السلام سرهان - الطبعة الأولى ١٣٦١ هـ .
- ٣ - الأرب العربي في الاندلس وفي العصور الوسطى والحديثه - محمد سرهان - الطبعة السلفيه ١٣٧٨ هـ .
- ٤ - التيارات الادبيه في قلب جزيرة العرب - عبدالله بن عبدالجبار - القاهره ١٣٨٦ هـ
- ٥ - النهضات الحديثه في جزيرة العرب - الدكتور محمد عبدالله ماضى - الطبعة الثانيه ١٣٧٢ هـ .
- ٦ - النهضه الادبيه بنجد - حسن محمد الشنقيطى - الطبعة الأولى - ١٣٧٠ هـ .
- ٧ - ألوان - الدكتور طه حسين - دار المعارف بمصر - الطبعة الثالثه .
- ٨ - تاريخ نجد - ابراهيم بن عيسى - الطبعة الأولى ١٣٨٦ هـ اشراف الاستاذ حمد الجاسر .
- ٩ - خمسون ظما في جزيرة العرب - حافظ وهبه - الطبعة الأولى ١٣٨٠ هـ مطبعه الباهلى الحلبي بمصر .
- ١٠ - ديوان ابن عثيمين .
- ١١ - ديوان ابن مشرف .
- ١٢ - ديوان خالد الفرج .
- ١٣ - شعراء نجد المعاصرون - الاستاذ عبدالله بن دريس - الطبعة الأولى ١٣٨٠ هـ / دار الكتاب العربي بمصر .
- ١٤ - صحيح الاخبار عما في بلاد العرب من الآثار - الشيخ محمد بن عبدالله البليهد - مراجعة الأستاذ المرحوم محمد محبى الدين عبدالحميد - مطبعة المنسيه المحمديه - ١٣٧٠ هـ .
- ١٥ - صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار - الشيخ محمد بن عبدالله البليهد - الطبعة الثانيه ١٣٩٢ هـ .
- ١٦ - صفة جزيرة العرب - للحسن بن أحمد الهمداني - نشر ، ومراجعة ، وتحقيق الشيخ محمد بن بليهد - مطبعة السعاده بمصر ١٩٥٣ هـ .
- ١٧ - فنون المجد في تاريخ نجد - عثمان بن بشر - تحقيق الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ - الطبعة الثانيه ١٣٩١ هـ .
- ١٨ - كثر الأنساب ومجمع الأحساب - أحمد ابراهيم الحقييل - مطابع الرياض .
- ١٩ - لمحات عن التطور الفكرى في جزيرة العرب - فهد المارك ١٣٨٢ هـ مطبعه ابن زيدون بدمشق .
- ٢٠ - ما تقارب سماعه وتباينت أمكته ومقاعه - الشيخ محمد بن بليهد - مخطوط .
- ٢١ - مجلة الحج - العدد الثاني عشر - سنه ١٣٦٩ هـ .
- ٢٢ - مجلة الهمامه العدد ٢٣٥ السنه الخامسه - الجمعه ٨ ذوالحجه ١٣٩٢ هـ .
- ٢٣ - موقع مكاني - الدكتور عبدالوهاب هزام - طبع ونشر دار المعارف بمصر ١٣٦٩ هـ .

٤ : ١	مقدمه	١
٨ : ٥	تقديم	٢
	<u>الباب الأول</u> : بيئته وعصره	٣
	أ - من الناحية السياسية .	
٣٨ : ٩	ب - من الناحية الاجتماعية .	
	ج - من الناحية الثقافية .	
	٤ - <u>بيئته وعصره</u> : <u>الفصل الأول</u> :	
٢٢ : ١٠	أ - عصره من الناحية السياسية	
	<u>الفصل الثاني</u> :	
٣٠ : ٢٣	أ - عصره من الناحية الاجتماعية	
	<u>الفصل الثالث</u> :	
٣٨ : ٣١	أ - عصره من الناحية الثقافية	
	٥ - <u>الباب الثاني</u> : وفيه فصول :	
	أ - نسبه وحياته .	
	ب - دراسته وثقافته .	
	ج - رحلاته وأسفاره .	
	د - صلته بالأسرة السعوديه .	
	هـ - مكانته ومنزلته .	
٨٨ : ٣٩	و - وفاته .	
	<u>الفصل الأول</u> :	
٤٨ : ٤٠	نسبه وحياته	
	<u>الفصل الثاني</u> :	
٥٦ : ٤٩	دراسته وثقافته	
	<u>الفصل الثالث</u> :	
٧٠ : ٥٧	رحلاته وأسفاره .	

الفصل الرابع :

من ص ٧١ : ٧٦

صلته والأسرة السعوديه

الفصل الخامس :

من ص ٧٧ : ٨٣

مكانته ومنزلته .

الفصل السادس :

من ص ٨٤ : ٨٨

وفاته .

٦ - الباب الثالث : - وفيه فصول :

الفصل الاول : الشعر في نجد واتجاهاته في عصر ابن بلهيد

" الثاني : شاعريته .

" الثالث : ديوانيه .

" الرابع : أغراضه .

" الخامس : شعره وما فيه من خصائص :

أ - من حيث الألفاظ والأساليب .

ب - من حيث المعاني والأفكار .

ج - شعره بين التقليد والتجديد .

د - الصنعة وأثرها في شعره .

هـ - تحليل قصيدته .

من ص ٨٩ : ١٦٥

و - كليمه حول الشعر الشعبي

الفصل الأول :

الشعر في نجد واتجاهاته في عصر ابن بلهيد من ص ٩١ : ٩٧

الفصل الثاني :

من ص ٩٨ : ١٠٤

شاعريته .

الفصل الثالث :

من ص ١٠٥ : ١١٣

ديوانيه .

الفصل الرابع :

المراض

من ص ١١٤ : ١٤٤	
من ص ١١٥	الفرض الأول : المسندح
من ص ١٢٩	الفرض الثاني : الرثاء
من ص ١٣٢	الفرض الثالث : الفزل
من ص ١٣٦	الفرض الرابع : الوصف
من ص ١٣٨	الفرض الخامس : التهنئة
من ص ١٤٠	الفرض السادس : الحكمة
من ص ١٤٣	فرض المهجاء ، والفخر ، والفلسفة ، ونقد النظم الاجتماعية

افصل الخامس :

من ص ١٤٥ : ١٦٥	شعره وما فيه من خصائص .
من ص ١٤٦	أولا : الألفاظ والأساليب
من ص ١٤٦	ثانيا : المعاني والأفكار
من ص ١٤٩	شعره بين التقليد والتجديد
من ص ١٥١	الصنعة وأثرها في شعره
من ص ١٥٤	تحليل قصيدته
من ص ١٦٣	كلمة حول الشعر الشعبي

٧ - الباب الرابع : -

آثاره

من ص ١٦٦ : ٢٠٦	
	١ - كتبه " صحیح الأخبار عما فی بلاد العرب من الآثار " .
	٢ - كتابه " المخطوط " - ما تقارب سماعه ، وتباينت أمكته ويقاعه .
	٣ - نشره وتحقيقه كتاب " صفة جزيرة العرب " للهمداني
	٤ - مقالة حقق فيها موضع " سوق عكاظ " .
	٥ - مذكراته .